

حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح

تأليف

الإمام العلامة الحافظ ابن قَيمِ الجَوْزِيَّة

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

تحقيق وتقديم

محمد رضوان مهنا



الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٢١٨٨٩

مكتبة الإيمان بالمنصورة

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه ، وزوجاته ، أمهات المؤمنين .

وبعد فهذا "حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح" اختيار دقيق لمضمونه وذروة البلاغة والفصاحة في صياغته .

فالحادى: يسوق الإبل بالحداء - الغناء - لتغذو السير ، وتدرك هدفه مخترقة الفيافي والبيداء ، فلا تحس ولا تعباً بما يعترضها فيها من أخطار وصعاب ، فاستعاره للبشر يشدو لهم لحن الروح لتسمو أنفسهم عن الخطايا والموبقات ، وتشف أرواحهم بالفيوضات والتجليات الربانية لهم بتطبيق شرع الله بفعل المأمورات والابتعاد عن المنهيات - افعل ولا تفعل - متسامين عن المادة - الحياة الدنيا الصاخبة باللهو والعبث والذى يقودهم إليها إبليس وحزبه ليكونوا من الخاسرين ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩] .

لتسبح في عالم الأرواح ، مصغين إلى لحن السماء والملائكة تزفهم إلى بلاد الأفراح جنات الفردوس ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [الكهف: ١٠٧] . مسارعين إليها بأفعالهم الصالحات . استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

فيها ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فياسُرُورُهم ، وهم ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الصافات] ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٧ ، ١٨] .

فالجنة عرس الأعراس ، ودرة الأفراح وتاج الفلاح والنجاة ، وغاية الغايات أنهم فى دار رضوان الله ، ومستقر رحمته ، ونعيمه الدائم ، والفوز بتجلية الله لهم في هذا المستقر برؤية الله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [الواقعة: ٢٢ ، ٢٣] .

التعريف بالمؤلف(1)

اسمه ونسبه:

محمـد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ، الدمشقى ، الحنبلى ، المعروف بابن قَيم الجَوْزِيّة (شمس الدين ، أبو عبد الله) .

مولـــده ونشأته:

ولـد بدمـش ٧ صفر ٦٩١ هـ نشأ في بيئة دينية محافظة ، وتلقى العلم على يد والده . ثم على طائفة من علماء دمشق ، وغيرهم وجَدّ واجتهد حتى برع في علوم الشرعية والحقيقة والعربية .

رحلاتـه في طلـب العـلم الـتقى أثـناءها بالشـيخ ابـن تيمية ولازمه بعد عودته من القاهرة وسجن معه في قلعة دمشق .

صفاتـــه:

كـان عالـماً عـاملاً بعلمه ، عابداً مجتهداً في العبادة مخلصاً لدينه ولشيخه . . قال عنه ابن كثير في ألبداية والنهاية - وكان صديقاً لـه-: كنت من أصحاب الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه .

آثـــاره: **لـه تصانيف كثيرة لا تكاد تحصى منها:**

١- التفسير القيم .
٢- مدارج السالكين .
٣- إغاثة اللهفان .
٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين .
٥- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح وهو (كتابنا) .
٦- زاد المعاد في هدى خير العباد .
٧- أعلام الموقعين عن رب العالمين .

وفاتـــه:

توفى سنة (٧٥١ هـ) ، رحمه الله وجزاه عمّا قدّم لدينه وأهله الجزاء الأوفى .

كتبـــه

محمد رضوان مهنا

---

(1) مصادر ترجمته:

١- معجم المؤلفين ٣/ ,١٦٤
٢- الأعلام ٦/ ٢٨٠ ، ٢٨١ .
٣- معجم الأعلام ٦٨٦٠ .
٤- البدر الطالع ٢: ١٤٣ - ,١٤٦ .
٥- النجوم الزاهرة: ١٠/ ,٢٤٩
٦- شذرات الذهب ٦/ ١٦٨- ١٧٠ .
٧- الوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٠ - ,٢٧٢
٨- هدية العارفين: ٢/ ١٥٨ ، ١٥٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه الإعانة ﴾

الحمـد لله الـذى جعـل جـنات الفـردوس لعباده المؤمنين نزلا ، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصـلة إلـيها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهلَّ لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا ، خلقهـا لهـم قـبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحجبها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامـتحان لـيبلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه ، وضرب مدة الحـياة الفانـية دونـه أجـلا ، وأودعهـا مـا لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشـر ، وجلاهـا لهـم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم البشرى بكونهم ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ .

والحمـد لله فاطـر السـماوات والأرض جـاعل الملائكـة رسـلا ، وباعـث الرسـل مبشرين ومـنذرين لـئلا يكـون للـناس عـلى الله حجة إذ لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم سدى ، ولم يغفلهم همـلا ، بـل خلقهـم لأمـر عظـيم ، وهـيأهم لخطب جسيم ، وعمر لهم دارين ، فهذه لمن أجاب الداعـى ولم يـبغ سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا .

والحمـد لله الـذى رضـى مـن عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من .الزلل ، وأفـاض علـيهم الـنعمة ، وكتـب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضـبه ، دعـا عـباده إلى دار السـلام فعمهـم بـالدعوة حجـة منه عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفـيق مـن شـاء نعمـة مـنه وفضلا ، فهذا عدلـه وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غـنى له طـرفة عين عن فضله ورحمته ،ولا مطمع لـه فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشـهد أن محمـدا عـبده ورسـوله ، وأمـينه عـلى وحـيه وخيرتـه مـن خلقـه ، أرسله رحمة للعـالمين ، وقـدوة للعـاملين ومحجـة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، بعثه للإيمان مناديا ،

وإلى دار السلام داعيا ، وللخليقة هاديا ، ولكتابه تاليا ، ولمرضاته ساعيا ، وبالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتعزيره وتوقيره[1] والقيام بحقوقه ، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سرًا وجهارا ، وأذّن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسنا ، وأصبح الظلام ضياء ، واهتدى كل حيران .

فلمّا أكمل الله به دينه وأتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلّغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد في الله حق جهاده ، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] ، (فصلى الله) وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده ، وعرفنا به ، ودعا إليه .

(أما بعد): فإن الله – سبحانه وتعالى – لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى[3] ، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم ، عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منها إشفاقا وَوَجَلا ، وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على

---

(١) تعزيره: عزره لامه وأدّبه . وتوقيره: وقّره: عظّمه وبجّله لما فيه من الرزانة والحلم ، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] .

(٢) آية (١٤٢) سورة الأنفال .

(٣) سُدًى: السُّدَى: المهمل . يقال: ذهب جهده سُدًى: ضاع .

ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة[1] ، لا ينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار ، فلا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعى العقل ، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة ، والخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل ، وران[2] على قلوبهم سوء العمل ، فهمُّهُم فى لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا عضوا عليه بالنواجذ[3] وطاروا إليه زرافات ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[4] . ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[5] .

والعجب كل العجب من غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه . وكل نَفَس من أنفاسه لا قيمة له وإذا ذهب لم يرجع إليه ، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يُحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين يُنقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته ، لا لما سبق من جناياته وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته ، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال: لقد أنبأنا أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم .

---

(١) السائمة: هى الراعية . يقال: سامت تسوم سوما . وهى الدابة المرسلة فى مرعاها . النهاية (٢/ ٤٢٦) .

(٢) ران: طبع وغطى . النهاية (٢/ ٢٩١) .

(٣) النواجذ: جمع ناجذ: الضرس . وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان . ومنه حديث العِرْباض: عضُّوا عليها بالنواجذ أى تمسكُوا بها كما يتمسك العاضُّ بجميع أضراسه . ومنه حديث عمر (رضى الله عنه) ولن يَلِىَ الناس كقرشّى عضَّ على ناجِذِه . أى صبر وتصلب في الأمور (اللسان: نجذ) .

(٤) آية (٧) سورة الروم .

(٥) آية (١٩) سورة الحشر .

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَمُ الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن[١] بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فى أبد لا يزول، ولا ينفذ بصُبابة عيش[٢]، وإنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار فى المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص[٣]، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا، وإن سر يوما أحزن شهورا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجبا من سفيه فى صورة حليم، ومعتوه فى مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفانى الخسيس، على الحظ الباقى النفيس وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، بأعطان[٤] ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادى يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا[٥] له وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين[٦].

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ::: متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة ::: حبا لذكرك فليلمنى اللوم

---

(١) الغبن: الظلم والنقص.

(٢) الصُّبابة: البقية القليلة من الماء ونحوه.

(٣) النغص: تكدير العين. الغصص: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب (المختار: نغص، وغصص).

(٤) أعطان: جمع عطن، وهو مبرك الإبل حول الماء. يقال: عطنت الإبل فهى عاطنة جمع عاطنات وعواطن وعُطُون: إذا سقيت أعطن الإبل: أراحها بعد الورود لتعود فتشرب. اللسان (عطن).

(٥) فلا تظعنوا: أى فلا ترحلوا.

(٦) نسب صاحب الأمالى هذين البيتين وبيتين بعدهما للشاعر أبى الشيص. ولكن صاحب التنبيه ذكر أن هذه الأبيات الأربعة ليست في ديوان أبى الشيص. ولكنها لعلى بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم. الأمالى ١/ ٢٧٣، والتنبيه/ ٧٤.

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا وسيق المجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أُعد لهم من الإكرام وادّخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه[1] الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال .

فهم فى روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال[2] يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون ، وبالحور العين يتمتعون ، وبأنواع الثمار يتفكّهون ، و ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3] ، و ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4] ، تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد ، فما قلب ولا استام[5] إلا أفراد من العباد ، فوا عجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟ ، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

* * * * * * *

(١) لا تعتريه: لا تصيبه .

(٢) الحجال: حجال العَرُوس: وهى بيت يُزيّن بالثياب والأسِرّة والسُّتُور . مختار الصحاح: حجل .

(٣) آيات (١٧ - ٢٤) سورة الواقعة .

(٤) آية (٧١) سورة الزخرف .

(٥) قلب: الفؤاد وقد يعبر عنه بالعقل . استام: في المبايعة وإنه لغالى السيمة ، مختار الصحاح (قلب ، سوم) .

(شعر فى وصف الجنة) [(١)]:

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ::: سوى كفها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ::: وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فللّهِ ما فى حشوها من مسرة ::: وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ::: وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المز ::: يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيّالك الوادى يهيم صبابة ::: محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ::: يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ::: فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ::: أَمِنْ بعدها يسلو المحب المتيم؟
ولله كم من خيرة إن تبسمت ::: أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت ::: ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ::: ويا خجلة الفجر حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ::: فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما فى لثمها [(٢)] عند ضمها ::: وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ::: يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه فيها العين عند اجتلائها ::: فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ::: ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ::: وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد ::: فَيا عجبا من واحد يتقسم
لها فِرَق شتى من الحسن أجمعت ::: بجملتها عن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر ::: فينطق بالتسبيح لا يتلعثم [(٣)]
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ::: تولى على أعقابه الجيش يُهزم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها ::: تيقن حقا أنه ليس يهرم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا ::: فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مبغضا للخائنات لحبها ::: فتحظى بها من دونهن وتنعم

---

(١) من تأليف المؤلف ابن القيم .
(٢) لثمها: قبّلها .
(٣) تلعثم: في الأمر إذا تَملّث فيه وتأنّى .

وكن [١] أيما ممن سواها فإنها ::: لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد ::: تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص ::: فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ::: ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحىّ على جنات عدن فإنها ::: منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ::: نعود إلى أوطاننا ونسلم؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ::: وشطت [٢] به أوطانه فهو مغرم
وأى اغتراب فوق غربتنا التى ::: لها أضحت الأعداء فينا تُحكم
وحىٌّ على السوق الذى فيه يلتقى ::: المحبون ذاك السوق للقوم يعلم
فمهما شئت خذ منه بلا ثمن له ::: فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
حىّ على يوم المزيد الذى به ::: زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحىٌّ على واد هنالك أفيح ::: وتربته من إذفر [٣] المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ::: ومن خالص العقيان [٤] لا يتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا ::: لمن دون أصحاب المنابر تعلم
فبينا همو فى عيشهم وسرورهم ::: وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له ::: بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السماوات جهرة ::: فيضحك رب العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم ::: بآذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول: سلونى ما اشتهيتم فكل ما ::: تريدون عندى إننى أنا أرحم
فقالوا جميعا: نحن نسألك الرضا ::: فأنت الذى تُولى الجميل وتَرْحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم ::: عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معجل ::: إنك لا تدرى، بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ::: وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

* * * * * * *

---

(١) ايما: الأيم التي تفقد زوجها . والشاعر طلقه على الذكر تجوزاً .
(٢) نأى: بَعُدَ . وشطّت: شطّت به الأوطان شطوطا: بَعُدَت (مختار الصحاح: نأى ، شطٌ) .
(٣) أذفر: بَيّن الذفر: كل ريح ذكيّة من طيب أو نتن . يقال: مسك أذفر: بَيِّن الذفر .
(٤) العقيان: الذهب الخالص . النهاية (٣/ ٢٨٣) .

هذا الكتاب

وهـذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلـك العـرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، ممـتع لقارئـه ، مشـوق للـناظر فـيه ، لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفـرائد القلائـد ، عـلى مـا - لعـل المجتهد فى الطلب - لا يظفر به فيما سواه من الكتب مع تضمينه لجملـة كـثيرة مـن الأحاديـث المـرفوعات ، والآثار الموقوفات ، والأسرار المودعة فى كثير من الآيات والنكـت الـبديعات وإيضـاح كـثير مـن المشكلات والتنبيه على أصول من الأسماء ، والصفات ، إذا نظـر فـيه الـناظر زاده إيمانا ، وجلى عليه الجنة ، حتى كأنه يشاهدها عيانا فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات وباعث الهمم العليات ، إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات .

وسميـته "حادي الأرواح ، إلى بلاد الأفراح" فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه والله يعـلم مـا قصـدت ومـا بجمعه وتأليفه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسـبه ، وكـان جُـلُّ المقصـود مـنه بشارة أهل السنة ، بما أعد الله لهم فى الجنة ، فإنهم المستحقون للبشـرى فـى الحـياة الدنـيا وفـى الآخـرة ، ونعـم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول وحـزبه ؛ ومـن خـرج عـن سنته فهم أعداؤه وحربه ، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام ، ولا يتركـون مـا صـح عـنه لقـول أحد من الأنام ، والسنة أجلُّ فى صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهـيا أو بحـثا جدلـيا ، أو خـيالا صـوفيا ، أو تناقضا كلاميا ، أو قياسا فلسفيا ، أو حكما سياسيا ، فمن قدم عليها شيئا من ذلك ، فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود .

فـيا أيهـا الـناظر فـيه ، لـك غـنمه وعـلى مؤلفه غرمه ، ولك صفوه ، وعليه كدره ، وهذه بضاعته المـزجاة[1] تعـرض علـيك . وبـنات أفكـاره تـزف إلـيك ، فـإن صـادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعـروف أو تسـريحا بإحسـان ، وإن كان غيره ، فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله برىء منه ورسوله . وقد قسمت الكتاب سبعين بابا .

والله سـبحانه هـو المسؤول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، مدنيا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جـنات النعـيم ، وأن يجعلـه حجـة لـه ولا يجعله حجة عليه ، وأن ينفع به من انتهى إليه إنه خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * * * * * *

---

(١) المزجاة: القليلة مردودة مرغوب عنها . مختار الصحاح والمعجم الوسيط ، (زجا) .



الباب الأول
فى بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب[١] رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم[٢] وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وماعلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم ، إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية[٣] والمعتزلة[٤] فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن . وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم[٥] فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات ، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها .

وقالوا: ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح

---

(١) أصحاب: الصحابى لغة: مشتق من الصحبة ، وليس مشتقا من قدر خاص منها ، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا .

والصحابى عند المحدثين: هو كل مسلم رأى رسول الله ﷺ . قال البخارى: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه .

وقال الإمام أحمد: كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه . أصول الحديث ص(٣٨٥) .

(٢) وتابعوهم: التابعى هو من لقى واحدا من الصحابة فأكثر . وقال بعضهم: لا يكفى مجرد الالتقاء بخلاف الصحابى ، لشرف لقاء النبى ﷺ والاجتماع به أو رؤيته ؛ فإن لذلك أثرا كبيرا فى إصلاح القلوب وتزكية النفوس مما لا يتهيأ لمن يلقى الصحابى من غير متابعة له ، وطول أخذ عنه .

ولكن أكثر المحدثين يرون أن التابعى من لقى واحدا من الصحابة فأكثر ، وإن لم يصحبه ، وعدوا من التابعين بعض من رأى صحابيا من غير أن يصحبه ، وهذا إقرار منهم بأن التابعى من رأى الصحابى . أصول الحديث ص(٤١٠) .

(٣) القدرية: طائفة عقائدية تقول: بأن القدر خيره وشره من الله وأن كل شىء سواء خيرا أو شرا يجب أن يعزى إلى الله . وعندما بلغهم ذم رسول الله ﷺ لهم قالوا: إنهم هم الذين فهموا القدر وغيرهم لم يفهمه ويكون الرسول ﷺ قد عنى غيرهم وهذا من عند أنفسهم .

(٤) المعتزلة: أتباع عمرو بن عبيد على قوله فى القدر والوعيد ودخلوا فى مذهب جهم فأثبتوا أسماء الله ولم يثبتوا صفاته فمذهبهم ومذهب الجهمية فى المعنى سواء فهؤلاء يقولون: إن الله متكلم حقيقة ولكن الجهمية ينفون أن يكون متكلماً حقيقة وهم من قالوا: بنفى الصفات وبالقدرية وبالمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد .

(٥) التجهم: مأخوذ من الجهمية . وهي طائفة مبتدعة من أصحاب الكلام منسوبة إلى جهم بن صفوان . يقولون برأى المعتزلة ويزيدون على أقوالهم أشياء (الملل والنحل للشهرستاني ، ١/ ٨٦ ، ٨٧) .

وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخلوها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ، ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه!! فحجروا على الرب - تعالى - بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة!! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

(قال) أبو الحسن[(١)] الأشعرى فى كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين": جملة ما عليه أصحاب الحديث أهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وماجاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا ، وأن الله - تعالى - إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله - تعالى على عرشه- كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[(٢)] ، وأن له يدين بلا كيف . كما قال: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٣)] . وكما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[(٤)] ، وأن له عينين بلا كيف . كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[(٥)] . وأن له وجها . كما قال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[(٦)] . وأن أسماء الله تعالى - لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علما . كما قال: ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾[(٧)] . وكما قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾[(٨)] . وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة . كما قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[(٩)] وقالوا: إنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون

---

(١) أبو الحسن الأشعرى هو: على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق أبو الحسن المتكلم . كان مالكيا ، صنف لأهل السنن التصانيف ، وأقام الحجج على إثبات السنن ، مات سنة (٣٣٤) . له ترجمة فى: البداية والنهاية (١١/ ١٨٧) ، وتاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦) ، ووفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦) .

(٢) آية (٥) سورة طه .

(٣) آية (٧٥) سورة ص .

(٤) آية (٧٤) من سورة المائدة .

(٥) آية (١٤) سورة القمر .

(٦) آية (٢٧) سورة الرحمن .

(٧) آية (١٦٦) سورة النساء .

(٨) آية (١١) سورة فاطر .

(٩) آية (١٥) سورة فصلت .

بمشيئة الله ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[(١)] وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقالوا: إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق إلا الله - تعالى - وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا ، وأن الله - تعالى - وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ؛ ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله - تعالى - يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم وأضلهم ، وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره .

ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره وحلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت ، والفقر إلى الله فى كل حال .

ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام فى الوقف واللفظ ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق .

ويقولون: إن الله - تعالى - يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون ، قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[(٢)] وأن موسى - عليه السلام - سأل الله - سبحانه وتعالى - الرؤية فى الدنيا ، وإن الله - تعالى - تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة ، ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ، كنحو الزنا والسرقة ، وما أشبه ذلك من الكبائر . وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر .

والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، كما جاء فى الحديث .

---

(١) آية (٣٠) سورة الإنسان .

(٢) آية (١٥) سورة المطففين .

والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقرون بأن الله مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبعذاب القبر وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدى الله – تعالى – حق .

ويقرون: بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون: أسماء الله هى الله – تعالى- ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء .

ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله – تعالى – يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدل والمراء[1] فى الدين ، والخصومة فى القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل ، حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولا يقولون: كيف؟ ولا لم؟[2] لأن ذلك بدعة .

ويقولون: إن الله – تعالى – لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مريدا له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله – تعالى – لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويسكتون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا – رضى الله عنهم –ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ، ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ : «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟**»[3] كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال- تعالى - : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾[4] .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ؛ ويقرون أن الله – تعالى – يجىء يوم القيامة كما قال: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[5] . وأن الله – تعالى – يقرب من خلقه كيف شاء ، كما قال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾[6] .

---

(١) الجدل: المناقشة والمخاصمة ، والمراء: الجدل والنزاع . اللسان: جدل: مرى .

(٢) كيف: اسم استفهام تعجبي . أى: كيف حدث هذا؟ ولِمَ: ما اسم استفهام لغير العاقل . أي: لِمَ حدث هذا؟ .

(٣) البخارى (٢/ ٦٦) ، ومسلم فى صلاة المسافرين: حديث (١٦٨) ، وأحمد (٢/ ٢٦٤) .

(٤) آية (٥٩) سورة النساء .

(٥) آية (٢٢) سورة الفجر .

(٦) آية (١٦) سورة ق .

ويـرون العـيدين والجمعـة والجماعـة خلـف كـل إمام بر أو فاجر[١] ، ويثبتون المسح على الخفـين سـنة ، ويـرونه فـى الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصـابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك . ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسـيف وأن لا يقـاتلوا فـى الفتـنة . ويصـدقون بخـروج الدجـال وأن عيسى ابن مريم - عليه الصـلاة والسـلام - يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج والرؤيا فى المنام ، وأن الدعاء لموتى المسـلمين والصـدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون أن فى الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر كما قال تعالى[٢] ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا .

ويـرون الصـلاة عـلى كـل مـن مـات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون أن الجنة والـنار مخلوقـتان . وأن من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله - تعـالى - يـرزقها عـباده حـلالا كانت أو حراما ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصـالحين قـد يجـوز أن يخصـهم الله - تعـالى - بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسـخ بالقـرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله - تعالى - عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله - تعالى - .

ويـرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله - تعالى - به والانتهاء عما نهى عنه . وإخلاص العمـل لله والنصـيحة للمسـلمين ، ويديـنون بعـبادة الله فـى العـابدين ، والنصـيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفجور والكبر والازدراء على الناس والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار ، والنظر فى الفقه مع التواضـع والاسـتكانة ، وحسـن الخلـق ، وبـذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب .

فهـذه جملـة مـا يأمـرون بـه ويسـتعملونه ويـرونه ، وبكـل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصـود حكايـته عـن جمـيع أهـل السـنة والحديـث: أن الجنة والنار مخلوقتان وسُقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

---

(١) يشـير بذلـك إلى قولـه ﷺ: ((. . . . . . . وصلوا خلف كل إمام)) . رواه الدارقطنى (٢/ ٥٥) ، وقال: لا يثبت إسناده ، وساق أحاديث أخرى بنحوه ، وقال: ليس فيها شىء يثبت .

(٢) يشير بذلك إلى قولـه تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ آية (١٠٢) سورة البقرة .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله - تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[١]، وقد رأى النبى ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها الجنة، كما فى الصحيحين[٢] من حديث أنس فى قصة الإسراء، وفى آخره: **«ثم انطلق جبريل بى حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى؟ قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»** وفى الصحيحين[٣] من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - تعالى - يوم القيامة»**.

وفى المسند وصحيح الحاكم وابن حبان[٤] وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث بطوله، وفيه: [فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها] وذكر الحديث.

وفى الصحيحين[٥] من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم. قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقولان له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال نبى الله ﷺ فيراهما جميعا»**.

وفى صحيح أبى عوانة الإسفراييني وسنن أبى داود[٦] من حديث البراء بن عازب الطويل فى قبض الروح: **«ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله - تعالى - أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى، فيقال: اسكن»**.

وفى مسند البزار[٧] وغيره من حديث أبى سعيد قال: شهدنا مع النبى ﷺ جنازة، فقال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه**

---

(١) آية (١٣- ١٥) سورة النجم.
(٢) البخارى فى الصلاة: ب (١): حديث (٣٤٩)، ومسلم فى الإيمان: ج: ٢، حديث (٢٦٣). وجنابذ: جمع جنبذة: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.
(٣) البخارى فى الجنائز: ج ٣ ص (١٣٧٩)، ومسلم فى الجنة: ب (٤): حديث (٦٥، ٦٦).
(٤) (صحيح) أحمد (٤/ ٢٨٧)، والحاكم (١/ ٣٧ - ٣٩)، وابن حبان (٥/ ٤٥، ٤٦).
(٥) البخارى فى الجنائز: ب (٦٧): حديث (١٣٣٨)، ومسلم فى الجنة: ب (١٧): حديث (٧٠).
(٦) انظر الحديث ما قبل السابق.
(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج٣ ص ٣). مجمع الزوائد (٣/ ٤٨).

أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ – يعنى محمدا ﷺ – فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولون لــه: صدقت، ثم يفتح لــه باب إلى النار فيقولون: هذا كان منــزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت به فهذا منــزلك، فيفتح لــه باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون لــه: اسكن» وذكر الحديث .

وفى صحيح مسلم[١] عن عائشة قالت: خسفت الشمس فى حياة رسول الله ﷺ، فذكرت الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله – تعالى – لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة»** .

وقال رسول الله ﷺ: **«رأيت فى مقامى هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتنى آخذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت»**[٢] .

وفى الصحيحين[٣] واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه فقال: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله»**، فقالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت[٤]، فقال: **«إنى رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»** قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **«بكفرهن»** . قيل: أيكفرن بالله؟ قال: **«يكفرن العشير ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط»** .

وفى صحيح البخارى[٥] عن أسماء بنت أبى بكر عن النبى ﷺ فى صلاة الخسوف قال: **«قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت منى النار حتى قلت: أى رب وأنا معهم. فإذا – امرأة حسبت أنه قال–: تخدشها هرة. قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل»** .

وفى صحيح مسلم[٦] من حديث جابر فى هذه القصة قال: **«عرضت على كل شيء تولجونه، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدى عنه، وعرضت على النار**

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الخسوف الكسوف: ب (١): حديث (١).

(٢) رواه البخارى (١٠٤٦) ومسلم (٩٠١) .

(٣) البخارى فى الكسوف: ب(٩): حديث (١٠٥٢)، ومسلم فى الكسوف: ب(٣): حديث(١٧) .

(٤) رواه البخارى (١٠٥٢) وفي فتح البارى ـج٢/١٠٤٦، تكعكعت: أى احتبس وارتد ورجع إلى الوراء اللسان: كعّ .

(٥) رواه البخارى فى الأذان: ب (٩٠) حديث (٧٤٥) .

(٦) رواه مسلم فى كتاب الكسوف: ب (٣): حديث (٩) .

فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة لها» وذكر الحديث .

وفـى صـحيح مسـلم[١] عنه فى هذا الحديث: **«ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هـذه، لقد جىء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها، وحتى رأيت فيها صـاحب المحجن يجر قصبه فى النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه[٢]، فإن فطن لـه قال: إنما تعلق بمحجنى ، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تـأكل من خشاش[٣] الأرض حتى ماتت جوعا، ثم جىء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه»** .

وفـى مسـند الإمـام أحمـد وسنن أبى داود والنسائى[٤] من حديث عبد الله بن عمر فى هذه القصـة: **«والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم»** وذكر الحديث .

وفـى صـحيح مسـلم[٥] مـن حديث أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ أقيمـت الصـلاة فقال: **«يا أيها الناس، إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسـكم فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى، وايم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»** ، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: **«رأيت الجنة والنار»** .

وفـى الموطـأ والسنن[٦] من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : **«إنما نسمة المؤمن طير تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»** وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة . ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبى ﷺ : **«إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق[٧] فى ثمر الجنة، أو شجر الجنة»** رواه أهـل السنن وصححه الترمذى[٨] . وسيأتى فى آخـر هذا الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح الشهداء الجنة قبل يوم القيامة - تمام هذه

---

(١) المصدر السابق: حديث (١٠) .

(٢) المحجن: عصا معوجة الرأس كالصولجان ، والميم زائدة ، ويجمع على محاجن . اللسان: حجن .

(٣) خشاش الأرض: هوامها وحشراتها ، الواحدة خشاشة . (اللسان: خش) .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٨) ، والنسائى فى الكسوف: ب (٢٠) .

(٥) رواه مسلم فى كتاب الصلاة (تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود) ب (٢٥) / حديث (١١٢) .

(٦) صحيح مالك فى الجنائز: ب(١٦): حديث (٤٩) ، والنسائى (٤/ ١٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٧١) .

(٧) تعلق: أى تأكل . وهو فى الأصل للإبل إذا أكلت العضاة . يقال: علقت تعلق علوقا ، فنقل إلى الطير . النهاية (٣/ ٢٨٩) .

(٨) الترمـذى فـى فضـائل الجهاد: ب(١٣): حديث (١٦٤١) ، والنسائى فى الجنائز: ب(١١٧) ، وابن ماجة في الجنائز: ب (٤): حديث (١٤٤٩) .

الأحاديث إن شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك .

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند[١] من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فقال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»** . قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين[٢] من حديث أبى هريرة: «حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات» . وفى الصحيحين[٣] من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: **«اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت الجنة: يا رب ما لها يدخلها يدخلها الجبارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتى أصيب بك من أشاء، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»** .

وفى الصحيحين[٤] من حديث ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال: **«اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف»** .

وروى الليث[٥] بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الله بن بشير ورفع الحديث قال: **«ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طاب ثمرى واطردت أنهارى، واشتقت إلى أوليائى، فَعَجِّل إلى بأهلى، وتقول النار: اشتد حرى، وبعد قعرى، وعظم جمرى، فعجل إلى بأهلى»** .

---

(١) صحيح أبى داود فى السنة: ب(٢٥): حديث (٤٧٤٧)، والترمذى فى الجنة: ب(٢١): حديث (٢٥٦٠)، والنسائى فى الأيمان والنذور: ب(٢) .

(٢) البخارى فى الرقاق: ب(٢٨): حديث (٦٤٨٧)، ومسلم فى الجنة فى المقدمة: حديث (١) .

(٣) البخارى فى التفسير: ب(١): حديث (٤٨٥٠)، ومسلم فى الجنة: ب(١٣): حديث (٣٦) .

(٤) البخارى ١/ ١٤٢، ومسلم فى المساجد: حديث (١٨٥) .

(٥) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث المصرى أحد الأعلام . قال يحيى بن بكير: ما رأيت أحدا أكمل من الليث، كان فقيه البدن، عربى اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، لم أر مثله . مات سنة (١٧٥) . له ترجمة في: تاريخ بغداد (٣/ ١٣)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٣٩) .

وفى صحيح البخارى[١] من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «**بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف. قال: قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك[٢] الأذفر**» .

وفى صحيح مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ودارا فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل: لعمر بن الخطاب. فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال: فبكى عمر، وقال: أو يغار عليك يا رسول الله؟**» وسيأتى حديث بلال ، وقول النبى ﷺ: «**ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك بين يدى**»[٤] ، غير ذلك من الأحاديث التى تأتى إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح ، ثم مد يده ثم أخرها ، فلم سلم قيل له: يا رسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئا لم تصنعه فى غيرها ، قال: «**إنى أريت الجنة، فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدباء، فأردت أن أتناول منها، فأوحى إليها أن استأخرى فاستأخرت ثم أريت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم، فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أقرهم فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا، فلم أر لى عليكم فضلا إلا بالنبوة**»[٥] .

فإن قيل: فما منعكم من الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها فى غاية الظهور؟ .

قيل: الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور ، فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة فى الأرض فى شرفها؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتج به كل فريق على قولهم ، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته .

* * * * * *

---

(١) البخارى فى الرقاق: ب(٥٣): حديث (٦٥٨١) .

(٢) المسك الأذفر: أى طيب الريح . والذّفر: بالتحريك على الطيب والكريه ، ظهرت رائحته واشتدت . ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به . (اللسان: ذفر) .

(٣) مسلم فى فضائل الصحابة: ب (٢): حديث (٢٠) .

(٤) الخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح . مختار الصحاح: خَشّ .

(٥) رواه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) .

الباب الثاني
فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها
آدم عليه السلام وأهبط منها

هل هى جنة الخلد، أو جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض؟

قال منذر[1] بن سعيد فى تفسيره: وأما قوله تعالى لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[2] فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة . وقال آخرون: هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به .

وقال أبو الحسن[3] الماوردى فى تفسيره: واختلف الناس فى الجنة التى أسكناها على قولين: **أحدهما**: أنها جنة الخلد ، **الثانى**: أنها جنة أعدها الله – تعالى – لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء .

ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين: **أحدهما**: أنها فى السماء لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن .

الثانى: أنها فى الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم – عليه الصلاة والسلام – والله أعلم بصواب ذلك ، هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب فى تفسيره المشهور: واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كانت فى الأرض أو فى السماء؟ وبتقدير أنها كانت فى السماء ، فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصفهانى[4]: هذه الجنة فى

---

(١) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النّفْزى القرطبى أبو الحكم البلُّوطى . ويقال له: الكزني . كان متفننا فى ضروب العلم ، وكان حافظا للقرآن ، كثير التلاوة ، عالما بالتفسير وأحكامه توفى سنة: ٣٥٥هـ . له ترجمة فى طبقات المفسرين للداودى (٢/ ٣٣٦ ، ٣٣٧) ومعجم الأعلام: ٨٦٣ .

(٢) آية (٣٥) من سورة البقرة .

(٣) أبو الحسن الماوردى هو: على بن محمد بن حبيب القاضى البصرى . قال الخطيب: كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين . مات سنة (٤٥٠) . له ترجمة فى البداية (١٢/ ٨٠) ، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢) ، وشذرات الذهب (٣/ ٢٨٥) ، والأعلام .

(٤) أبو القاسم البلخى: عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى . البلخى . الخراسنى . أحد أئمة المعتزلة ت سنة: ٣١٩ هـ ، وأبو مسلم الأصفهانى: محمد بن بحر الأصفهانى . معتزلى . من كبار الكتاب . ت: ٣٢٢هـ .

الأرض، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾[١] واحتجا عليه بوجوه.

القول الثاني: وهو قول الجبائي: أن تلك الجنة كانت فى السماء السابعة.

والقول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هى دار الثواب. وقال أبو القاسم الراغب[٢] فى تفسيره: واختلف فى الجنة التى أسكنها آدم، فقال بعض المتكلمين: كان بستانا جعله الله - تعالى - له امتحانا ولم تكن جنة المأوى، وذكر بعض الاستدلالات على القولين.

وممن ذكر الخلاف أيضا أبو عيسى[٣] الرماني فى تفسيره واختار أنها جنة الخلد، ثم قال: والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو، وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبى، على وشيخنا أبى بكر، وعليه أهل التفسير، واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولا رابعا.

فقال: **والقول الرابع:** أن الكل ممكن، والأدلة متعارضة، فوجب التوقف وترك القطع، قال منذر بن سعيد: والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة[٤] وأصحابه. قال: وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم - عليه السلام - بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأمانى، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاذا مشهورا.

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله، قالوا: إن جنة آدم ليست جنة الخلد، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم، ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين، وإنما قلت هذه ليعلم أنى لا أنصر مذهب أبى حنيفة، وإنما أنصر ما قام عليه الدليل من القرآن والسنة. هذا ابن مزين المالكى يقول فى تفسيره: سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى؟ فقال:

---

(١) آية (٦١) من سورة البقرة.

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم المعروف بالراغب. أديب من الحكماء العلماء. ت: ٥٠٢هـ.

(٣) الجبائى هو: على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرمانى النحوى. قال أبو حيان التوحيدى: لم ير مثله قط علما بالنحو وغزارة الكلام وبصرا بالمقالات (٣٨٤). له ترجمة فى البداية والنهاية (١١/ ٣١٤)، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٦)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤٦١).

(٤) أبو حنيفة هو: النعمان بن ثابت الكوفى. فقيه أهل العراق، وإمام أصحاب الرأى. رأى أنس، وروى عن حماد بن أبى سليمان، وعطاء وخلق. قال ابن المبارك: ما رأيت فى الفقه مثله. مات سنة (١٥٠). له ترجمة فى البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧)، وشذرات الذهب (١/ ٢٢٧).

السكوت عن الكلام فى هذا أفضل . وهذا ابن عيينة[١] يقول فى قولـه عز وجل: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُـوعَ فِـيهَا وَلاَ تَعْرَى ﴾[٢] قال: يعنى فى الأرض وابن نافع إمام ، وابن عيينة إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قولـه قولهما .

وهذا ابن قتيبة[٣] ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله - تعالى - لآدم وزوجه ، قال: ثم تركهما ، وقال: اثمروا وأكثروا ، واملئوا الأرض ، وتسلطوا على أنوان[٤] البحور ، وطير السماء ، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها ، فأخبر أن فى الأرض خلقه وفيها أمره ، ثم قال: ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار: سيحون وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ثم ذكر الحيَّة فقال: وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمرأة: إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة .

ثم قال بعد كلام: ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التى منها أخذ ، ثم قال: قال وهب: وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرقى أرض الهند . قال: واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن فى شرقى عدن فكمن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله: اهبطوا ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيد ، فهذا وهب[٥] بن منبه يحكى أن آدم - عليه السلام - خلق فى الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نصب لـه الفردوس ، وأنه كان بعدن ، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر إلى كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت فى الأرض لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك ، فاعتبروا يا أولى الألباب .

وأخبر أن الحيّة التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل: من أعظم دواب السماء ،

---

(١) ابن عيينة هو: سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى ، أبو محمد الكوفى الأعور . قال ابن المدينى: ما فى أصحاب الزهرى أتقن من ابن عيينة . مات سنة (١٩٨) . لـه ترجمة فى تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢١٠) .

(٢) آية (١١٨) من سورة طه .

(٣) ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى النحوى اللغوى . كان رأسا فى العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة دينا فاضلا . مات سنة (٢٦٧) . لـه ترجمة فى البداية والنهاية (١١/ ٤٨) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠) ، والنجوم الزاهرة (٣/ ٧٥) .

(٤) أنوان : جمع (نون) الحوت .

(٥) وهب بن منبه بن كامل الصنعانى الزماري ، أبو عبد الله الأخبارى مؤرخ . كثير الإخبار عن الكتب القديمة : يعد من التابعين . روى عن ابن عباس ، وجابر ، وطائفة . وثقه النسائى ، قتله يوسف بن عمر سنة (١١٠) . لـه ترجمة فى خلاصة تهذيب الكمال ص (٤١٩) وفي معجم الإعلام : ٩٣٢ .

فهـم يقولون: إن الجنة لم تكن فى الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة ، ثم قال وأخرجه من مشـرق جـنة عـدن ، ولـيس في جـنة المـأوى مشـرق ولا مغـرب لأنـه لا شمس فيها ، ثم قال: وأخـرجه إلى الأرض التى أخرج منها ، يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب لـه فى عدن فى شـرقى أرض الهـند ، وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة ، إنما تنبئ عن أرض اليمن ، وعن عدن وهـى - مـن أرض الـيمن - ، وأخـبر أن الله نصـب الفردوس لآدم - عليه الصلاة والسلام - بعـدن ، ثـم أكـد ذلـك بـأن قال: الأربعة أنهار التى ذكرناها منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم .

قـال مـنذر: وقـال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى هريرة : قال: واشتهى آدم عند موته قطفا مـن الجـنة الـتى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو فى الأرض ، فخرج أولاده ، يطلـبون ذلك لـه حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا ، يطلبون لأبيهم ثمرة جنة الخلد فى الأرض .

قـال: ونحـن لم نـنقل عشـر ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنة الخلد ، لخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن ، وغيرنا قطع وادعى بما ليس لـه عليه برهان .

فهـذا ذكـر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله - تعالى - ونبين ما لهم وما عليهم .

* * * * * * *

الباب الثالث

حجج من اختار أنها جنة الخلد

(فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة)

قالوا: قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعا .

قالوا: وقد روى مسلم فى صحيحه[١] من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله – تعالى – الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم – عليه السلام – فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟**» وذكر الحديث .

قالوا: وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها . وفى الصحيحين[٢] حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى: أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ ، وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا: وقد قال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٣] .

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين: أحدهما: من لفظة اهبطوا ، فإنه نزول من علو إلى أسفل ، والثانى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ عقيب وقوله: ﴿اهْبِطُواْ﴾ . فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، ثم أكد هذا بقوله فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٤] ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

---

(١) رواه مسلم فى الإيمان: حديث (٣٢٩) .

(٢) رواه البخارى فى القدر: ب(١١) ، ومسلم فى القدر: حديث (١٣) .

(٣) آية (٣٥ ، ٣٦) سورة البقرة .

(٤) آية (٢٥) سورة الأعراف .

قالوا: وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا في جنة الخلد فقال: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾[1] وهذا لا يكون في الدنيا أصلا، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لابد أن يعرض له شيء من ذلك، وقابل سبحانه بين الجوع والعرى، والظمأ والضحى، فإن الجوع ذل الباطن، والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن، والضحى حر الظاهر، فنفى عن ساكنها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعرى والضحى. وهذا شأن ساكن جنة الخلد.

قالوا: وأيضا فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾؟[2] فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، وأن ملكها يبلى.

قالوا: وأيضا هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جدا في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[3] فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة، ولهذا أتى فيه بضمير الجمع؛ وقد قيل: إن الخطاب لهما وللحيّة وهذا ضعيف جداً، إذ لا ذكر للحيّة في شيء من قصة آدم، ولا في السياق ما يدل عليها، وقيل: الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾[4] وهما داود وسليمان، وقيل: لآدم وحواء وذريتهما.

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول، لأنها بين قول لا دليل عليه، وبين ما يدل اللفظ على خلافه، فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من المهبطين، فإذا تقرر هذا، فقد كرر سبحانه الإهباط ثانيا بقوله: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5] والظاهر أن

---

(١) آية (١١٨) سورة طه.
(٢) آية (١٢٠) سورة طه.
(٣) آية (٣٢ - ٣٧) سورة البقرة.
(٤) آية (٧٨) سورة الأنبياء.
(٥) آية (٣٨) سورة البقرة.

هذا الإهباط الثاني غير الأول، وهو إهباط من السماء على الأرض، والأول إهباط من الجنة، وحينئذ فتكون الجنة التي أهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد، وقد ظن الزمخشري[١] أن قوله: ﴿ اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما.

قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[٢] قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم.

ومعنى قوله: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضا، وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية، فإن العداوة التي ذكرها الله - تعالى - إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٤] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو.

وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها.

وجعل بينهما مودة ورحمة، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته، والعداوة بين الإنسان والشيطان. وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه، فلم يصنع الزمخشري شيئا.

وأما قوله تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ وهذا خطاب لآدم وحواء: وقد جعل بعضهم عدوا لبعض، فالضمير في قوله: ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا ﴾، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه، أو إلى آدم وإبليس، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له، وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين:

---

(١) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي. يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زمانا. كان واسع العلم، كثير الفضل متفننا في كل علم، ومعتزليا. مات سنة (٥٣٨). له ترجمة في: البداية والنهاية (١٢/ ٢١٩)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٥٤).

(٢) آية (١٢٣) سورة طه.

(٣) آية (٣٨، ٣٩) سورة البقرة.

(٤) آية (٦) سورة فاطر.

أحدهما: أمره تعالى وزوجه بالهبوط . **والثانى:** إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس ، ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الأول ، ولابد أن يكون إبليس داخلا فى حكم هذه العداوة قطعا ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾[1] . ، وقال للذرية: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[2] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية ؟ ، وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية ، وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ ، وكذلك فى (سورة ص)[3] وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم .

وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين[4] وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما ، وقد حكيت القولين فى ذلك .

والذى يوضح أن الضمير فى قوله: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ لآدم وإبليس ، أن الله - سبحانه - لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾[5] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعا ، فإن المقصود إخبار الله - تعالى - للثقلين ، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ فى حصول المعنى ، من ذكر أبوي الإنس فقط .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبى الإنس وأمهم ، فتأمله .

وبالجملة فقول: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ظاهر فى الجمع فلا يسوغ حمله على الاثنين فى قوله: ﴿اهْبِطَا﴾ من غير موجب .

---

(١) آية (١١٧) سورة طه .
(٢) آية (٦) سورة فاطر .
(٣) في الآية (٧٧) ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وفي [سورة الحجر : ٣٤] .
(٤) الثقلين : الإنس والجن .
(٥) آية (١٢١) سورة طه .

قالوا: وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، فقد صار هذا الاسم علما عليها بالغلبة كالمدينة ، والنجم ، والبيت ، والكتاب ، ونظائرها ، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة فى قلوب المؤمنين .

وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجىء منكرة أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض .

فالأول كقوله: ﴿ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾[1] .

والثانى كقوله: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾[2] .

والثالث كقوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾[3] .

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ، ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى[4] الأشعرى قال: إن الله - تعالى - لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شىء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

قالوا: وقد ضمن الله - سبحانه وتعالى - له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها ، كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[5] قال: يا رب ألم تخلقنى بيدك؟ قال: بلى ، قال: أى رب ألم تنفخ فىّ من روحك؟ قال: بلى ، قال: أى رب ألم تسكنى جنتك؟ قال: بلى ، قال: أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى ، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟ قال: بلى . قال: فهو قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ وله طرق عن ابن عباس ، وفى بعضها: كان آدم قال لربه إذ عصاه: رب إن تبت وأصلحت ، فقال له ربه : وإنى راجعك إلى الجنة[6] فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حجج الآخرين .

* * * * * * *

---

(١) آية (٣٢) سورة الكهف .

(٢) آية (٣٩) سورة الكهف .

(٣) آية (١٢٧) سورة القلم .

(٤) أبو موسى الأشعرى هو: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعرى . كان له ثلاث هجر: إلى مكة ، ثم إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة . وكان رضى الله عنه قارئا صيتا . مات سنة (٤٢) . له ترجمة فى الرياض المستطابة ص (١٨٨ - ١٩١) .

(٥) آية (٣٧) سورة البقرة .

(٦) ابن كثير (١/ ٨١) .

الباب الرابع
سياق حجج المخالفين لهذا الرأى

(فى سياق حجج الطائفة التى قالت: ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض) .

قالوا: هذا قول تكثر الأدلة الموجبة للقول به فنذكر بعضها . قالوا: قد أخبر الله - سبحانه - على لسان جميع رسله: أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله - سبحانه وتعالى - لنا فى كتابه بصفاتها ، ومحال أن يصف الله - سبحانه وتعالى - شيئا بصفة ، ثم يكون ذلك الشىء بغير تلك الصفة التى وصفه بها .

قالوا: فوجدنا الله - تعالى - وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ، فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها . . ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها . . ، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى . . ، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء . . ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبدا ، وقد عصى آدم ربه في جنته التى دخلها . . ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل . . ، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة . . ، ودار القرار ولم يستقرا فيها . وقال فى داخليها: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[1] ، وقد أخرج منها الأبوان ، وقال: ﴿ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾[2] ، وقد ند فيها آدم هاربا فارا ، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه . . ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه . . ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم - عليه السلام - كذب إبليس ، وقد سماها الله - سبحانه وتعالى - مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه . وقد قال تعالى للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3] ولم يقل: إنى جاعل فى جنة المأوى ، فقالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ ، ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى .

---

(١) آية (٤٨) سورة الحجر .
(٢) الآية السابقة .
(٣) آية (٣٠) سورة البقرة .

وقد أخبر الله - تعالى - عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾[1]؟ فإن كان الله - سبحانه وتعالى - قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى، فكيف لم يرد عليه ويقول له: كيف تدلنى على شىء أنا فيه وقد أعطيته؟ ، ولم يكن الله - سبحانه وتعالى - قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ، ولكنه لما كان فى غير دار خلوده غره بما أطمعه فيه من الخلد .

وقالوا : ولو كان آدم سكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس ، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور ، حتى فتن فيها آدم - عليه السلام - ووسوس له؟ ؛ وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه ، وإما أن تكون فى أذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين؟ ، وأيضا فبعد أن قيل له: اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾؟ .[2] فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرا فما التكبر بعد هذا؟ .

فإن قلتم: فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض وهما فوق السماء فى عليين ، فهذا غير معقول لغة ولا حسا ولا عرفا ، وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحيّة حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحيّة؟ .

وإذا قلتم: إنه دخل فى قلوبهما ووسوس إليهما ، فالمحذور قائم ، وأيضا فإن الله- سبحانه وتعالى - حكى مخاطبته لهما كلاما سمعاه شفاها ؛ فقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾[3] وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ، ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله - تعالى - له: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾[4] ولم يقل عن هذه الشجرة ، فعندما قال لهما: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ لما أطمعهما فى ملكها والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريبا لها وإحضارا لها عندهما

---

(١) آية (١٢٠) سورة طه .
(٢) آية (١٣) سورة الأعراف .
(٣) آية (٢٠) سورة الأعراف .
(٤) آية (٢٢) سورة الأعراف .

وربهمـا - تعالى - قال لهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ ولما أراد إخراجهما منها، فأتى باسـم الإشـارة بلفـظ البعد والغيبة، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى نهـيا عـنها، وأيضا فإنه - سبحانه - قال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[1] ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس.

قـال ابـن منذر: وقد روى عن النبى ﷺ: أن آدم - عليه السلام - نام فى جنته وجنة الخلد لا نـوم فـيها بالـنص وإجمـاع المسلمين، فإن النبى ﷺ سئل أينام أهل الجنة؟ قال: **«لا، النوم أخو المـوت والنوم وفاة»**[2] وقـد نطق به القرآن، والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحـوال والنائم ميت أو كالميت. قلت: الحديث الذى أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم. وقال أسباط عن السدى: أسكن آدم - عليه السلام - الجنة وكان يمشى فيها وحْشًا ليس لـه زوج يسكن إليها، فنام نومة فاسـتيقظ فـإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟. قالت: لتسكن إلىّ.

وقـال ابن إسحاق عن أبن عباس: ألقى الله على آدم - عليه السلام - السنة ثم أخذ ضلعا مـن أضـلاعه مـن شـقه الأيسر والأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضـلعه تلـك زوجـته حـواء، فسـواها امرأة يسكن إليها، فلما كشف عنه السنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه فقال: لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها.

قـالوا: ولا نزاع أن الله - سبحانه وتعالى - خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصـلا أنـه نقلـه إلى السـماء بعـد ذلـك، ولـو كـان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكـر، لأنـه مـن أعظـم الآيـات ومـن أعظـم النعم عليه، فإنه كان معراجا ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماء.

قالوا: وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خلـيفة؟، وكـيف يسـكنه دار الخلد التى من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[3].

---

(١) آية (١٠) سورة فاطر.

(٢) (صحيح) المشكاة (٥٦٥٤)، والحلية (٧/ ٩٠)، والسلسلة الصحيحة (١٠٨٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر بن عبد الله، وفي كنز العمال: (ح ١١/ ٣٩٣٢١)

(٣) آية (٤٨) سورة الحجر.

قالوا: ولو لم يكن معنا في المسألة إلا أن الله - سبحانه - أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم - عليه السلام - وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه، ثم أدخل آدم - عليه السلام - الجنة بعد هذا، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنة فوق السماوات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة، كقول من قال: يجوز أن يصعد إليها صعودا عارضا لا مستقرا، وقول من قال: أدخلته الحيّة، وقول من قال: دخل إليها في أجوافها، وقول من قال: يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء . ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا . فإنه - سبحانه - لما أهبطه من ملكوت السماوات حيث لم يسجد لآدم - عليه السلام - أشرب عداوته، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها . والله أعلم .

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون: أن الله - سبحانه - لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي إليه . وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه[1] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم- عليه السلام - ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه. فقال ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام، ثم رجع على ربه فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. فقال الله له ويداه مقبوضتان، اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال : يا رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره، فإذا فيها رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتب له عمر أربعين سنة. قال: يا رب زد في عمره، قال : ذلك الذي كتبت له، قال: أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها. فكان آدم - عليه السلام - يعد لنفسه، قال: فأتاه ملك الموت فقال له آدم: وقد عجلت قد كتبت لي ألف سنة، قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي**

---

(١) في التفسير: ب(٩٤): حديث (٣٣٦٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٨٥)، والحاكم (١/ ٦٤) .

فنسيت ذريته، قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود» قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة .

قالوا: فهذا صريح في أن آدم - عليه السلام - لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها ، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله-تعالى- لها ولسكانها أجلا معلوما ، وفيها أسكن .

فإن قيل: فإذا كان آدم - عليه السلام - قد علم أن له عمرا مقدرا وأجلا ينتهي إليه ، وأنه ليس من الخالدين ، فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾[1] وقوله: ﴿ **أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾[2] ؟ .

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتي .

الثاني: أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه في الخلود نسي ما قد قدر له من عمره .

قالوا: وأيضا فمن المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله - سبحانه - خلق آدم - عليه السلام - من تربة هذه الأرض ، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين ، وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون . فقيل: هو الذي له صلصلة ليبسه . وقيل: هو الذي تغيرت رائحته من قولهم: صل اللحم إذا تغير . **والحمأ**: الطين الأسود المتغير ، **والمسنون**: المصبوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الأول . كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ،ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ولم يخبر - سبحانه وتعالى - أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه؟ وهذا ما لا دليل لكم عليه ، ولا هو لازم من لوازم ما اخبر الله به .

قالوا: ومن المعلوم أن ما في السماوات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي أنتن من تغيره ، وإنما محل هذا الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات ، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء . قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا**

---

(١) آية (١٢٠) سورة طه .
(٢) آية (٢٠) سورة الأعراف .

دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1] .

فأخبر - سبحانه - أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ . قالوا: فإذا جمع ما أخبر به - سبحانه - من أنه خلقه في الأرض ، وجعله خليفة في الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف ، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولايخاف ولا ينام ، وأن الله حرمها على الكافرين ، وإبليس رأس الكفر ، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل ، فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب . والله الموفق .

قالوا: ولم يكن في هذه المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله - سبحانه - الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد ، فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم .

* * * * * *

(١) آية (١٠٨) سورة هود .

الباب الخامس

فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا: أما قولكم إن قولنا: هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه ، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل ، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة ، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن ، بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا ، وقد وجدنا من كلام السلف ما يدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وقول آدم: وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ؟ . فإنما يدل على تأخر آدم - عليه السلام - عن الاستفتاح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما فى اللفظ الآخر: إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام؟ وكذلك قول موسى له: أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد .

وقولكم: إنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين ، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما فى كونها فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء .

وأما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ ﴾ عقيب إخراجهم من الجنة ، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر ، فإنها كانت جنة فى أعلى الأرض فأهبطوا منها إلى الأرض .

وقد بينا أن الأمر كان لآدم - عليه السلام - وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد إهباطه الأول لَمَّا أبى السجود لآدم - عيه السلام - . فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها ، وقد تقدمت .

وأما قولـه تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[(١)] . فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، فإن الأرض اسم جنس ، وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فأهبطوا إلى أرض يعرف فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم ، وخروجهم من القبور ، والجنة التى أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى . والأرض التى أهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره .

وأما قولكم: إنه - سبحانه وتعالى - وصفها بصفات لا تكون فى الدنيا ، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون فى الأرض التى أهبطوا منها .

وأما قولكم: إن آدم - عليه السلام - كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس فى قوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾[(٢)]؟ .

فجوابه من وجهين: **أحدهما:** أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذى لا انقطاع له فإنه فى اللغة: المكث الطويل ومكث كل شىء بحسبه ، ومنه قولهم: رجل مخلد إذا أسن وكبر ، ومنه قولهم لأثافى[(٣)] الصخور: خوالد ، لطول بقائها بعد دروس الأطلال[(٤)] قال:

إلا رماداً هامداً دفعت ::: عنه الرياحُ خوالدَ سُحْم[(٥)]

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقادم عهده وإن كان له أول ، كما قال تعالى: ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[(٦)] ، ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾[(٧)] ، ﴿ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[(٨)] وقد أطلق تعالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس وأطلقه النبى ﷺ على قاتل نفسه .

الوجـه الثانى: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجىء الآخرة إنما يعلم بالوحى ، ولم يتقدم لآدم - عليه الصلاة والسلام - نبوة يعلم بها ذلك ، وهو إن نبأه الله - سبحانه وتعالى - وأوحى إليه وأنزل عليه صحفا كما فى حديث أبى ذر ، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن ، قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾[(٩)]

---

(١) آية (٣٦) سورة البقرة .
(٢) آية (١٢٠) سورة طه .
(٣) الأثافى: جمع أثفية ، وقد تخفف الياء فى الجمع ، وهى الحجارة التى تنصب وتجعل عليها القدر . (مختار الصحاح: ثفي .)
(٤) دروس : عفا وذهب أثره . الأطلال : ما شخص وبقى من آثار الديار .
(٥) سُحْم : سود . جمع مفردها : أَسْحَم : أسود .
(٦) آية (٣٩) سورة يس .
(٧) آية (٩٥) سورة يوسف .
(٨) جزء من آية (١١) ﴿ ... فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ سورة الأحقاف .
(٩) آية (١٢٣) سورة طه .

وكذلك فى سورة البقرة: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ الآية .

وأما قولكم: إن الجنة وردت معرفة باللام التى للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعا ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[1] .

وقولكم: إن السياق ها هنا دل على أنها جنة فى الأرض .

قلنا: والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم - عليه السلام - فى الأرض ، فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبى موسى: أن الله أخرج آدم - عليه السلام - من الجنة ، وزوده من ثمارها[2] فليس فيه زيادة على ما دلَّ القرآن إلا تزوده منها ، وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد .

وقولكم: إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم وكان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «لولا بنو إسرائيل لم[3] يخنز اللحم»[4] أى لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله - سبحانه وتعالى - فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير[5] .

وأما قولكم: إن الله - سبحانه وتعالى - ضمن لآدم - عليه السلام - إن تاب أن يعيده إلى الجنة ، فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها ، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفَّى سبحانه بضمانه حق الوفاء ، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها . كما قال شعيب لقومه: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾[6] ، وقد جعل سبحانه المُظَاهِرَ[7] عائدا بإرادته الوطء ، ثانيا أو بنفس الوطء أو بالإمساك ؛ وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

* * * * * * *

---

(١) آية (١٧) سورة القلم .

(٢) سبق .

(٣) لم يخنز اللحم: أى ما أنتن . يقال: خنز يخنز وخزن يخزن: إذا تغيرت ريحه . النهاية (٢/ ٨٣) .

(٤) البخارى (٤/ ١٦١) ، ومسلم فى الرضاع: ب (١٩): حديث (٦٣) .

(٥) الذي ذكرت في القرآن . قال تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

(٦) آية (٨٩) سورة الأعراف .

(٧) المظاهر : الذي يقول لزوجته : أنت عَلَيَّ كظهر أمي . فتحرم عليه والظِّهَارُ كفارته في الآيات : ٢-٤ من سورة قد سمع .

الباب السادس

دخـــول الجنـــة

(فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عمّا احتج به منازعوهم)

قالوا: أما قولكم إن الله - سبحانه - أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة .

وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء فى البرزخ فى الجنة ، وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا؟ وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد .

قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة ، وأنها لم توجد فى جنة آدم - عليه السلام - من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها . فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدلُّ عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله - سبحانه وتعالى - من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافى بين الأمرين .

وأما قولكم: إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف ، وقد كلف الله - سبحانه - آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود . فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت.....**» [1] الحديث .

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (١٠٧) ، وفي كتاب بدء الخلق باب (٨) ، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة : ٢١ ، وفي مسند أحمد (ج٢/٣٣٩) .

الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفا أو لم يسم .

الوجه الثاني: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام ، والصلاة ، والجهاد ، ونحوها ، وإنما كان حجرا عليهما فى شجرة واحدة من جملة أشجارها ، إما واحدة بالعين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها ، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون ، وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء ،فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعودا عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله - تعالى - وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقعدا له مستقرا كما كان ، وقد أخبر الله - سبحانه - عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحى [1] وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى: ﴿ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[2] فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل ، والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله - سبحانه - أعلم آدم - عليه السلام - مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة .

وأما إخباره - سبحانه - أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب فى ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها؟ ، وقد جاء فى بعض الآثار: «أن الله - سبحانه - ألقاه على باب الجنة أربعين

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ [سورة الجن :٩]
(٢) آية (٣٦) سورة البقرة .

صباحا، فجعل إبليس يطوف به ويقول: لأمر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سُلِّطتُ عليه لأهلكنه، ولئن سُلِّطَ علي لأعصينه»[1] مع أن قوله سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2].

يدل على أنه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك، ولو كان خَلْقُهُ قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده - سبحانه - إلى السماء لأمر دبره وقدره، ثم يعيده إلى الأرض، فقد أصعد المسيح ﷺ إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السماوات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم. والله أعلم.

* * * * * * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج٣/ ١٥٢) من حديث أنس . ورواه مسلم بلفظ مقارب . وفي تفسير ابن كثير (١/ ٧٥) .

(٢) آية (٣٠ - ٣٢) سورة البقرة .

الباب السابع
فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[١] و ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[٢] ، فتموت الحور العين التى فيها والولدان ، وقد أخبر سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ .

قالوا: وقد روى الترمذى فى جامعه[٣] من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان[٤]، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»** قال: هذا الحديث حسن غريب .

وفيه أيضا من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة»**[٥] قال: هذا حديث حسن صحيح .

قالوا: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعانا ، ولم يكن لهذا الغرس معنى .

قالوا: وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبا أو بنى له بيتا: انسج لى ثوبا وابن لى بيتا ، وأصرح من هذا قول النبى ﷺ: **«من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة»** متفق عليه[٦] .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ؛ وهذا ثابت عن النبى ﷺ من رواية عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعمرو بن عنبسة .

---

(١) آية (٨٨) سورة القصص .
(٢) آية (١٨٥) سورة آل عمران .
(٣) الترمذى فى الدعوات: (٥٩): حديث (٣٤٦٢) .
(٤) قيعان: جمع قاع ، وهو المكان المستوى الواسع فى وطأة من الأرض . وقاعة الدار ساحتها . المختار والمعجم الوسيط: قاع .
(٥) رواه الترمذى فى الدعوات: ب(٦٠): حديث (٣٤٦٤ ، ٣٤٦٥) .
(٦) البخارى فى الصلاة ب(٦٥): حديث (٤٥٠) ، ومسلم فى المساجد: ب(٤): حديث (٥٣٣) .

قالوا: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر الملك عن العمل. قالوا: وقد روى ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده[1] من حديث أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبض الله ولد العبد، قال: يا ملك الموت قبضت ولد عبدى، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده! قال: نعم. قال: فما قال؟ قال: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه: بيت الحمد»**.

وفى المسند[2] من حديثه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتا فى الجنة»**. قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم، فهذا ابن مزين قد ذكره فى تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة. أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل. والله أعلم.

* * * * * * *

(١) (حسن) في مسند أحمد ٤/ ٤١٥.
(٢) (صحيح) في مسند أحمد (٦/ ٣٢٦).

الباب الثامن
فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم فى الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه من كفاية ،

فنقول: ما تعنون بقولكم: إن الجنة لم تخلق بعد؟ ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد؟ ، بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التى تقدم بعضها وسيأتى بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعا . أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يُحْدِث فيها شيئا بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورا أخر؟ ، فهذا حق لا يمكن رده .

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه ، وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة ، وأن الذكر ينشئ الله - سبحانه - لقائله منه غراسا فى تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع له فى الجنة ، وكلما عمل خيرا غرس له به هناك غراس وبنى له بناء ، وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لايدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[1] فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم به على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم فى الآية .

قال البخارى فى صحيحه[2]: يقال ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾: إلا ملكه ، ويقال: إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف الجنة ، والله - سبحانه وتعالى - عليه فلا يهلك ولا يبيد .

---

(١) آية (٨٨) سورة القصص .

(٢) البخارى فى التفسير: ب(٢٨) سورة القصص .

وأما قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ فذلك أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1]، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض فطمعوا فى البقاء، فأخبر الله - تعالى - عن أهل السماوات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: كل شيء هالك - يعنى ميت - إلا وجهه، لأنه حى لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت. انتهى كلامه.

وقال فى رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخرى ذكره أبو الحسين فى (كتاب الطبقات): قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

وساق أقوالهم إلى أن قال: وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله - عز وجل - وخلق الخلق لهما وخلق كُلُّ شيء الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا.

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله- عز وجل -: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[2] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة ولا أبدا، لأن الله - عز وجل - خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن - عز وجل - فوق الماء، وأن الله - عز وجل - على العرش، والكرسى موضع قدميه، وهو يعلم ما فى السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصا والتراب والرمل، ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم

---

(١) آية (٣٦) سورة الرحمن.
(٢) سبقت.

وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله - عز وجل-: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[(١)] وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[(٣)] وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾[(٤)] ونحو هذه من متشابه القرآن فقل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله - عز وجل - على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان.

وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عون بن سفيان الحمصى، قال الخلال[(٥)] حافظ إمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة: كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده، وقال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر. قال النبى ﷺ: **«دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ورأيت الكوثر، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»**[(٦)] فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار، وذكر رسالة فى السنة قال فيها: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: **«اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»**[(٧)]. فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار. فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب البتة. ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سِفْر ضخم، والله المستعان وعليه التكلان، وهو الموفق للصواب.

* * * * * * *

---

(١) آية (١٦) سورة ق.
(٢) آية (٤) سورة الحديد.
(٣) آية (٧) سورة المجادلة.
(٤) الآية السابقة.
(٥) الخلال: أحمد بن محمد بن هارون. أبو بكر. الخلاّل. مفسر. عالم بالحديث واللغة. من كبار الحنابلة. توفي سنة: ٣١١هـ. معجم الأعلام: ٦٣.
(٦) البخارى (٤/ ١٤٢)، ومسلم فى الذكر والدعاء: حديث (٩٤)، وأحمد (١/ ٢٣٤).
(٧) سبق تخريجه.

الباب التاسع
فى ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[١] . وقال فى صفة النار: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[٢] بغير واو ، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخل الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة ، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية ، وهذا أيضا ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف . وقوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عطف على قوله: ﴿ جَاءُوهَا ﴾ . وهذا اختيار أبى عبيدة[٣] ، والمبرد[٤] ، والزجاج وغيرهم .

قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم . قال أبو الفتح بن جنى: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقى أن يقال: فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة ، وذكره فىآية أهل النار؟ فيقال: هذا أبلغ فى الموضعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول ،

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا

---

(١) آية (٧٣) سورة الزمر .

(٢) آية (٧١) سورة الزمر .

(٣) أبوعبيدة هو: معمر بن المثنى التميمى ، وكان علىسعة معرفته فى اللغة إذا أنشد بيتا لم يقم اعرابه . مات سنة (٢٠٩هـ) . له ترجمة فى: وفيات الأعيان (٢/ ١٠٥) ، ومعجم الأدباء (١٩/ ١٥٤) ، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٢) .

(٤) المبرد هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالى ، كان شيخ أهل النحو والعربية ، وإليه انتهى علمهما . مات سنة (٢٨٥هـ) . له ترجمة فى وفيات الأعيان (١/ ٤٩٥) ، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠) ، وأنباه الرواة (٣/ ٢٤١) .

أبوابها مغلقة ، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، فكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ، فيقول: أنا لها . فيأتى إلى تحت العرش ويخر ساجدا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ، ثم يأذن له فى رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه - سبحانه - فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها ، وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه . وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوك رب العالمين ، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله - تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم . وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، مما يقدر عليه بخلاف ذلك ، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان[1] الذى يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، ولهذه الدار فليعد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيئ له .

وتأمل ما فى سوْق الفريقين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير . كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرا يلعن بعضهم بعض ويتأذى بعضهم بعضاً وذلك أبلغ في الخزى والفضيحة والهتيكة ، من أن يساقوا واحدا واحدا فلا تهمل تدبر قوله: ﴿ زُمَرًا ﴾ .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: سلام عليكم ، فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قالوا لهم: طبتم فادخلوها خالدين ، أى سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين ؛ فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه من توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: ﴿ أَلَمْ

---

(١) الخان: النُّزُلُ ، الفندقُ . المكان الذى يُعَدُّ للنازلين والضيفان . المختار والمعجم الوسيط: خان .

﴿ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾[١] فاعترفوا وقالوا: بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ادخلوها . وقول خزنة النار لأهلها: ادخلوا أبواب جهنم ، تجد تحته سرا لطيفا ، ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل وهو: أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء ، وأشد حرًّا وأعظم غمًّا ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ، ويدنو من الغمّ والخزى والحزن والكرب بدخول الأبواب . فقيل: ادخلوا أبوابها صَغارا لهم وإذلالا وخزيا ، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود فى النار .

وأما الجنة فهى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[٢] كيف تجد تحته معنى بديعا؟ ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مُفَتَّحَة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾[٣] أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمى الباب وصيدا وهى: ﴿ مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾[٤] قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل[٥]: يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضا فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم ، وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

---

(١) آية (٧١) سورة الزمر .
(٢) آية (٥٠ ، ٥١) سورة ص .
(٣) آية (٨) سورة الهمزة .
(٤) آية (٩) سورة الهمزة .
(٥) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن . توفي سنة: ١٥٠ هـ معجم الأعلام: ٨٥٧ .

وأيضا أشار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة .

فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العين أى عينه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1] أى مأواه .

وقال بعض البصريين: التقدير: مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به ، قال: وهذا التقدير فى العربية أجود من أن تجعل الألف[2] واللام بدلا من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شىء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ولا تنوب عنه ، قالوا: وأيضا لو كانت الألف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون فى ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع الأبواب دلّ على أن مفتحة خال من ضمير ، والأبواب مرتفعة به . وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول: مررت برجل حسن الوجه ، ولو رفعت الوجه ونونت حسنا لم يجز ، فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا ، فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ، ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره: الأبواب منها .

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه ، وإجماع العرب على قولهم: "حسن الوجه" ، "وحسن وجهه" شاهد بذلك ، وقد قالوا: إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين ، والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البدل معنى المبدل منه ، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير . لو قيل: أبوابها ؛ وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة ، فلما كان الضمير

---

(١) آية (٣٩) سورة النازعات .

(٢) الهاء والألف: "ها" فى "منها" فى تقدير بعض البصريين (مفتحة لهم الأبواب منها)

عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال، وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسرة، وهذا يعين ما دخل عليه ؛ وقد قالوا فى زيد: نعم الرجل: إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزمخشرى هذه الآية إعرابا اعترض عليه فيه فقال: جنات عدن معرفة كقوله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[١] وانتصابها على أنها عطف بيان ﴿ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[٢]، ومفتحة حال، والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير تقديره: مفتحة، هى الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو بدل من الاشتمال، هذا إعرابه، واعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها . وأما قوله: ﴿ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ ﴾ فبدل لا صفة، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان ﴿ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان، لا قائل به، فإن القائل قائلان .

أحدهما: أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين .

والثانى: أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبى على الفارسى . وقوله: إن فى ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن الأبواب: مرتفع به ولا ضمير فيه .

وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لابد فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظا به، وأن يكون مقدرا ؛ وهنا لم يلفظ به فلابد من تقديره أى: الأبواب منها، فإذا كان التقدير ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ لهم هى الأبواب منها، كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى .

وفى الصحيحين[٣] من حديث أبى حازم عن سهل[٤] بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**فى الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون**» .

وفى الصحيحين[٥] من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة - رضى

---

(١) آية (٦١) سورة مريم .
(٢) فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٩]
(٣) البخارى (٣/ ٣٢)، ومسلم فى الصيام: حديث (١٦٦) .
(٤) سهل بن سعد بن مالك الأنصارى الخزرجى الساعدى . كان اسمه حزنا فسماه النبى ﷺ سهلا . وتوفى النبى ﷺ وله خمس عشرة سنة، ما سنة (٨٨) وقيل (٩٦هـ) . له ترجمة فى: الرياض المستطابة ص (١١٠، ١١١) .
(٥) البخارى فى الصوم: ب(٤): حديث (١٨٩٦)، ومسلم فى الزكاة: ب(٢٧): حديث (٨٥) .

الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين فى شىء من الأشياء فى سبيل الله، دعى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟، فقال: نعم، وأرجو أن تكون منهم» .

وفى صحيح مسلم[1] عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» .

زاد الترمذى[2] بعد التشهد: «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين»

زاد أبو داود والإمام أحمد[3]: «ثم رفع نظره إلى السماء فقال» .

وعند الإمام أحمد[4] من رواية أنس يرفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فتح له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» .

وعن عتبة بن عبد الله السلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثا من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجة[5] وعبد الله بن أحمد[6] عن ابن نمير ثنا إسحاق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة .

* * * * * *

---

(١) مسلم فى الطهارة: ب(٦): حديث (١٧) .

(٢) الترمذى فى الطهارة: ب(٤١): حديث (٥٥) .

(٣) أبو داود فى الطهارة: ب(٦٥) ، وأحمد (٤/ ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٣) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) (حسن) ابن ماجة فى الجنائز ، ب(٥٧): حديث (١٦٠٤) .

(٦) رواه أحمد في مسنده ٤/ ١٨٣ - ١٨٤ .

الباب العاشر
فى ذكر سعة أبوابها

عن أبى هريرة قال: «**وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع - وكان أحب الشاة إليه - فنهش نهشة وقال:" أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهش أخرى وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، فلما رأى أصحابه لا يسألونه. قال: ألا تقولون : كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر" ، فذكر حديث الشفاعة بطوله. وقال فى آخره: "فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى، فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلى ولن يقيمه أحدا بعدى، فأقول: يا رب، أمتى أمتى فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر. أو هجر ومكة**» . وفى لفظ: «**لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى**» متفق على صحته[١] .
وفى لفظ خارج الصحيح بإسناده: «**إن ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر**» .

وعن خالد بن عمير العدوى قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء[٢] ، ولم يبق منها إلا صُبابة[٣] كصبابة الإناء يصطبها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ[٤] من الزحام[٥] ،

فهذا موقوف والذى قبله مرفوع ، فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر له كان هذا سعة بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبى هريرة المتقدم .

ولكن قد روى الإمام أحمد فى مسنده[٦] من طريق حماد بن سلمة قال: سمعت الجريرى

---

(١) البخارى فى التفسير: ب(٥): حديث (٤٧١٢) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٨٤): حديث (٣٢٨) ، وفي مسند أحمد (ج ١١١/ ٩٦٢١)
(٢) بصرم: أى بانقطاع وانقضاء . وحذاء : ماوَطِئ عليه البعير من خفه والفرس من حافره . مختار الصحاح (صرم . حذا) .
(٣) صُبابة: هى البقية اليسيرة من الشراب تبقى فى أسفل الإناء . مختار الصحاح (صَبَّ) .
(٤) كظيظ: ممتلئ ، والكظيظ: الزحام . مختار الصحاح (كظَّ) .
(٥) مسلم فى الزهد فى المقدمة: حديث (١٤) .
(٦) أحمد (٥/ ٥٦٣) .

يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم موفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ**» وقد رواه ابن أبى داود أنبأنا إسحاق بن شاهين، أنبأنا خالد عن الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه "ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين"[1] . ورويناً فى مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة**» [2] وحديث أبى هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة . والله أعلم .

وروى أبو الشيخ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس، أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**الباب الذى يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجود ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**» رواه أبو نعيم عنه[3] وهذا مطابق للحديث المتفق عليه[4] «**إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى**» فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع مجرى لا يفتر ليلا ولا نهارا، يقطع هذه المسافة فى هذا القدر أو قريب منه .

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريرى التقدير بأربعين عاما؛ وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين، وحديث أبى سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاما على طريقة دراج عن أبى الهيثم، قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير . وقال أبو حاتم الرازى: ضعيف . وقال النسائى: ليس بالقوى .

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبى هريرة المتفق على صحته . على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع، ويحتمل أنه مدرج فى الحديث موقوف، فيكون كحديث عتبة بن غزوان . والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) كذا روى فى هذا الحديث "سبع سنين". قال العلامة الألبانى فى الصحيحة (٤/ ٢٧٤/ ١٦٩٨): "لعله خطأ مطبعى".

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير (ج١/ ٩٩) وعزاه إلى أحمد في "سنده" إلى أبي يعلي ورمز لـه السيوطي بالحسن .

(٣) (٦/ ٢٠٥) .

(٤) البخارى فى تفسير سورة الإسراء، ومسلم فى الإيمان: حديث (٣٢٧) .

الباب الحادى عشر
فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾[1] قال: أبواب ترى . وذكر أيضا عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتُكلّم ، وتفهم ما يقال لها: انفتحى انغلقى .

وقال أبو الشيخ: أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد ابن أبى الحوارى أنبأنا عبدالله بن غياث عن الفزارى قال: لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء وقد روى سهيل بن أبى صالح عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر»**[2] .

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :**«فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»**[3] . وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى»**[4] ويذكر عن على -رضى الله عنه- : **«من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر، واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة»**[5] .

فصل : لأمه محمد باب مختص بهم

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض . ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، كما

---

(١) آية (٥٠) سورة (ص) .

(٢) (صحيح) الدارمى (١/ ٢٧) ، وابن المبارك (٢/ ١١٢) .

(٣) أقعقعها: أى أحركها لتصوت . والقعقعة: حكاية حركة الشىء يسمع له صوت . النهاية ٤/ ٨٨ والحديث (صحيح) رواه الترمذى فى التفسير: ب(١٨): حديث (٣١٤٨) .

(٤) (حسن) صفة الجنة (١٨٤) .

(٥) ابن عساكر (١/ ٣٣٨) ، والاتحاف (٥/ ١٣١) .

في المسند[١] من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب الجواد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون حتى تكاد مناكبهم تزول**» . وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**» الحديث . وسيأتي بتمامه إن شاء الله - تعالى - . وقال خلف بن هشام البزار: ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال: إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ﴾ ، إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم قرأ: ﴿ **طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ ، فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان[٢] فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول أنت رأيته؟ فتقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكئ على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لالتمع[٣] بصره فيقول: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ ، والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) (ضعيف) الترمذي في صفة الجنة: ب(١٤): حديث (٢٥٤٨) .

(٢) الولدان : المذكورون في قوله تعالى : ﴿ **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** ﴾ [الإنسان : ١٩] .

(٣) التمع بصره: لمع البرق أضاء والتمع مثله . مختار الصحاح: لمع .

الباب الثانى عشر
فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا فى معجم الطبرانى[1] أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى ، وعبد الله بن الصقر العسكرى ، قالا: أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حزام ، حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ، حدثنا دلهم بن الأسود ابن عبد الله بن حاجب بن المتفق .

قال دلهم: وحدثنيه أيضا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط[2] بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: **«لعمر إلهك، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما»** وذكر الحديث بطوله .

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاما ، ولا يمكن حمله على باب معين ، لقوله: "ما منهن بابان". والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٠) .

(٢) لقيط بن عامر بن صبرة العقيلى ، أبو رزين ، صحابى . روى عنه ابنه عاصم وابن أخيه وكيع بن حدس . له ترجمة فى خلاصة تهذيب الكمال ص(٣٢٣) .

الباب الثالث عشر
فى مكان الجنة وأين هى؟

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[١] وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[٢] قال ابن أبى نجيح عن مجاهد: هو الجنة ، وكذلك تلقاه الناس عنه: وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضا عن مجاهد قال: هو الجنة والنار . وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار فى أسفل سافلين ليست فى السماء ، ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه ،وقال أبو صالح عن ابن عباس: الخير والشر كلاهما يأتى من السماء . وعلى هذا المعنى: أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله .

وقال الحارث بن أبى أسامة: حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا مهدى بن ميمون ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف : قال : سمعت عبد الله بن سلام يقول: إن أكرم خليفة الله أبو القاسم ﷺ ، وإن الجنة فى السماء" رواه أبو نعيم عنه . قال: ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعا ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال: ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعا . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ، ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: "الجنة فى السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الأرض السابعة" .

وقال ابن منده: ثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة ابن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال: "الجنة فوق السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار فى الأرض السابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء" ، وقال مجاهد: "قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات ، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة" . رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد .

وأما الأثر الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو ، قال: "الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنتشر فى كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير [٣] يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة" .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله - سبحانه وتعالى - بالشمس فى كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات

---

(١) آية (١٣- ١٥) سورة النجم .
(٢) آية (٢٢) سورة الذاريات .
(٣) الزرازير : طائر من العصفوريات . أكبر قليلا من العصفور- وهو طائر يصوت (مختار الصحاح . زرزور)

جعله الله – تعالى – مذكرا بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرة بتلك، وإلا فالجنة التي عرضها السماوات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها.

وقد ثبت في الصحيحين[1] عنه ﷺ أنه قال: **«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»** وهذا يدل على أنها في غاية العلو. والله أعلم. والحديث له لفظان هذا أحدهما. والثاني: **«إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»**[2] وشيخنا يرجح هذا اللفظ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة اكثر من ذلك. ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: **«إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»**[3] أي من جملة أسمائه هذا العدد، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين.

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة، تلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد، والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»**[4].

قال شيخنا أبو الحجاج[5] المزي: والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أي وسقفه عرش الرحمن.

فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها، فإن الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش أكبر منه.

قيل: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش، كان سقفا له دون ما تحته من الجنات، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن: أقرأ وارق، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظة، والله أعلم.

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) رواه مسلم في كتاب الإمارة (ج٣/ ١١٧)، وفي فتح الباري (ج٦ حديث ٢٧٩٠)

(٢) البخاري (٤/ ١٩، ٩/ ١٥٣)، وابن حبان (١٥٨٦).

(٣) البخاري في الدعوات: ب(٦٨): حديث (٦٤١٠)، ومسلم في الذكر ب(٢): حديث (٥، ٦).

(٤) البخاري في الجهاد: ب(٤): حديث (٢٧٩٠) وفي مسند الإمام أحمد (ج٢/ ٣٣٩)

(٥) أبو الحجاج المزي هو: الإمام الحافظ محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي الحافظ المزي الشافعي. رحل وسمع الكثير، لم تر العيون مثله. مات سنة (٧٤٢). له ترجمة في شذرات الذهب (٦/ ٣٦)، والنجوم الزاهرة (١٠/ ٧٦) ومعجم الأعلام: ٩٦٦.

الباب الرابع عشر
فى مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»** رواه الإمام أحمد فى مسنده[١] ولفظه: **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»**.

وذكر البخارى فى صحيحه[٢] عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان[٣]، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح.

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال: قال أعرابى: يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: **«لا إله إلا الله»**.

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال: إن السيوف مفاتيح الجنة[٤].

وفى المسند[٥] من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»** وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور. كما قال ﷺ: **«مفتاح الصلاة الطهور»**[٦] ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة فى الآخرة: الزهد فى الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله: إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلوب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٢).

(٢) فى: الجنائز: ب(١).

(٣) المراد بالأسنان الشروط التي لا تصح لا إله إلا الله بدونها: أولها: التصديق بها، وإفراد العبادة لله. وأنه واحد لا شريك له.

(٤) ابن أبى شيبة (٥/ ٢٩٢).

(٥) (صحيح) أحمد (٥/ ٢٤٢، ٢٤٤).

(٦) (صحيح) الترمذى (٣/ ٢٣٨)، وأحمد (١/ ١٢٣)، وأبو داود (٦١)، والدارمى (١/ ١٧٥).

الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده ، ومفتاح الرزق: السعى مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز: طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل ، ومفتاح كل خير: الرغبة فى الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر: حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه ، فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغَنىَّ مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصى مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة . وهذه الأمر لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

* * * * * *

الباب الخامس عشر
فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] ،فأخبر - تعالى - أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقا لكونه مكتوبا كتابة حقيقية ، وخص - تعالى - كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار ، وما وقع لهم به وإشهارا لـه وإظهارا بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء ، وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله - سبحانه وتعالى - وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفراييني فى صحيحيهما[2] من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة ، فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد لـه ، فقال: [أعوذ بالله من عذاب القبر] ثلاث مرات ، ثم قال: [إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن ، فجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان . قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِى[3] السقاء ؛ فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ؛ وذلك الحنوط ؛ ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ؛ قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعنى على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ؛ حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ؛ فيستفتحون لـه فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله - عز وجل - ، فيقول الله - عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

---

(١) آية (١٨ - ٢١) سورة المطففين .
(٢) (صحيح) أحمد (٤/ ٢٩٥) .
(٣) فِي : فم

قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام ، فيقولان: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، قال: فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة .

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح ، فيقول: رب أقم الساعة ؛ رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب .

قال: فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له .

ثم قرأ رسول ﷺ : ﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[1] ، فيقول الله - عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[2] .

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه ، لا أدرى ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه ، لا أدرى ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن

---

(١) آية (٤٠) سورة الأعراف .
(٢) آية (٣١) سورة الحج .

الـريح ، فيقول لـه: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول: من أنت فوجهك الوجـه الذى يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة " ورواه أبو داود بطولـه بنحوه[١] ، فهذا التوقيع والمنشور الأول .

فصل
وأما المنشور الثانى

فقال الطبرانى فى معجمه[٢]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى عن عبد الرزاق عن سفيان الـثورى عـن عـبد الـرحمن بـن زيـاد بـن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال: قال رسـول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»** . وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم ، أنبأنا محمد بن عبد الواحـد المقدسـى ، أنبأنا زاهر الثقفى أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم ، أنبأنا المطهر ابن عبد الواحد البراقى حدثنا محمد بن إسحاق بن منده أنبأنا محمد بن على البلخى حدثنا محمد ابـن خشـنان حدثـنا العـباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان الـنهدى عـن سـلمان الفارسـى ، أن الـنبى ﷺ قـال: **«يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الـرحمن الرحـيم، هـذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»** . قلـت: وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفـخ الـروح فـيه ، ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى المنشور يوم القيامة ، فالله المستعان .

* * * * * * *

(١) رواه أبـو داود فـى السـنة: ب(٢٧): حديـث (٤٧٥٣) ورواه أحمـد في مسـنده (ج٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨) ورواه الحـاكم في المستدرك عن الأعمش (ج ١/ ٣٧) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦١٩١) والأوسط (٣٠١١) ، مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٨) .

الباب السادس عشر
فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم . وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد سبحانه سبيل الجنة ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1] . وقال: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾[2] أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى . وقال: ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[3] .

وقال ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال: «**هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره، ثم قال: هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ ﴾[4] الآية**» .

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ﴾[5] .

قيل: هى سبل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم ، فهذه شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهى شعب ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها . وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا .

وقد روى البخارى فى صحيحه[6] عن جابر قال: **جاءت الملائكة إلى النبى ﷺ ، فقال بعضهم: إنه نائم ، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا ، فاضربوا له مثلا ، فقالوا: مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا: أوِّلوها له يفقهها ، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار: الجنة ، والداعى: محمد ، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس .**

---

(١) آية (١٥١) سورة الأنعام .
(٢) آية (٩) سورة النحل .
(٣) آية (٤١) سورة الحجر .
(٤) آية (٥٣) سورة الأنعام .
(٥) آية (١٥ - ١٦) سورة المائدة .
(٦) البخارى فى الاعتصام: ب(٢): حديث (٧٢٨١) . ومسند أحمد (ج١/ ٣٩٩) .

ورواه الترمذى[١] عنه ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال: «إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا. فقال: اسمع سمعت أذن، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا، ثم بنى فيها بيتا، ثم جعل مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة؛ ومن دخل الجنة أكل ما فيها» .

وصحح الترمذى[٢] من حديث عبد الله بن مسعود قال: "صلى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدى حتى خرج بى إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط على خطا ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك ، ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد ، فبينما أنا جالس فى خطى ، إذ أتانى رجال كأنهم الزط[٣] أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون إلىّ لا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل ، لكن رسول الله ﷺ قد جاءنى وأنا جالس فقال: لقد أرانى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى ، فتوسد فخذى فرقد ، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ ، فبينما أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إلى ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه . ثم قالوا: ما رأينا عبدا قط أوتى مثل ما أوتى هذا النبى ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلا ، مثل سيد بَنَى قَصْراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ؛ فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ، ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: "سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدرى من هم؟" قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: "هم الملائكة ، فتدرى ما المثل الذى ضربوه؟" قلت: الله ورسوله أعلم . قال: "الرحمن بنى الجنة ، ودعا عباده فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه".

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) الترمذى فى الأمثال: (ج٥/ ١٤٥): حديث (٢٨٦٠) .
(٢) صحيح رواه الترمذي(ج٥/ ١٤٥): حديث(٢٨٦١) .
(٣) الزط: جنس من السودان والهنود . النهاية (٢/ ٣٠٢) .

الباب السابع عشر
فى درجات الجنة

قال تعالى: ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

ذكر ابن جرير[2] عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ﴾ ، قال: هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاما[3] .

وقال ابن المبارك: أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[4] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذى قد فضل به فضله ولا يرى الذى هو أسفل منه، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة . ثم أوقعه ثانيا بدرجات؟ .

فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[5] . وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[6] .

---

(١) آية (٩٥ - ٩٦) سورة النساء .

(٢) ابن جرير هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملى الطبرى أبو جعفر . قال الخطيب: أحد الأئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله . مات سنة (٣١٠) . له ترجمة فى البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٢ .

(٣) صحيح : رواه ابن جرير (٩/ ١٨١)

(٤) آية (٤) سورة الأنفال .

(٥) آية (١٥) سورة آل عمران .

(٦) آية (٢ - ٤) سورة الأنفال .

وفى الصحيحين[١] من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** .

ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين ، والغابر هو الذاهب الماضى قد تدلى للغروب ، وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى ، فائدتان: إحداهما: بعده عن العيون ، والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله . والله أعلم .

وفى الصحيحين[٢] أيضا من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة، كما ترون الكوكب فى أفق السماء»** .

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا فزارة أخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن على عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات. قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه وفى هذا الحديث (الغارب) وفى حديث أبى سعيد الخدرى (الغابر) ؛ وقوله: الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربا وبكونه طالعا .

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك[٤] عن فليح بن سليمان عن هلال بن على عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات. قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: لا بل، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** . وهذا على شرط البخارى أيضا .
وفى المسند[٥] من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن المتحابين لترى غرفهم**

---

(١) رواه البخارى فى بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٥٦) ، ومسلم فى صفة الجنة: ب(٣): حديث (١١) .
(٢) البخارى فى الرقاق: ب(٥١): حديث (٦٥٥٥) ، ومسلم فى صفة الجنة: ب(٣): حديث (١٠) .
(٣) (صحيح) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٣٩) .
(٤) (صحيح) رواه أحمد (٨٢١٨) ، والترمذي (٢٥٥٦) و ابن المبارك (٢/ ١٢٦) .
(٥) (صحيح) أحمد (٣/ ٨٧) .

في الجـنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله — عـز وجل» . وفي المسند[١] من حديث أبي سعيد الخدري أيضا عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم» .

وفي المسند[٢] عنه أيضا عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه[٣] عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج ؛ وإما أن تكون نهايتها هذه المائة درجة ، وفي ضمن كل درجة درجة دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى هؤلاء الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان كان حقا على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه، قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس؟ قال: لا؛ ذر الناس يعملون، فإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر انهار الجنة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس» رواه الترمذي[٤] هكذا بلفظة . وروى أيضا من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة» ثم ذكر نحو حديث معاذ . وفيه أيضا من حديث عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام» [٥] قال: هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضا[٦] من حديث أبي سعيد الخدري يرفعه: «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في

---

(١) (ضعيف) أحمد (٣/٢٩) .
(٢) (صحيح) أحمد (٢/١٩٢) .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) رواه الترمذي في الجنة: ب(٤): حديث (٢٥٣٠) ولم يذكر درجة الحديث .
(٥) المصدر السابق: حديث (٢٥٢٩) .
(٦) (ضعيف) الترمذي في الجنة: ب(٤): حديث (٢٥٣٢) .

إحداهن لوسعتهم» ورواه أحمد دون لفظة: "فى" كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة "فى" وبدونها ، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء ، والنبى ﷺ ذكر هذا تقريبا للأفهام ، ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانئ التجيبى سمعت أبا على التجيبى سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو أبعد مما بين السماء والأرض،** قلت: يا رسول الله لمن؟ **قال: للمجاهدين فى سبيل الله»** [1] .

* * * * * * *

(١) سبق تخريجه .

الباب الثامن عشر
فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم[١] فى صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى»**.

وقال أحمد[٢]: أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم على فسألوا الله لى الوسيلة**. قيل : يا رسول الله وما الوسيلة؟ **قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»** هكذا الرواية أن أكون أنا هوْ ووجهها أن تكون الجملة خبرا عن اسم كان المستتر فيها ، ولا تكون أنا فصلا ولا توكيدا بل مبتدأ .

وفى الصحيحين[٣] من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ **«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة[٤] والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إلا حلت له شفاعتى يوم القيامة»** . هكذا لفظ الحديث (مقاما) بالتنكير ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا ألطف من جعل ألذى وعدته بدلاً ، فتأمله .

وفى المسند[٥] من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«الوسيلة درجة عند الله – عز وجل – ليس فوقها درجة، فسلوا الله لى الوسيلة»** .

وذكره ابن أبى الدنيا[٦] وقال فيه: [درجة فى الجنة ليس فى الجنة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق] .

---

(١) مسلم فى الصلاة: ب(٧) حديث (١١) .

(٢) أحمد (٢/ ١٦٨) .

(٣) البخارى فى الأذان: ب(٨): حديث (٦١٤) ، ومسلم فى الصلاة: ب(٧): حديث (١١) .

(٤) الوسيلة: هى فى الأصل ما يتوصل به إلى الشيء يتقرب به ، وجمعها: وسائل . والمراد فى الحديث: القرب إلى الله تعالى . النهاية (٥/ ١٨٥) .

(٥) (صحيح) أحمد (١/ ٨٣) .

(٦) ابن أبى الدنيا هو: الإمام المحدث عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى . قال الذهبى: كان أديبا صدوقا ، إخباريا كثير العلم . مات سنة (٢٨١) . له ترجمة فى: تاريخ بغداد (١٠/ ٨٩) والنجوم الزاهرة (٣/ ٨٦) ، البداية والنهاية (١١/ ٧١) .

وقال أبو نعيم[١]: أنبأنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن عمرو بن سلم الخلال ،حدثنا عبد الله بن عمران العبادى ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة: قالت: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلى من نفسى ، وإنك لأحب إلى من أهلى ، وأحب إلى من ولدى و أحب إلى من كذا وإنى لأكون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذ ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين ، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يردّ عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[٢] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى: لا أعلم بإسناد هذه الحديث بأسا .

وسميت درجة النبى ﷺ الوسيلة ؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن ، وهى أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل الاشتقاق لفظ الوسيلة من القرب ، وهى فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه .

قال لبيد[٣] : * بلى كل ذى رأى إلى الله واسل[٤] *

ومعنى الوسيلة: من الوسلة[٥] ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نورا ، وقال صالح ابن عبد الكريم: قال لنا فضيل[٦] بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: نور سقف مساكنكم نور عرشه . وقال بكر عن أشعث عن الحسن: إنما سميت عدن ، لأن فوقها عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور ، والقربى والزلفى: واحد ، وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل .

---

(١) (صحيح) الحلية (٨/ ١٢٥) .

(٢) آية (٦٩) سورة النساء .

(٣) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك شاعر من أصحاب المعلقات مخضرم . أسلم . ومدح النبي عليه السلام . وله قصيده شهيرة ومنها هذا البيت . الذي قال فيه النبي أصدق كلمة قالها لبيد :

أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ ::: وَكُلُّ نعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

توفي سنة : ٤١هـ

(٤) هذا عجز بيت وصدره :

أرى النَاسَ لا يَدرُون مَا قدر أمرهم ::: بَلَى كُلّ ذي رأيٍ إلى الله واسِلُ

(٥) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير . مختار الصحاح : وسل .

(٦) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى أبو على الزاهد ، أحد العباد . قال ابن سعد: كان ثقة نبيلا ، فاضلا عابدا ، كثير الحديث . مات سنة (١٨٧) . له ترجمة فى وفيات الأعيان (١/ ٤١٥) ، وشذرات الذهب (١/ ٣١٦) .

وقال الكلبي: أطلبوا إليه القربى بالأعمال الصالحة وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف، بقوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾(١) فقوله: ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به . وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة ، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضا فإن الله - سبحانه - قدرها له بأسباب ، منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى ، وصلوات الله وسلامه عليه .

وقوله: "حلت عليه" يروى: "عليه"(٢) و"له" فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ، ومن رواه بـ"على" ، فمعناه وقعت عليه شفاعتي . والله أعلم .

* * * * * * *

(١) آية (٥٧) سورة الإسراء .
(٢) سبق تخريجه .

الباب التاسع عشر
فى عرض الرب تعالى سلعته - الجنة - على عباده وثمنها الذى طلبه منهم وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] فجعل - سبحانه - ها هنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .

أحدها: إخبارهم - سبحانه وتعالى - بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن .

الثانى: الإخبار بذلك بصيغة الماضى ، الذى قد وقع وثبت واستقر .

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه - سبحانه - ، وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع .

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذه الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس: أنه أتى بصيغة على التى للوجوب إعلاما لعباده ، بأن ذلك حق عليه ، أحقه هو على نفسه .

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه .

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والإنجيل والقرآن .

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده من الله - سبحانه - .

التاسع: أنه - سبحانه وتعالى - أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضا بشارة مَنْ قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر: أنه أخبرهم إخبارا مؤكدا بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع هنا بمعنى البيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله: بايعتم به أي عاوضتم وثامنتم به .

ثم ذكر - سبحانه - أهل هذا العقد الذى وقع العقد ، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره ، العابدون له بما يحب ، الحامدون له على ما يحبون ويكرهون ، السائحون وفسرت

---

(١) آية (١١١) سورة التوبة .

السياحة بالصيام ، وفسرت بالسفر فى طلب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة . والتحقيق أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ، ولذلك وصف الله - سبحانه - نساء النبى ﷺ اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهادا ولا سفرا فى طلب العلم ولا إدامة صيام ، وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله - تعالى - وخشيته والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله - سبحانه - التوبة والعبادة قرينتين: هذه ترك ما يكره ، وهذه فعل ما يحب ، والحمد والسياحة قرينتى هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ، وسياحة اللسان فى أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله .

كما جعل - سبحانه - العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية ، وهذا فى القلب ، كما فى المسند[1] عنه ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان فى القلب» .

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثيوبة[2] والبكارة قرينتين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها ، وهذه روضة أنف[3] لم يرتع فيها بعد . وجعل الركوع والسجود قرينين ، وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاما بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قرينا لحفظ حدوده ، فهذا حفظها فى نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها ، وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع ، فالسلعة النفس ، والله - سبحانه - المشترى لها ، والثمن لها جنات النعيم ؛ والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه[4] وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه[5] :

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ::: فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[6]

---

(١) (حسن) أحمد (٣/ ١٣٤) ، والمجمع (١/ ٥٢) .

(٢) الثيوبة : التي تزوجت فانفضت بكارتها فأصبحت شيباً

(٣) أنف : كل شيء أوله . أي لم يَرْعَها أحد

(٤) هو جبريل عليه السلام .

(٥) هو سيدنا محمد عليه السلام .

(٦) الهمل: المتروك ليلا ونهاراً بلا رعاية ولا عناية .

وفي جامع الترمذي[١] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من خاف أدلج، ومن أدلج[٢] بلغ المنزل و ألا إن سلعة الله غالية، ألا سلعة الله الجنة» قال: هذا حديث حسن غريب .

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم[٣] من حديث أبان عن أنس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال ما ثمن الجنة؟ قال: «لا إله إلا الله»وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا ، وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي هريرة: أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» . قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» . وفي صحيح مسلم[٥] عن جابر قال: أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال ، أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ «نعم» .

وفي صحيح مسلم[٦] عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة» .

وفي سنن أبي داود[٧] عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة» .

وفي الصحيحين[٨] عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ « قال: وإن زنى وإن سرق » .

وفي الصحيحين[٩] من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» .

---

(١) (حسن) الترمذي في صفة القيامة: ب(١٨): حديث (٢٤٥٠)، والصحيحة (٩٥٤) .
(٢) أدلج: بالتخفيف إذا سار من أول الليل . (مختار الصحاح: دلج) .
(٣) سبق .
(٤) البخاري في الزكاة: ب(١): حديث (١٣٩٧)، ومسلم في: الإيمان: ب(٤): حديث (١٥) .
(٥) المصدر السابق: حديث (١٦) .
(٦) مسلم في الأيمان: ب(١٠): حديث (٤٣) .
(٧) (صحيح) أبو داود في الجنائز: ب(٢٠): حديث (٣١١٦) .
(٨) البخاري في التوحيد: ب(٣٣): حديث (٧٤٨٧)، ومسلم في الإيمان: ب(٤٠): حديث (١٥٣) .
(٩) البخاري في الأنبياء: ب(٤٧): حديث (٣٤٣٥)، ومسلم في الإيمان: ب (١٠) حديث (٤٦) .

وفى لفظ: **«أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»** .

وفى صحيح مسلم[1]: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: **«اذهب بنعلى هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة»** .

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: ثمن الجنة: لا إله إلا الله. وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يدخل أحدا منكم الجنة عمله، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله - تعالى»** وإسناده على شرط مسلم[2]، وأصل الحديث فى الصحيح[3] .

فصل

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تدخل برحمة الله - تعالى - ، وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وإن كان سببا ، ولهذا أثبت الله - تعالى - دخولها بالأعمال فى قوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»** ولا تنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى إن شاء الله - تعالى - ، أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم. رواه الترمذى .

والثانى: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر ، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلا بحصوله . وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين فى قوله: **«سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»**[4] .

ومن عرف الله - تعالى - وشهد مشهد حقه عليه ، ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وخبره وجزم به والله - سبحانه وتعالى - المستعان .

* * * * * *

---

(١) مسلم فى الإيمان: ب(١٠): حديث (٥٢) .
(٢) (صحيح) مسلم فى المنافقين: ب(١٧): حديث (٧٧) .
(٣) البخارى (٨/ ١٢٢) .
(٤) البخارى فى الرقاق: ب(١٨): حديث (٦٤٦٤) .

الباب العشرون
فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1] .

والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة .

وقالت طائفة: معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ،وليس بسهل حذف الاسم والحرف معا ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك ، وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل ، وذلك أيضا يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية .

وقيل: المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل ، والأول أعم وأكمل .

وتأمل: كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره ، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم . فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم ما وعدهم ، مع أنه فاعل لذلك ولابد .

وأجاب: بأن هذا تعبد محض كقوله: ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾[2] وقول الملائكة: ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾[3] ، وخفى على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها: الرغبة إليه - سبحانه وتعالى- وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به ، وأن لا يلحقه ما يحبطه . فإذا سألوه - سبحانه - أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم

---

(١) آية (١٩٣ ، ١٩٤) سورة آل عمران .
(٢) آية (١١٢) سورة الأنبياء .
(٣) آية (٧) سورة غافر .

على الأسباب التى ينجز لهم بها وعده ، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها ، وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية .

وأما قوله: ﴿ رَبِّ احْكُم ﴾ ، فهذا سؤال له - سبحانه وتعالى - أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة . وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين ، وهو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة ، فهو - سبحانه - نصب الأسباب التى يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسبابا لإرادته ، كما جعلها أسبابا لوقوع مراده ، فمنه السبب والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها ، فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه(١) إلا العالمون بالله .

ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُولاً ﴾(٢) .

يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه إياها ، لهم ، ولأتباعهم .

ويوم القيامة يقيمهم - سبحانه - بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها ، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب - تعالى - جواد له الجود كله ، يجب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه ، فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله ، وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسأل:

الله يغضب إن تركت سؤاله ::: وبنى آدم حين يسأل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالا ، وهو يحب الملحين فى الدعاء وكلما ألح العبد فى السؤال أحبه وقربه وأعطاه .

وفى الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٣) فلا إله إلا الله ، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه ، وصفات كماله ونعوت

---

(١) يلجه : يدخله .

(٢) آية (١٦) سورة الفرقان .

(٣) (حسن) الترمذى فى الدعوات: ب(٢): حديث (٣٣٧٣) .

جلاله!! و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[1] . قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس ، هو ابن أبى إسحاق و حدثنا بريد بن أبى مريم قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار بالله ثلاثا قالت النار: اللهم أجره من النار**» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة[2] عن هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن بريد به .

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبى شيبة: حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما سأل الله عبد الجنة فى يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلان يسألنى فأدخله الجنة**» .

وقال أبو يعلى الموصلى[3]: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن يونس عن أبى حازم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلانا استجار منى فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا سألنى فأدخله الجنة**» ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود فى مسنده[4]: حدثنا شعبة ، حدثنى يونس بن خباب ، سمع أبا علقمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أسأل الله الجنة سبعا. قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة**» .

وقال الحسن بن سفيان ، حدثنا المقدمى حدثنا عمرو بن على عن يحيى بن عبيد عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا الذى سألنيك فأسكنه إياى. وتقول النار: يا رب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فأعذه**» .

جماعة من السلف لا يسألون الجنة

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون: حسبنا أن يجيرنا من النار ، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم ، صلى ليلة إلى السحر ، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرنى من النار أو مثلى يجترئ أن يسألك الجنة؟ .

---

(١) آية (٤٣) سورة الأعراف .

(٢) (صحيح) الترمذى فى الجنة: ب(٢٧): حديث (٢٥٧١) ، والنسائى فى الاستعاذة باب الاستعاذة من حر جهنم ، وابن ماجة فى الزهد: ب(٣٩): حديث (٤٣٤٠) .

(٣) (صحيح) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٢١ ، ٢٢٢) .

(٤) بلفظ: ثلاث الترمذى (٢٥٢٧) ، وابن ماجة (٤٣٤٠) .

ومنهم عطاء السلمي[١]، كان لا يسأل الجنة . فقال له صالح المرى: إن أبان حدثنى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**يقول الله – عز وجل : انظروا فى ديوان عبدى فمن رأيتموه سألنى الجنة أعطيته، ومن استعاذنى من النار أعذته**» فقال عطاء: كفانى أن يجيرنى من النار ، ذكرها أبو النعيم[٢] .

وقد روى أبو داود فى سننه[٣] من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم ، أن النبى ﷺ قال للفتى – يعنى الذى شكاه : «**كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت؟ قال: اقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، وإنى لا أدرى ما دندنتك ودندنة معاذ؟. فقال النبى ﷺ إنى ومعاذا حولها ندندن**» . وفى سنن أبى داود[٤] من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه عن أحمد بن عمرو العصفرى ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد ، فذكره . وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير يرفع الحديث: "ما من يوم إلا والجنة والنار تسألان . تقول الجنة: يا رب قد طابت ثمارى ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى" الحديث . فالجنة تطلب أهلها بالذات ، وتجذبهم إليها جذبا ، والنار كذلك ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما .

كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده[٥] ، حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، حدثنا أيوب بن أبى شبيب الصنعانى قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد ، حدثنى عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنسوا العظيمتين** » قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله؟« **قال: الجنة والنار**» .

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تلهينكم عن الآخرة**»[٦] .

* * * * * *

---

(١) عطاء السلمى: ذكره الشعرانى ، وقال عنه: مكث أربعين سنة على فراشه لا يقدر أن يقوم ولا يخرج من البيت ، وكان يومئ بالصلاة ، ورأى مرة التنور وهو يسجد فغشى عليه ولم يذكر سنة وفاته . طبقات الصوفية: ١/ ٤٠ .

(٢) الحلية (٦/ ١٧٥) .

(٣) (صحيح) أبو داود فى الصلاة: ب(١٢٥): حديث (٧٩٢) .

(٤) فى الزكاة: ب(٣٧): حديث (١٦٧١) .

(٥) المطالب (٣٣٠٩) .

(٦) الطبرانى (١٩/ ٢٠٠) .

الباب الحادي والعشرون
في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ،
ومسماها واحد باعتبار الذات فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ،
وهكذا أسماء الرب سبحانه
وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار

اسمها الجنة

الاسم الأول: الجنة . وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن ، والجان لاستتاره عن العيون ، والمجن لستره ووقايته الوجه ، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ، والجان وهى الحيَّة الصغيرة الرقيقة ، ومنه قول الشاعر:

فدقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ واكملتْ ::: فلو جُنَّ إنسانٌ من الحسنِ جُنَّتِ

أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك . ومنه سمى البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع ، والجُنة - بالضم - ما يستجن به من ترس أو غيره . ومنه قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾[1] أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم . ومنه الجنة - بالكسر- الجن كما قال تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[2] وذهبت طائفة من المفسرين إلى «أن» الملائكة يسمون جنة . واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[3] قالوا: وهذا النسب قولهم: الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين:

أحدهما: أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه . الثانى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[4] أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن

---

(١) آية (١٦) سورة المجادلة .
(٢) آية (٦) سورة الناس .
(٣) آية (١٥٨) سورة الصافات .
(٤) الآية السابقة .

أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾(١) وعلى هذا ففى الآية قولان:

أحدهما: قول مجاهد: قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبوبكر: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: سروات الجن . وقال الكلبى: قالوا: تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة: قالوا: صاهر الجن .

والقول الثانى: هو قول الحسن قال: أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا: الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبا بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولدا بينه وبين الجنة ، وأما قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾(٢) فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون للحساب . قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾(٣) ، فجعل - سبحانه وتعالى - عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الأول ، فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة .

دار السلام

الاسم الثانى: دار السلام . وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٤) ، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾(٥) ، وهى أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهى دار الله - سبحانه وتعالى - السلام الذى سلمها وسلم أهلها: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾(٦) ، ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾(٧) والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم و قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلاَمٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾(٨) وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب - تبارك وتعالى - عليهم فى الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ، ولا فحش ولا باطل ،

---

(١) سبقت .
(٢) آية (١٥٨) سورة الصافات .
(٣) آية (١٨) سورة المائدة .
(٤) آية (١٢٧) سورة الأنعام .
(٥) آية (٢٥) سورة يونس .
(٦) آية (١٠) سورة يونس .
(٧) آية (٢٣) سورة الرعد .
(٨) آية (٥٧) سورة يونس .

كما قال تعالى: ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا ﴾[١] .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[٢] فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه ، وقالوا أقوالا لا يخفى بعدها عن المقصود . وإنما معنى الآية والله أعلم . فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كائنا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ، ومن النار وعذابها ، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة .

دار الخلد

الاسم الثالث: دار الخلد : وسميت بذلك ، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدا كما قال تعالى: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٣] وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[٤] وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[٥] وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[٦] وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

دار المقامة

الاسم الرابع: دار المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾[٧] .

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبدا لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبدا . قال الفراء والزجاج: المقامة مثل الإقامة . يقال: أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاما .

جنة المأوى

الاسم الخامس: جنة المأوى: قال تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[٨] والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به . وقال عطاء عن ابن عباس: هى الجنة التى

---

(١) آية (٦٢) سورة مريم .
(٢) آيتان (٩٠ ، ٩١) سورة الواقعة .
(٣) آية (١٠٨) سورة هود .
(٤) آية (٥٤) سورة (ص) .
(٥) آية (٣٥) سورة الرعد .
(٦) آية (٤٨) سورة الحجر .
(٧) آية (٣٤) سورة فاطر .
(٨) آية (١٥) سورة النجم .

يأوى إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل[١] والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب[٢]: جنة المأوى جنة فيها طير خطر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش: هى جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٣] وقال فى النار: ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٤] وقال: ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ .

جنة عدن

الاسم السادس: جنات عدن: فقيل: هو اسم جنة من جملة الجنات . والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[٥] ، وقال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[٧] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن ، فإنه من الإقامة والدوام يقال : عدن بالمكان إذا أقام به ، وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

وقال الجوهرى: ومنه جنات عدن أى جنات إقامة ومنه سمى المعدن - بكسر الدال - لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شىء معدنه . والعادن: الناقة المقيمة فى المرعى .

---

(١) مقاتل هو: ابن حيان النبطى ، يكنى أبا بسطام الخزاز صدوق فاضل . مات قبل سنة (١٥٠) . له ترجمة فى ميزان الاعتدال (٤/ ١٧١) ، وطبقات الداودى (٢/ ٣٢٩) والكلبي : محمد بن السائب بن بشير بن عمرو بن الحارث الكلبي . نسّابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار ، وأيام العرب . توفي سنة : ١٤٦هـ .

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، أبو إسحاق . تابعي . كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن . توفي سنة : ٣٢هـ

(٣) آية (٤١) سورة النازعات .

(٤) آية (٣٤) سورة الجاثية .

(٥) آية (٦١) سورة مريم .

(٦) آية (٣٣) سورة فاطر .

(٧) آية (١٢) سورة الصف .

دار الحيوان

الاسـم السابع: دار الحيوان: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[1] المراد الجنة عـند أهل التفسير ، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان: لهى دار الحياة التى لا موت فيها . فقـال الكلـبى: هـى حياة لا موت فيها . وقال الزجاج: هى دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحـيوان بمعـنى الحـياة وقـال أبـو عبـيدة وابـن قتيبة: الحـياة: الحيوان ، قال أبو عبيدة: الحياة والحـيوان الحـى - بكسـر الحـاء - واحـد قال أبو على: يعنى أنها مصادر فالحياة فَعَلَة كالجلبة ، والحيوان كالنَزَوَان والغَلَيَان ، والحِىّ كالعِىّ ، قال العجاج:

*** كُنَّا بها إذا الحياةُ حِىّ ***

أى : إذا الحـياة حياة ، أما أبو زيد فخالفهما وقال: الحيوان ما فيه من روح والموتان والموات ما لا روح فيه .

والصـواب: أن الحيوان يقع على ضربين: **أحدهما**: مصدر ، كما حكاه أبو عبيدة . **والثانى**: وصـف كمـا حكـاه أبـو زيد ، على قول أبى زيد: الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الأول بـأن الفعـلان بابـه المصـادر كالـنزوان والغليان بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان ، وأجاب من رجح القول الثانى بان فعلان جاء فى الصفات أيضا قالوا: رجل ضميان للسـريع الخفـيف . وزفـيان قـال فـى الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسـهم . فيحـتمل قولــه تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ معنيين: أحدهما: أن حياة الآخـرة هـى الحـياة لأنهـا لا تنغـيض فـيها ولا نفـاد لها أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدرا على هذا .

الـثانى: أن يكـون المعـنى أنهـا الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

الفردوس

الاسم الثامن: الفردوس: قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] وقـال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[3] .

---

(١) آية (٦٤) سورة العنكبوت .
(٢) آية (١٠ ، ١١) سورة المؤمنون .
(٣) آية (١٠٧) سورة الكهف .

والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من الجنات. وأصل الفردوس: البستان والفراديس: البساتين. قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب، وقال الليث: الفردوس: جنة ذات كروم. يقال: كرم مفردس أى معرش. وقال الضحاك: هى الجنة الملتفة بالأشجار، وهو اختيار المبرد. وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب، الشجر الملتف والأغلب عليه العنب، وجمعه: الفراديس. وقال: وبهذا سمى باب الفراديس بالشام، وأنشد لجرير[1]:

فقلتُ للركْبِ إذ جَدَّ المسيرُ بنَا ::: يا بُعْدَ نيرين [2] من بابِ الفراديسِ

وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. قال: وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين قال حسان:

وإنّ ثوابَ الله كُلُّ مخلدِ ::: جنانٌ من الفردوسِ فيها مُخلَّدُ

جنات النعيم

الاسم التاسع: جنات النعيم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾[3]، وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول، والمشروب، والملبوس، والصور، والرائحة الطيبة، والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

المقام الأمين

الاسم العاشر: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[4] والمقام. موضع الإقامة، والأمين. الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[5] الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[6] وفى قوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ

---

(١) جرير هو: ابن عطية بن الخطفى، كان واسع الخيال، قوى الشاعرية مع ميل إلى الهجاء. مات سنة (١١١). له ترجمة فى وفيات الأعيان (١/١٠٢)، وخزانة الأدب (٣/٣٩٧).

(٢) النيرين: علم على الطريق ليتضح (مختار الصحاح: نور).

(٣) آية (٨) سورة لقمان.

(٤) آية (٥١) سورة الدخان.

(٥) آية (٣) سورة التين.

(٦) آية (٥١) سورة الدخان.

آمِنِينَ ﴾[1] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا .

مقعد صدق ، وقدوم صدق

الاسم الحادى عشر و الثانى عشر مقعد الصدق، وقدم الصدق: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[2] ، فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة ، وحلاوة صادقة ، وجملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه .

وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصديق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق - بالفتح - الصلب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع: إنه لذو تصدق أى صادق الجملة . وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ، ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة ، ومنه صدقنى القتال ، وصدقنى المودة .

ومنه قدم صدق ، ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شىء تحته ، وهو لا يتضمن أمرا ثابتا قطُّ .

وفسر قوم ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾[3] بالجنة ، وفسر بالأعمال الصالحة التى تنال بها الجنة ، وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك .

والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أى بالأسباب التى قدرها الله لهم على يد رسوله ، وادخر لهم جزاءها يوم القيامة .

ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق . وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ، وأنه ثناء بحق لا بباطل .

ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامنا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلا فى أمر وخارجا فى أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق . والله المستعان .

* * * * * * *

---

(١) آية (٥٥) سورة الدخان .

(٢) آية (٥٥) سورة القمر .

(٣) من آية (٢) سورة القمر .

الباب الثانى والعشرون
فى عدد الجنات وأنها نوعان: جنتان من ذهب ، وجنتان من فضة

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدا ، كما روى البخارى فى صحيحه[١] عن أنس بن مالك: أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة ابن سراقة: أتت رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة- وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء؟ .

قال: **«يا أم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصابه الفردوس الأعلى»** .

وفى الصحيحين[٢] من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن»** وقد قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٣] فذكرهما ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[٤] فهذه أربع قد اختلف فى قوله ﴿ وَمِن دُونِهِمَا ﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما؟ على قولين .

فقالت طائفة: من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما تحتهما . قالوا: وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا ، أى دونه فى المنزلة . كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه: أنا دون ما تقول فوق ما فى نفسك ، وفى الصحاح[٥] دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ، ثم قال: ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه .

والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه: أحدهما: قوله: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[٦] وفيه قولان:

أحدهما: أنه جمع فنن ، وهو الغصن . والثانى: أنه جمع فَنّ وهو الصنف أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما .

---

(١) رواه البخارى فى الجهاد: ب(١٤): حديث (٢٨٠٩) .

(٢) رواه البخارى فى التوحيد: ب(٢٤): حديث (٧٤٤٤) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٨): حديث (٢٩٦) .

(٣) آية (٤٦) سورة الرحمن .

(٤) آية (٦٢) سورة الرحمن .

(٥) كتاب : تاج اللغة وصحاح العربية . مؤلفه : إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، أبو النصر ، لغوي . أديب . توفي سنه ٣٩٣هـ . وقيل : في حدود ٤٠٠هـ معجم المؤلفين : ١/ ٣٦٢ .

(٦) آية (٤٨) سورة الرحمن .

الثاني: قوله: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [١] وفى الأخرين: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [٢] والنضاخة: هى الفوارة، والجارية السارحة، وهى أحسن من الفوارة، فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [٣]، وفى الأخرين: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [٤]، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان.

فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب، وهو ممتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى.

وقالت طائفة: الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب.

وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، الظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [٥] وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها وفى الأخرين قال: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفُسِّرَ بالفرش، وفُسِّر بالمحابس فوقها. وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك فى الأخرين.

السادس: أنه قال: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [٧] أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الأخرين: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [٨] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

---

(١) آية (٥٠) سورة الرحمن.
(٢) آية (٦٦) سورة الرحمن.
(٣) آية (٥٢) سورة الرحمن.
(٤) آية (٦٨) سورة الرحمن.
(٥) آية (٥٤) سورة الرحمن.
(٦) آية (٧٦) سورة الرحمن.
(٧) آية (٥٦) سورة الرحمن.
(٨) آية (٧٢) سورة الرحمن.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان [(١)] فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها .

الثامن: أنه قال - سبحانه وتعالى - فى الجنتين الأوليين: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[(٢)] وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه ، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه .

ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين .

العاشر: أنه قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[(٣)] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى .

فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ .

قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما .

فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ .

قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ، ورجح القول الثانى بوجهين: أحدهما: من جهة النقل . والثانى: من جهة المعنى .

فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هما بستانان فى رياض الجنة» وأما الذى من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر . والثانية: جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل: فكيف قال فى ذكر النساء ﴿ فِيهِنَّ ﴾ فى الموضعين ، ولما ذكر غيرهن قال ﴿ فِيهِمَا ﴾؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ثم أعاده فى الآخرين بهذا اللفظ ، ليتشاكل اللفظ والمعنى . والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٥٨] .
(٢) آية (٦٠) سورة الرحمن .
(٣) آية (٦٢) سورة الرحمن .

الباب الثالث والعشرون
فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها تفضيلا لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب - تعالى - من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فهى سيدة الجنان، والله - سبحانه وتعالى - يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمدا ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر المحرم، ومن الليالى ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ ﴾[١].

وقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى الليث. قال الطبرانى، وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل الله - تعالى - فى آخر ثلاث ساعات بقين من الليل، فيظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم تره عين أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له ؟، ألا سائل يسألنى فأعطيه؟ ألا داع يدعونى فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر»**[٢] قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٣] فيشهده الله - تعالى - وملائكته.

قال الحسن بن سفيان: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، قال خالى عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبى هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر »**[٤].

---

(١) آية (٦٨) سورة القصص.

(٢) الاتحاف (٥/ ٣١)، والبغوى (٤/ ٢٨) ورواه الطبراني في الكبير وقال: الحديث ضعيف.

(٣) آية (٧٨) سورة الإسراء.

(٤) الكنز (١٣١٨٥)، والحلية (٣/ ٩٥)وأورده السيوطي في الجامع الصغير (ج١/ ٦٩) ورمز له بالضعف.

وقد ذكر الدارمي والنجاد وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث»**، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ **قال : الذي يقر السوء في أهله»** [1] قلت: المحفوظ أنه موقوف .

قال الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبيد بن مهران، حدثنا مجاهد، قال عبد الله بن عمر: "خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم - عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق كن فكان" [2] وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده. "حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده". ثم قال لها: تكلمي . قالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [3] .

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو الربيع، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: "خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات، فيقول: ازدادي طيبا لأوليائي . ازدادي حسنا لأوليائي".

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: إن الله - تعالى - غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر، فينظر الله إليها فتقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [4] .

وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري، حدثنا عدي بن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أحاط حائط**

---

(١) الاتحاف: (٢٩/ ٥٠٢)، والكنز (١٥١٣٨)، والدر المنثور (٥/ ٣٢١) .
(٢) (صحيح) الحاكم (٢/ ٣١٩) .
(٣) (ضعيف) الضعيفة (١٢٨٣ ، ١٢٨٥) .
(٤) الاتحافات (١٣٣) .

الجـنة لبـنة مـن ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: طوبى لك منـزل الملوك»[1] .

وقـال ابـن أبـى الدنـيا: حدثنا محمد بن أبى المثنى البزاز ، حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا بشـير بـن حسـين عن سعيد بن أبى عروة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها المسك وحصـباؤها اللؤلـؤ وحشيشها الزعفران. ثم قال: لها انطقى قالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾. فقال: الله عز وجل: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾**»[2] .

وتـأمل هـذه العـناية كـيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتـناء وتشـريفا وإظهـارا لفضـل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره؟ ، وبالله التوفيق ، فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان .

وقـد روى مسـلم فـى صـحيحه[3] عـن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال: «**سأل موسى - عليه السلام - ربه ما أدنى أهل الجنة منـزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة فيقال لـه: ادخل الجنة. فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاقم؟!! فيقال لـه: أترضى أن يكـون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول لـه: لك ذلك ومثله ومثله ومـثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منـزلة؟ قال: أولئك الذين أردت ؛ غرسـت كرامـتهم بـيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر**» ومصداقه من كتاب الله: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[4] .

* * * * * *

(١) (صحيح موقوف) المغنى عن حمل الأسفار (٤١٩٩) .
(٢) أورده الصبابطي برقم (٧٢٥) وضعفه ورواه المنذري في "الترغيب والترهيب" (ج٤/ ٩٥٢)
(٣) رواه مسلم فى الإيمان: ب(٨٤): حديث (٣١٢) .
(٤) آية (١٧) سورة السجدة .

الباب الرابع والعشرون
ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[(١)] والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

وروى مسلم في صحيحه[(٢)] من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**.

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه: [من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فلُ هلم]. قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه، فقال النبي ﷺ: **«إني لأرجو أن تكون منهم»** وفي لفظ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: **«نعم. وأرجو أن تكون منهم»**[(٣)].

لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان. وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها، سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك؟، فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله، وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟.

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس. قد سمى الله - سبحانه وتعالى - كبير هذه الخزنة رضوان. وهو اسم مشتق من الرضا، وسمى خازن النار مالكا وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

* * * * * * *

---

(١) آية (٧١) سورة الزمر.

(٢) رواه مسلم في الإيمان: ب(٨٥): حديث (٣٣٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة (ج٢/ ٨٤) وفتح الباري (ج٤/ ١٨٩٧)

الباب الخامس والعشرون
فى ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال: "فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك" وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهارا لمزيته ومرتبته ولا يقوم فى خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته، وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب .

وقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت؟** فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى»[١] .

وفى الترمذى[٢] من حديث ابن عباس قال: "جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبا إن لله من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا .

وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليما . وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**» .

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدى، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**» رواه الترمذى والبيهقى[٣] واللفظ له .

وفى صحيح مسلم[٤] من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**» .

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) مجمع الزوائد (٨/ ١٦٢) .
(٢) (غريب) الترمذى فى المناقب: ب(١): حديث (٣٦١٦) .
(٣) (حسن) الترمذى فى المناقب: ب(١): حديث (٣٦١٠)، ودلائل النبوة (٥/ ٤٨٤) .
(٤) مسلم فى الإيمان: ب(٨٥): حديث (٣٣١) .

الباب السادس والعشرون
فى ذكر أول الأمم دخولا فى الجنة

وفى الصحيحين[١] من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»** أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فمعنى بيد: سوى وغير وإلا ونحوها .

وفى صحيح مسلم[٢] من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»** .

وفى الصحيحين[٣] من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»** .

وروى الدارقطنى[٤] من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى»** قال الدارقطنى: غريب عن الزهرى ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى غير هذا الحديث ، ولا رواه إلا عمرو بن أبى سلمة عن زهير .

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان فى الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش ، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم ، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

---

(١) البخارى فى الجمعة: ب(١): حديث (٨٧٦) ، ومسلم فى الجمعة: ب(٦): حديث (٢١) .
(٢) مسلم فى الجمعة: ب(٦): حديث (٢٠) .
(٣) المصدرين قبل المصدر السابق .
(٤) الكنز (٣٢٠٤٩) ، والتذكرة (٢١٥) ، وابن عدى (٤/ ١٤٤٨) .

وأما أول الأمة دخولا فقال أبو داود فى سننه: حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبى خالد الدالانى عن أبى خالد مولى آل جعدة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى»** فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى»**[1] وقوله: وددت أنى كنت معك حرصا منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عيانا. كما قال إبراهيم الخليل: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[2]،

وأما الحديث الذى رواه ابن ماجة فى سننه[3]: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحى، أنبأنا داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة»** فهو حديث منكر جدا، قال الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشىء، وقال البخارى: منكر الحديث.

* * * * * * *

---

(١) (ضعيف) أبو داود فى السنة: ب(٩): حديث (٤٦٥٢).
(٢) آية (٢٦٠) سورة البقرة.
(٣) (ضعيف) ابن ماجه فى المقدمة: ب(١١): حديث (١٠٤).

الباب السابع والعشرون
فى ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

وفى الصحيحين[١] من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة[٢]، ورشحهم المسك، وكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشيا»** .

وفى الصحيحين[٣] أيضا من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء»** .

وروى شعبة وقيس عن حبيب عن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء»**[٤] .

وقال الإمام أحمد[٥]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«عرض علىّ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة. فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق من ماله، وفقير فخور»** .

---

(١) البخارى فى بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٤٥) ، ومسلم فى الجنة: ب(٧): حديث (١٧) .
(٢) الألوة: هو العود الذى يتبخر به ، وتفتح همزته وتضم ، وهمزتها أصلية ، وقيل: زائدة . النهاية (١/ ٦٣) .
(٣) البخارى فى الأنبياء: ب(١): حديث (٣٣٢٧) ، ومسلم فى الجنة: ب(٦): حديث (١٥) .
(٤) (ضعيف) الحاكم (١/ ٥٠٢) ، والضعيفة (٦٣٢) ، وضعيف الجامع (٣١٤/ ٢١٤٧) .
(٥) (حسن) أحمد (٢/ ٤٢٥) .

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه[(١)] واللفظ له من حديث أبي عشانة المعافري أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ **«هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئا تتقى بهم المكاره ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»** .

ولما ذكر الله - تعالى - أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾[(٢)] واختلف في تقديرها على ثلاثة أقوال .

أحدها: أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[(٣)] .

والثاني: أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك: زيد زيد . أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال:

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

وكقول الآخر:

* إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ *

قال ابن عطية: وهذا قول سيبويه .

والثالث: أن يكون السبق الأول غير الثاني ، يكون المعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم . فإن قيل: فما تقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي[(٤)] وصححه من حديث بريدة بن الحصيب

قال. أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال: **« يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة، فما دخلت**

---

(١) (صحيح) أحمد (٢/ ١٦٨) ، والمجمع (١٠/ ٢٥٩) ، والحلية (١/ ٣٤٧) . .

(٢) آية (١٠) سورة الواقعة .

(٣) آية (١١) سورة الواقعة .

(٤) أحمد (٥/ ٣٦٠) ، والترمذي في المناقب: ب(١٨): حديث (٣٦٨٩) .

الجـنة قـط إلا سمعـت خشخشـتك أمـامى؟. ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيـت عـلى قصـر مـربع مشـرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمـد، قلـت: أنـا محمـد. لمـن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب» فقـال بلال: يا رسول الله ، مـا أذنـت قـط إلا وصـليت ركعـتين ، ومـا أصـابنى حـدث قـط إلا توضـأت عـندها ورأيت أن لله على ركعتين ، **فقال رسول الله: «فبذلك»** .

قـيل: تـتلقاه بالقـبول والتصـديق ، ولا يـدل عـلى أن أحـدا يسـبق رسـول الله ﷺ إلى الجـنة ، وأمـا تقـدم بـلال بـين يـدى رسـول الله ﷺ، فـى الجـنة ، فـلأن بـلالا كـان يدعـو إلى الله أولا فـى الأذان ، فيـتقدم أذانـه بـين يـدى رسـول الله ﷺ، فيـتقدم دخولـه بـين يديـه كالحاجـب والخادم .

وقـد روى فـى حديث: أن النبى ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان فيقدمه بين يديـه ﷺ كـرامة لرسـوله ، وإظهـاراً لشـرفه وفضله ، ولا سبقا من بلال لـه ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، دخول المسجد ونحوه . والله أعلم .

* * * * * * *

الباب الثامن والعشرون
فى سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد(١): حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام**» وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم فى صحيحه .

وروى الترمذى(٢) من حديث عباس الدورى عن المقبرى عن سعيد بن أبى أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمى عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: «**يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا**» .

وفى صحيح مسلم(٣) من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا**» . وقال الإمام أحمد(٤): حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد عن سلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: أى أخى، وماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول: أى أخى، وإنى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها، ما وصلت إليك حتى سال منى العرق، ما لو ورده ألف عام بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه**» .

وقال الطبرانى(٥): حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن سعيد الرازى قالا: حدثنا على بن مهران العطار ، حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام**» . وذكر الحديث بطوله .

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفا . فإما أن يكون هو المحفوظ وإما أن يكون

---

(١) أحمد (٥/ ٥٠) ، والترمذى فى الزهد: ب(٣٧): حديث (٢٣٥٤) .

(٢) (حسن) الترمذى فى الزهد: ب(٣٧) حديث (٢٣٥٥) .

(٣) مسلم فى الزهد: فى المقدمة: حديث (٣٧) .

(٤) أحمد (١/ ٣٠٤) ، والمجمع (١٠/ ٢٦٣ ، ٢٦٤) وعزاه إليه ، وقال: فيه دويد غير منسوب ، فإن كان هو الذى روى عن سفيان فقد ذكره العجلى فى كتاب الثقات وإن كان غيره لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير مسلم بن بشير ، وهو ثقة .

(٥) (ضعيف) المجمع (١٠/ ٢٦٠) ، وضعيف الجامع (٢٧٢/ ١٨٨٦) .

كلاهما محفوظا ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم . والله أعلم ،

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره في الدخول . والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم السبعون ألفا[1] ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ، ولم تكن له تلك الأعمال ، ولاسيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فالمزية مزيتان ، مزية سبق ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة . ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضي للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

* * * * * * *

(١) البخاري (٨/ ١٢٤) ، ومسلم في الإيمان: حديث (٣٧١ ، ٣٧٢) ، وأحمد (١/ ٣٢١) .

الباب التاسع والعشرون
فى ذكر أصناف أهل الجنة الذى ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[١]

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كف أذاهم من الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعفو ، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم ، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه .

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢] فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ، فلا مطمع لمن خرج عن طريقهم فيها . وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٣] فوصفهم بإقامة حقه باطنا وظاهرا ، وبأداء حق عباده .

وفى صحيح مسلم[٤] عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: "ولما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبى ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد ، فقال رسول الله ﷺ: **«كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة، ثم قال رسول الله ﷺ: يابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»** وللبخارى معناه .

---

(١) آية (١٣٣ - ١٣٦) سورة آل عمران .
(٢) آية (١٠٠) سورة التوبة .
(٣) آية (٢- ٤) سورة الأنفال .
(٤) مسلم فى الإيمان: ب(٤٨): حديث (١٨٢) .

وفى الصحيحين[١] من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالا ينادى فى الناس: **«أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»** وفى بعض طرقه مؤمنة ، وفى الحديث قصة .

وفى صحيح مسلم[٢] من حديث عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: **«ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى من يومى هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم [٣] عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك. وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان. وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا، فقلت: رب إذاً يثلغوا [٤] رأسى فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نعنك، وأنفق فسينفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وقال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زبر [٥] له الذين هم فيكم تبعا لا يبغون فيكم أهلا ولا مالا، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل. أو الكذب والشنظير [٦] الفحاش، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»** .

وفى الصحيحين[٧] من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ[٨] متكبر»** .

وقال الإمام أحمد[٩]: حدثنا على بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله ، أنبأنا موسى بن على بن رباح قال: سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** .

---

(١) البخارى فى المغازى: ب(٣٨): حديث (٤٢٠٣) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٤٧): حديث (١٧٨) .
(٢) مسلم فى الجنة: ب(١٦): حديث (٦٣) .
(٣) اجتالتهم: طاردتهم .
(٤) يثلغوا: ثلغ رأسه: شدخه وكسره .
(٥) زَبْرُ: العقل الذى يزبر وينهى .
(٦) الشنظير: السَّيِّء الذى يشتم أعراض الناس: (المنجد: جال ، ثلغ ، زَبْر ، شنظر) .
(٧) البخارى فى التفسير: ب(١): حديث (٤٩١٨) ، ومسلم فى الجنة: ب(١٤): حديث (٤٦) .
(٨) عتل: الجافى الغليظ . جواظ: المتكبر المختال . (المنجد: عتل ، جاظ) .
(٩) (صحيح) أحمد ٣/ ١٤٥ .

وذكر خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة: النبى فى الجنة، والصديق فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا الله فى الجنة، ونساؤكم فى الجنة: الودود الولود التى إذا غضب زوجها أو غضبت جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى»** أخرج النسائى من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه[١] .

وروى الإمام أحمد[٢] فى مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** .

وقال ابن ماجة فى سننه[٣]: حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا: حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو هلال الراسبى ، حدثنا عقبة بن أبى ثبيت الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الله خيرا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع»** .

وفى الصحيحين[٤] عن أنس بن مالك قال: مر بجنازة فأثنى عليها خيرٌ ، فقال نبى الله ﷺ : **« وجبت وجبت وجبت »** ، ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقال ﷺ: **« وجبت وجبت وجبت»** ، فقال عمر: فداك أبى وأمى ، ومر بجنازة فأثنى عليها خير فقلت: وجبت وجبت وجبت: ومر بجنازة فأثنى عليها شر ، فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، وأنتم شهداء الله فى الأرض»** .

وفى الحديث الآخر: **«يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن وبالثناء السيىء»**[٥] .

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ، ذكرهم الله - سبحانه وتعالى - فى قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[٦] فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه .

* * * * * * *

(١) (حسن) النسائى فى عشرة النساء ص (٢١٩) .
(٢) سبق تخريجه . .
(٣) (صحيح) ابن ماجه فى الزهد: ب(٢٥): حديث (٤٢٢٤) .
(٤) البخارى فى الجنائز: ب(٨٥): حديث (١٣٧٦) ، ومسلم فى الجنائز: ب(٢٠): حديث (٦٠) .
(٥) (صحيح) ابن ماجه فى الزهد: ب(٢٥) حديث (٤٢٢١) .
(٦) آية (٦٩) سورة النساء .

الباب الثلاثون
فى أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

وفى الصحيحين[١] من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا ثم قال: إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض»** هذا لفظ مسلم، وعند البخارى: **«وكشعرة بيضاء فى ثور أسود»** بغير ألف.

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفا»** رواه الإمام أحمد والترمذى[٢] وإسناده على شرط الصحيح، ورواه الطبرانى فى معجمه[٣] من حديث عبد الله بن عباس، وفى إسناده خالد بن يزيد البجلى. وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: كيف أنتم وثلثها؟ قالوا: ذاك أكثر، قال: كيف أنتم والشطر لكم؟ قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا»**.

قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن، إلا الحارث بن حصيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد. وقال عبد الله بن أحمد[٤]: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو عن أبيه عن أبى هريرة قال: لما نزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾[٥] قال رسول الله ﷺ: **«أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل**

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج. ومسلم فى الإيمان: ب(٩٥): حديث (٣٧٦) ورواه الترمذى فى كتاب صفة الجنة/ ٢٥٧٤.

(٢) (حسن) أحمد ٥/ ٣٤٧، والترمذى (٢٥٤٦).

(٣) (صحيح) الطبرانى (١٠/ ٤٠٨)، ومجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٣).

(٤) أحمد (٢/ ٣٩١).

(٥) آية (٣٩، ٤٠) سورة الواقعة.

الجنة﴾ قال الطبرانى[(١)]: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى[(٢)] .

وقال خيثمة بن سليمان القرشى: حدثنا أبو قلابة - هو عبد الملك بن محمد حدثنا محمد بن بكار الصيرفى - حدثنا حماد بن عيسى ، حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا**»[(٣)] وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها ، وصح سند بعضها ولا تنافى بينها وبين حديث الشطر ، لأنه ﷺ رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله سبحانه رجاءه ، وزاد عليه سدسا آخر .

وقد روى أحمد فى مسنده[(٤)] من حديث أبى الزبير أنه سمع جابرا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال: فكبرنا، قال: فأرجو أن تكونوا الشطر**» وإسناده على شرط مسلم .

* * * * * * *

---

(١) (٣٢٨/١١) .
(٢) (جيد) انظر مجمع الزوائد (٤٠٣/١٠) .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) (صحيح) أحمد (٣٤٦/٣ ، ٣٨٣) .

الباب الحادى والثلاثون
فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين[١] من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم ﷺ **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة من أعزب»** ، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال ، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر . والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه أحمد[٢] .

حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ **«للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»** .

فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه[٣] شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فصلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة؟ ، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة قال: فجعلت امرأة تلقى خاتمها ؛ وخرصها والشيء كذلك ، فأمر النبى ﷺ بلالا فجمع ما هناك ، ثم قال: **«إن منكن فى الجنة ليسير»، فقالت امرأة: يا رسول الله، لم؟ قال: «إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»** .

وفى الحديث الآخر: **«إن أقل ساكنى الجنة النساء»**[٤] .

قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى خلقهن فى الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار .

وأما كونهن أكثر أهل النار ، فلما روى البخارى فى صحيحه[٥] من حديث عمران بن حصين قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: **«اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت**

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء: حديث (٣٣٢٧) ، ومسلم فى الجنة: حديث (١٤) .
(٢) (صحيح) أحمد (٢/ ٣٤٥) .
(٣) البخارى فى الإيمان: ب(٦): حديث (٣٠٤) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٣٤): حديث (١٣٢) .
(٤) مسلم فى الذكر: ب(٢٦): حديث(٩٥) ، وأحمد (٤/ ٤٢٧) .
(٥) البخارى ٤/ ١٤٢ ، ومسلم أيضا فى الذكر: حديث (٩٤) ، وأحمد (١/ ٢٣٤) .

فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» .

وفى صحيح مسلم[١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء» .

وروى أحمد[٢] بإسناد صحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» .

وفى المسند[٣] أيضا من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» .

وفى الصحيح[٤] من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺقال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن خذلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير،ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل،فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلى وتفطر فهذا نقصان الدين» .

وأما كونهن أقل أهل الجنة ، ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله: أنه كانت له امرأتان ، فجاء من عند إحداهما ، فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة ، فقال: جئت من عند عمران بن حصين ، فحدثنا أن رسول الله ﷺقال: «إن أقل ساكنى الجنة النساء»[٥] .

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى ، حدثنا عمرو بن الضحاك ابن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه ، فذكر حديثا طويلا وفيه: «فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء – الله تعالى – وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله، بعبادتهما فى الدنيا»؟ وذكر الحديث .

---

(١) الحديث عاليه .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) مسند الإمام أحمد (ج٢/ ٢٩٧) .
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان (ج١/ ١٣٢) ورواه الإمام أحمد في مسنده (ج٢/ ٦٦) .
(٥) سبق تخريجه .

قيل: هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع، وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عدى: أحاديثه كلها مما فيه نظر.

وأما البخارى فقال فيه: ما حكاه الترمذى عنه قال: سمعت محمدا يقول فيه: هو ثقة مقارب الحديث قلت: ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته، وأيضا فالرجل الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو.

وقد روى عنه أحمد فى مسنده[1] من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كنا مع عمرو ابن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هودجها. قال: فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ فى هذا المكان، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله ﷺ **«لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان»** والأعصم من الغربان الذى فى جناحه ريشة بيضاء، قال الجوهرى: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق، وبيض الأنوق، ولكل شىء يعز وجوده.

وفى النهاية: الغراب الأعصم: هو الأبيض الجناحين، وقيل الأبيض الرجل، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف فى الغراب قليل عزيز.

وفى حديث آخر: **«المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم»** قيل: وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال: **«الذى إحدى رجليه بيضاء»**.

وفى حديث آخر: **«عائشة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان»**.

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) احمد (٤/ ٢٠٥).

الباب الثانى والثلاثون
فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت فى الصحيحين[١] من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقال عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه. فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ «اللهم اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»** .

وفى الصحيحين[٢] من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»** فهذه هى الزمرة الأولى ، وهم يدخلونها بغير حساب .

والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين[٣] والسياق لمسلم . حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشام ، أنبأنا حصيف بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: **«أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟»** قلت: أنا ، ثم قلت: أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت . قال: «فما صنعت؟» قلت: استرقيت . قال فما حملك على ذلك؟ حديث حدثناه الشعبى . قال: وما حدثكم الشعبى؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة ، فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ قال: **«عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى معه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رفع إلى سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: «ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: سبقك بها عكاشة»** ، وليس عند البخارى لا يرقون .

قال شيخنا وهو الصواب ، وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث ، وهى غلط من بعض

---

(١) البخارى فى اللباس: ب(١٨): حديث (٥٨١١) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٩٤): حديث (٢١٩) .
(٢) البخاري في كتاب بدء الخلق . في صفة الجنة (٣٠٧٥)- ومسلم في كتاب الإيمان (٢١٩) .
(٣) البخارى فى الرقاق: ب(٥٠): حديث (٦٥٤١) ، ومسلم (٢٢٠) .

الرواة، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، وهو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، والطِّيَرة نوع من الشرك. ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتركهم الاسترقاء والتَّطيُّر هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث: «**الطيرة شرك**». قال ابن مسعود: وما منا إلا من تطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل[١].

فالتوكل ينافي التطير، وأما رقية الغير، فهي إحسان من الراقي، وقد رقى رسول الله ﷺ جبريل وأذن في الرقى وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك، واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله، فالراقي محسن والمسترقي سائل راج نفع الغير وتحقيق التوكل ينافي ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاه، قيل: أجل ولكن هو لم يسترق وهو ﷺ لم يقل: ولا يرقيهم راق، وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم وفي امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثاني سد لباب الطلب، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس أهله. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، قيل: ومن هم؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

وفي صحيحه أيضا[٣] من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: «**سمعت النبي ﷺ يذكر حديثا طويلا، وفيه، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء كذلك**»، وذكر تمام الحديث.

وقال أحمد بن منيع في مسنده[٤]: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي الأمم بالموسم فتراءيت على أمتي ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم، وهيئتهم قد ملؤوا السهل والجبل، فقال: أرضيت يا محمد قلت: نعم، فقال: فإن لك مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وهم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»، **فقام عكاشة ابن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم»، فقام رجل آخر، فقال: «سبقك بها عكاشة»**، وإسناده على شرط مسلم.

* * * * * *

---

(١) (صحيح) أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩).

(٢) صحيح مسلم (٢١٩٩).

(٣) مسلم في الإيمان: حديث (٣١٦)، وأحمد (٣/ ٣٤٥).

(٤) مجمع الزوائد (٩/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وعزاه إلى أحمد مطولا ومختصرا، وإلى أبي يعلى وقال: رجالهما في المطول رجال الصحيح.

الباب الثالث والثلاثون
فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبى شيبة[(١)]: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا أمامة الباهلى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب، مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى»** .

قلت: إسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه، فأما تدليسه فقد قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحاق التسترى قالا: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال: سمعت أبا أمامة يقول: فذكره، وأما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين، وهذه من روايته عن الشاميين، وأيضا فقد جاء من غير طريقه .

قال أبو بكر بن أبى عاصم[(٢)]: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب»**، قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب فى الذباب، قال رسول الله ﷺ: **«فإن الله وعدنى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزاد فى ثلاث حثيات»** .

قال أبو عبد الله المقدسى: أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى، ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى . وما علمت فيه جرحا .

قال الطبرانى[(٣)]: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عامر بن يزيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ربى – عز وجل – وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفا، ثم يحثى ربى – تبارك وتعالى – بكفيه ثلاث حثيات»**، فكبر عمر وقال: إن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأمهاتهم وأبنائهم وعشائرهم، وأرجو أن يجعلنى الله فى إحدى الحثيات الأواخر .

---

(١) (صحيح) ابن أبى شيبة (١١/ ٤٧١) .
(٢) (صحيح) رواه احمد في مسنده (ج٥/ ٢٥٠)، وابن حبان (٦٤٥٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٨٤٧) .
(٣) (صحيح) الطبرانى (١٧/ ١٢٧) .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الإسناد علة .

قال الطبراني[١]: وحدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن ربي - عز وجل - وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا. ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه»** ، قال ابن قيس: فقلت لأبي سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ . قال: نعم بأذني ووعاه قلبي ، قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ: وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ، ويوفي الله - عز وجل - بقيته من أعرابنا .

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنماري ، إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية بن سلام ، وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده ، وفيه قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف ، فقال رسول الله ﷺ: **«إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمتي»** .

قال الطبراني: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني قالا: أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا فقال: هكذا بيده»** فقال عمير: يا رسول الله ، زدنا ، فقال عمر: حسبك يا عمير ، فقال: ما لنا ولك يا بن الخطاب؟ ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة؟ ، فقال عمر: إن الله - عز وجل - إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة ، فقال نبي الله ﷺ: **«صدق عمر»**[٢] قال محمد بن عبد الواحد: لا أعرف لعمير حديثا غيره . وفي الحلية[٣] من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«وعدني ربي - عز وجل - أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ زدنا، قال: وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال: يا رسول الله زدنا، قال عمر: إنه قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «صدق عمر»** رواه عنه إبراهيم بن الهيثم البلدي ، وفيه ضعف تفرد به ، أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليم .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) (ضعيف) رواه الطبراني في الأوسط (٤٠٦) الاتحاف (١٠/ ٥٦٩) .
(٣) (حسن) الحلية (٢/ ٣٤٤) .

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف»، قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: وهكذا وجمع بين يديه، قال: زدنا يا رسول الله. قال: وهكذا وجمع كفيه، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر: دعني يا عمر وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا!! فقال عمر: إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بحفنة واحدة، فقال النبي ﷺ : «صدق عمر»** [1] تفرد به عبد الرزاق .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده[2] حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر ابن السري السلمي ، حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا»** قالوا: زدنا يا رسول الله قال: **«لكل رجل سبعون ألفا»** ، قالوا: زدنا يا رسول الله ، وكان على كثيب فحثى بيده قالوا: زدنا يا رسول الله ، فقال: **« هكذا وحثى بيده»** ، قالوا: يا نبي الله ، أبعد الله من دخل النار بعد هذا» قال محمد بن عبد الواحد لا أعلمه ، روى عن أنس إلا بهذا الطريق ،

وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولى - سبحانه - يوم القبضتين .

فإن قيل: فكيف كانوا أولا قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟ قيل: الرب - سبحانه وتعالى - أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روى أنهم كانوا كالذر ، وأما يوم الحثيات ، فيكونون أتم ما كانوا خلقة ، وأكمل أجساما ، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين . والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) (صحيح) أحمد (٣/ ١٦٥) ، وابن أبي عاصم (١/ ٢٦٠) ، وشرح السنة (١٥/ ١٦٣) .
(٢) (صحيح) أبو يعلى (٦/ ٤١٧) .

الباب الرابع والثلاثون
فى ذكر تربة الجنة وطينها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد[١]: حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا: أنبأنا زهير، حدثنا سعيد الطائى، حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: **«قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم، قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها[٢] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»** .

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ، عن الجنة فقال: **«من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس. لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران»**[٣] هكذا جاء فى هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران .

وكذلك روى يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك»**[٤] .

وفى الصحيحين[٥] من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **«أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٦] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»** وهو قطعة من حديث المعراج .

وقد روى مسلم فى صحيحه[٧] من حديث حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن

(١) (صحيح) أحمد (٢/ ٣٠٥) ، وابن حبان (٢٦٢١) .
(٢) الملاط: الطين الذى يجعل بين كل لبنتين في البناء ، والطين يطلى به الحائط . والمعجم الوسيط : ملط البناء .
(٣) مسلم فى الجنة: حديث (٢١) ، وأحمد (٢/ ٣٧٠) .
(٤) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٦) وعزاه إلى البزار والطبرانى فى الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح .
(٥) البخارى فى الصلاة: ب(١): حديث (٣٤٩) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٧٤): حديث (٢٦٣) .
(٦) جنابذ: جمع جنبذة ، ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة (اللسان : جنبذ)
(٧) مسلم فى الفتن: ب(١٩): حديث (٩٣) .

أبـى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة[١] بيضاء مسك خـالص ، فقـال رسـول ﷺ «**صـــدق** » ثم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة عن الجريـرى ، عن أبى نضرة أن ابن صياد سأل النبى ﷺ عن تربة الجنة فقال: «**درمكة بيضاء مسك خالص**» [٢] .

وقـال سـفيان بـن عيينـة عـن مجـالد عـن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقـال: يا محمد قد غلب على أصحابك اليوم **قال: وبأى شىء غلبوا؟** قال: سألهم الـيهود كـم عـدد خزنة النار ، فقالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا؟!! فقال رسول الله ﷺ: «**أيغلب قـــوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهـــرة، عـــلى بأعداء الله فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة**» ، فـلما أن جاءوه قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا ، وقبض واحدة أى تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تربة الجنة؟**» **فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خبزة يا أبا القاسم** ، فقال النبى ﷺ «**الخبزة من الدرمكة**»[٣] .

فهـذه ثـلاث صـفات فـى تربتها لا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضـمنة للـنوعين: المسك والزعفران ، قال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا محمد بن أبى عبيدة عن أبـيه عـن الأعمـش عـن مـالك بـن الحـارث قـال: قـال مغيـث بـن سمـى: الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين .

أحدهما: أن يكـون الـتراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين يسمى ترابا ، ويـدل عـلى هـذا قولـــه فـى اللفـظ الآخر: ملاطها المسك ، والملاط: الطين ، ويدل عليه أن فى حديـث العـلاء بـن زيـاد: ترابها الزعفران وطينها المسك[٤] فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا .

المعنى الثانى: أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ، مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شىء تكـون الـبهجة والإشـراق فـى لـون الزعفـران والـرائحة فـى رائحـة المسـك وكذلـك تشبيهها بـالدرمك ، وهـو الخـبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما

---

(١) درمكة: الدقيق الحواري ، والتراب الناعم (المعجم الوسيط : درمك) .

(٢) المصدر قبل السابق .

(٣) (غريب) الترمذى فى تفسير القرآن: ب(٧٠): حديث (٣٣٢٧)ومن "سورة المدثر" مرويا عن جابر عبد الله .

(٤) سبق تخريجه .

ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد: أرض الجنة من فضة وترابها المسك ، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى سبرة عن عمر بن عطاء بن وراز عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول: لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجابا**»[1] .

وقال ابن أبى شيبة: حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا على بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: قيل: يا رسول الله ﷺ ، كيف بناء الجنة؟ قال: «**لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران**»[2]

وقال أبو الشيخ[3]: حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل ، حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله بنى جنات عدن بيده وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك**» .

وقال أبو الشيخ[4]: حدثنا عمرو بن الحسين ، حدثنا أبو علاثة ، حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قلت ليلة أسرى بى يا جبريل إنهم سيسألونى عن الجنة؟ قال: فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان**» والعقيان: الذهب ، فإن كان ابن علاثة حفظه فهى أرض الجنتين الذهبيتين ، يكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما ، والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) الاتحاف (١٠/ ٥٣١) ، والترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٣) وسكت عليه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

الباب الخامس والثلاثون
فى ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادى: حدثنا كثير بن هشام، حدثنا هشام بن زياد أبو المقدام عن حبيب بن الشهيد، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: **«خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزى إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت، فقال: من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء»** فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، إنى اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو، **«قال: عفرى»**[1] وقوله: **(عفرى)** أى بيضى.

وذكر أبو نعيم[2] من حديث عباد بن عباد، حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: **إن الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**.

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالبياض، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم»**[3].

وروينا من طريق النجاد، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقى عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال: يا بن عباس، ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير[4] وذكر الحديث. وسيأتى إن شاء الله - تعالى.

---

(١) (موضوع) ابن عدى (٢/ ٤٧٨)، والطبرانى (١١/ ١٠٩).
(٢) (موضوع) أبو نعيم فى صفة الجنة (٢/ ٢٠).
(٣) (ضعيف جدا) الطبرانى (١١/ ١٠٩)، ومجمع الزوائد (٤/ ٦٦).
(٤) سيأتى.

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه[١] عن النبى ﷺ، وذكر الحديث ، وقال: وتحبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدا ، قال: قلت: يا رسول الله فيم نبصر؟ قال: « **مثل بصرك فى عينيك هذه، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال**» .

وفى سنن ابن ماجة[٢] من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافرى ، عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ «**ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية**» قالوا: نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال: «**قولوا إن شاء الله**» **قال القوم: إن شاء الله** .

* * * * * * *

(١) (صحيح) المسند (٤/ ١٣) .
(٢) (ضعيف) ابن ماجه فى الزهد: ب(٣٩): حديث (٤٣٣٢) وابن حبان في صحيحه .

الباب السادس والثلاثون
في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾[1] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها ينظر إليها عيانا، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها، قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[2]، والغرفة جنس كالجنة.

وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[3]،

وقال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾[5].

وروى الترمذي في جامعه[6] من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»** قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

وقال الطبراني[7]: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أبو سلام حدثني أبو معانق الأشعري حدثني أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجنة غرفا يرى ظاهرها**

(١) آية (٢٠) سورة الزمر.
(٢) آية (٧٥) سورة الفرقان.
(٣) آية (٣٧) سورة سبأ.
(٤) آية (١٢) سورة الصف.
(٥) آية (١١) سورة التحريم.
(٦) (حسن) رواه الترمذي في كتاب الجنة: ب(٣): حديث (٢٥٢٧).
(٧) (حسن) الطبراني (٣/ ٣٤٢).

مــن باطــنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» .

وقــال ابــن وهــب: حدثـنا حيى عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال: **«إن فى الجــنة غــرفا يرى ظاهرها من باطنا وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام»** .

قـال محمـد بـن عبد الواحد ، وهو عندى إسناد حسن ، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته لأن أبـا مـالك قـد رواه وإسناده أيضا حسن ، وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق على صحته: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق»** .

وفـى الصـحيحين[١] من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: **«إن للمؤمن فى الجنة لخــيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضــهم بعضــا»** ، وقد تقدم قولـه ﷺ فى الحديث الصحيح: **«من بنى مسجدا بنى الله لــه بيتا فى الجــنة»** ، وقولــه فى حديث أبى موسى: **«يقول عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده: ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد»** .

وفـى الصحيحين[٢] مـن حديـث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة: **«أن جبريل قال للنبى ﷺ: هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة، من قصب لا صخب فيه ولا نصب»** والقصب ههنا: قصب اللؤلؤ المجوف .

وقـد روى ابـن أبى الدنيا من حدث يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبى هريـرة عـن النـبى ﷺ قـال: **«إن فى الجنة لقصرا من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن، أعده الله – عز وجل – لخليله إبراهيم»** [٣] .

وفـى الصحيحين[٤] من حديث حميد عن أنس أن النبى ﷺ قال: **«أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمــر بــن الخطاب»** [٥] وهـو فيهما من حديث جابر ولفظه: **«فأتيت على قصر مربع مشرف من**

---

(١) البخارى فى بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٤٣) ، ومسلم فى الجنة: ب(٩): حديث (٢٣) .
(٢) البخارى فى مناقب الأنصار: ب(٢٠): حديث (٣٨٢٠) ، ومسلم فى فضائل الصحابة: ب(١٢): حديث (٤٧١) .
(٣) ابن عساكر (٢/ ١٥٩) ، والبداية والنهاية (١/ ١٧٢) .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) سبق تخريجه .

ذهب» وقد تقدم .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا شجاع بن الأشرس قال: سمعت عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبى ﷺقال: **«دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال: قلت لجبريل: لمن هذا القصر؟ قال لرجل من قريش، فرجوت أن أكون أنا هو. فقلت: لأى قريش؟ قال: لعمر بن الخطاب..»** وهذا إن كان محفوظا فبياضه: نوره وإشراقه وضياؤه . والله أعلم .

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش: حدثنا مالك بن الحرث عن مغيث بن سمى قال: إن فى الجنة قصورا من ذهب ، وقصورا من فضة ، وقصورا من لؤلؤ ، وقصورا من ياقوت ، وقصورا من زبرجد .

وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير . قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤ واحدة منها غرفها وأبوابها .

وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر ، حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة لغرفا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل: لمن هى يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام، قال: وما طيب الكلام؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تأتى يوم القيامة، ولها مقدمات ومجنبات ومعقبات، قيل: وما وصال الصوم؟ قال: من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه. قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: من قات عياله وأطعمهم، قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك وتحيته، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الآخرة»** [1] قال حفص بن عمر: هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب . فيما أعلم .

قلت: هذا يلقب بالكَفْر - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى بن حرب وهما ثقتان ، ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد . والله أعلم .

---

(١) (حسن) الخطيب (٤/ ١٧٧) ، والمجروحين (١/ ٢٦٠) ، وابن عدى (٢/ ٧٩٥) .

وفى فوائد ابن السماك[١]: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، حدثنا أبى، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن، قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: **«ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال: قلنا: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، قال: إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر، كله يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، قال: قلنا: يا رسول الله، لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: أمتى تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك. من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان، ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام»**[٢]

وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين.

* * * * * * *

(١) ابن السماك: عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد، أبو عمر الدقاق. ثقة. ثبتاً توفى سنة: ٣٤٤هـ.
(٢) (حسن) الاتحاف (١٠/ ٥٢٩)، والترغيب (٤/ ٥١١).

الباب السابع والثلاثون
فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[١] قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا. وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم، وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة[٢]. هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: عرفها: أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ عمل بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزله هو له فيعرفه، كل شىء أعطاه الله فى الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه[٣]. وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم، ومعنى هذا: أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها.

وقال الحسن: وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها، وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعا فى الآخرة، هذا كله إذا قيل: إنه من التعريف.

وفيها قول آخر: إنه من العرف وهو الرائحة الطيبة، وهذا اختيار الزجاج، أى طيبها، ومنه طعام معرف أى مطيب، وقيل: هو من العرف، وهو التتابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها، والقول هو الأول وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره.

وفى صحيح البخارى[٤] من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: **«إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا»**.

وفى سند آخر من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة»**[٥].

* * * * * * *

---

(١) آية (٤-٦) سورة محمد.
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) البخارى فى كتاب المظالم صحيح البخاري (٢٣٠٨) ورواه مسلم في كتاب الإيمان. صحيح مسلم (١٨٣) وفي مسند أحمد (ج٣/ ١٣).
(٥) الترغيب (٤/ ٥٣٤)، وابن كثير (٨/ ١٨).

الباب الثامن والثلاثون
فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾(٢)

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلى، حدثنا يحيى بن سليم الطائفى، حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكى، حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث و عن على أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ .

قال: قلت: يا رسول الله، ما الوفد إلا ركب؟ قال النبى ﷺ **«والذى نفسى بيده إنهم خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح لـه الباب، فلولا أن الله – عز وجل – عرفه نفسه لخر لـه ساجدا مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيمك الذى وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره، فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبدا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدا، والخالدة فلا أظعن أبدا، فيدخل بيتا من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة، فإذا عليها سرير .. على السرير سبعون فراشا .. عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن فى مدار ليلة، تجرى من تحتهم أنهار مطردة، أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فى كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاؤوا، ثم تطير فتذهب، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا إن**

---

(١) آية (٧٣) سورة الزمر .
(٢) آية (٨٥) سورة مريم .

شاء قائما وإن شاء متكئا، وذلك قولــه عز وجل: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[١]**، وبين أيديهم خدم كــاللؤلؤ»** هذا حديث غريب، وفي إسناده ضعف وفي رفعه نظر، والمعروف أنه موقوف على علي. وقـال ابـن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بـن إسـحاق عـن الـنعمان بـن سـعد فـي هذه الآية: **﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْـدًا ﴾**[٢] قال: أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة[٣].

وقـال عـلى بـن الجعد فى الجعديات: أنبأنا زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن عاصم ابـن ضـمرة، عـن على قال: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابهـا وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بهـا فشـربوا مـنها، فأذهبـت مـا فـى بطونهم من أذى أو قذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فـتطهروا مـنها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبدا، ولن تشعث أشـعارهم كأنمـا دهـنوا بالدهـان، ثـم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خـالدين. قـال: ثـم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبـته، فـيقولون: أبشـر بمـا أعـد الله لـك مـن الكـرامة. كـذا قال، ثم ينطلق غلام من أولئك الولـدان إلى بعـض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فـتقول: أنـت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثرى، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسـكفة[٤] بابهـا، فـإذا انـتهى إلى مـنزلـه نظـر إلى أسـاس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضـر وأصـفر وأحمـر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق فلولا أن الله قـدره لــه لألم[٥] أن يذهـب بصـره، ثم طأطا رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصـفوفة وزرابـى مبـثوثة[٦]، فـنظروا إلى تلك النعمة، ثم اتكأوا وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهـذا ومـا كـنا لنهـتدى لـولا أن هدانا الله. ثم ينادى مناد: تحيون فلا تموتون أبدا، وتقيمون فلا تظعنون[٧] أبدا، وتصحون فلا تمرضون أبداً.

---

(١) آية(٥٤) سورة الرحمن.
(٢) سبقت.
(٣) الاتحاف (١٠/٥٢٦)، وابن كثير (٥/ ٥٩).
(٤) أسكفة: عتبة البيت. (المعجم الوسيط: سكف)
(٥) لألم: لأوشك.
(٦) نمارق: الوسادة الصغيرة يُتكأ عليها. زرابى: بسط لها خَمَل يجلس عليها. مبثوثة: مبسوطة.
(٧) تظعنون: ترحلون.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم وحلّى حليتهم ، وأرى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغى أن يموت لمات من سوار فرحه[١] فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه؟ فإنها قائمة لك أبداً .

قال ابن المبارك ، وأخبرنا رشدين بن سعد: أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الجيلى قال: إن العبد أول مايدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ . قال ابن المبارك: وأنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثنى عبيد الله بن زحر ، عن محمد بن أبى أيوب المخزومى ، عن أبى عبد الرحمن المعافرى . قال: إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه ، حتى إذا مرّ مشوا وراءه .

وقال أبو نعيم: حدثنا سلمة عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها ، فيقول له: انظر ، ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس . فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك . حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ، ومن كل مكان يقولون: نحن لك ، نحن لك ثم يقول: امش ، فيقول: ماذا ترى؟ فيقول: أرى مساكن رأيتها من خيام وأكثر أنيس قال: فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا: نحن لك نحن لك .

وفى الصحيحين[٢] من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»**.

* * * * * *

(١) سوار الفرح : شدته وكثرته .
(٢) رواه البخارى في صحيحة (ج٤/ ١٤٤) ، ومسلم فى الإيمان: ب(٩٤): حديث (٣٧٣) ، وأحمد (٥/ ٢٨١) .

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد[١]: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال: السلام عليكم؛ فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن**» متفق على صحته[٢].

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع**» قيل: تفرد به حماد عن علي بن زيد.

وفي جامع الترمذي[٤] من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين**» قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال: حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»[٥].

وقال الترمذي[٦]: حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥) ورواه مسلم في كتاب "الجنة".
(٢) البخاري في أحاديث الأنبياء: ب(١): حديث (٣٣٢٦).
(٣) (صحيح) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٢٩٥).
(٤) (حسن) رواه الترمذي في الجنة: ب(١٢): حديث(٢٥٤٥).
(٥) ابن كثير (٨/ ١٤).
(٦) (ضعيف) الترمذي في صفة الجنة: ب(٢٣): حديث (٢٥٦٢).

سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا، وكذلك أهل النار»** .

فإن كان هذا محفوظا لم يناقض ما قبله ، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرير ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك، على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جرد، مرد مكحلون»** [١] .

وقال ابن وهب: حدثنا معاوية بن صالح ، عن عبد الوهاب بن بخت ، عن أبى الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا، وعلى ذلك قطعت سررهم»** [٢] .

وقد تقدم أن أول زمرة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة .

وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [٣] .

فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم .

وفى الصحيحين [٤]: أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم - عليه السلام - ستون ذراعا فى السماء والرواية على خلق - بفتح الخاء وسكون اللام - والأخلاق كما تكون جمعا للخلق بالضم فهى جمع للخلق بالفتح ، والمراد: تساويهم فى الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا فى الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله: على صورة أبيهم - عليه السلام - ستون ذراعا فى السماء ، أما أخلاقهم وقلوبهم ففى

---

(١) بنحوه: احمد (٢/ ٢٩٥) ، وابن سعد (١/ ١/ ١٠١) ، وابن أبى عاصم (٢/ ٤٠٥) .
(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٥) .
(٣) آية (٤٧) سورة الحجر .
(٤) سبق تخريجه .

الصحيحين من حديث أبى هريرة: "أول زمرة تلج الجنة"[1] الحديث .

وقد تقدم ، وفيه: لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية ، وكذلك وصف الله - سبحانه وتعالى - نساءهم بأنهم أتراب أى: فى سن واحدة ليس فيها العجائز والشواب . وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، كما سيأتى إن شاء الله - تعالى . ولا يخفى التناسب الذى بين هذه الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، يصير طولا مع دقة أو غلظا مع قصر ، كلاهما غير مناسب ، والله أعلم .

* * * * * * *

(١) سبق تخريجه .

الباب الأربعون
فى ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، وأعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾[١]، قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله، موسى، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ. وفى حديث الإسراء المتفق على صحته[٢]: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع على أحدا»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفى صحيح مسلم[٣] من حديث عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ثم سلوا لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»**.

وفى صحيح مسلم[٤] من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال: **«إن موسى سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟، فيقول: رضيت رب ؛ فيقول: هذا لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب ؛ قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»**.

وقال الترمذى[٥]: حدثنا عبد بن حميد: أخبرنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته**

---

(١) آية (٢٥٣) سورة البقرة.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) مسلم في الصلاة ب (١١) حديث (١١).
(٤) مسلم فى الإيمان: ب(٨٤): حديث (٣١٢).
(٥) الترمذى فى الجنة: ب(١٧): حديث (٢٥٥٣).

وأزواجه ونعيمه مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1]» قال: وقد روى هذا الحديث من غير وجه، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعا، قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر موقوفا، ورواه عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه.

قلت: ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية: عن عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعا: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه**»[2] الحديث. ورواه أبو نعيم[3]، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال إسرائيل: لا أعلم ثويرا إلا رفعه إلى النبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد[4]: حدثنا حسن - هو ابن موسى - حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا أبو الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه، إلا قال: من ذهب في كل صفحة لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وعن الأشربة بثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول: يا رب: لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيئا، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**».

قلت: سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي، وشهر بن حوشب ضعفه مشهور، والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض.

---

(١) آية (٢٢، ٢٣) سورة القيامة.
(٢) (ضعيف) الحاكم (٢/ ٥٠٩).
(٣) الحلية (٥/ ٨٧).
(٤) (ضعيف) أحمد (٢/ ٥٣٧).

والـذى فـى الصـحيحين فـى أول زمـرة تـلج الجـنة: لكـل امـرئ مـنهم زوْجـتان مـن الحـور العـين، فكـيف يكـون لأدنـاهم اثنـتان وسـبعون مـن الحـور العـين؟ وأقـل سـاكنى الجـنة نسـاء الدنـيا، فكـيف يكـون لأدنـى أهـل الجـنة جماعـة مـنهن؟ وأيضـا فـإن الجنـتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين؟

قـال الدولابـى: شـهر بـن حوشـب لا يشـبه حديـثه حديـث الـناس، وقـال ابـن عـون: إن ابـن حوشـب اتـركوه، وقـال النسـائى وابـن عـدى: لـيس بـالقوى، وقـال أبـو حـاتم: لا يحـتج بـه وتـركه شـعبة ويحـيى بـن سـعيد، وهـذان مـن أعـلم الـناس بالحديـث، ورواتـه وعلـله؛ وإن كـان غـير هـؤلاء قـد وثقـه وحسـن حديـثه، فـلا ريـب أنـه إذا تفـرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم.

* * * * * *

الباب الحادى والأربعون
فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم[١] فى صحيحه من حديث ثوبان قال: كنت نائما عند رسول الله ﷺ ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد ،فدفعته دفعة كاد يصرع منها ؛ فقال: لم تدفعنى؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ؛ فقال رسول الله ﷺ: إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى ، فقال اليهودى: جئت أسألك ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك شىء إن حدثتك؟**» فقال: أسمع بأذنى فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فى الأرض ؛ فقال: سل . فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فى الظلمة دون الجسر**» ؛ قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**» . قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»[٢] ؛ قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها**» ؛ قال: فما شرابهم؟ قال: «**من عين تسمى سلسبيلا**» ؛ قال: صدقت ؛ قال: وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان ؛ قال: «**أينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذنى ؛ قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر؟ فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله – تعالى، وإن علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله تعالى**» ؛ قال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف . فقال: رسول الله ﷺ: «**لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشىء منه؛ حتى آتانى الله به – عز وجل**» .

وفى صحيح البخارى[٣] عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهو فى أرض يخترف ، فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أوأمه؟ قال: «**أخبرنى بهن جبريل آنفا**» ، قال: جبريل؟ قال: «**نعم، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٤] أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فزيادة كبد الحوت، وإذا**

(١) مسلم فى الحيض: ب(٨): حديث (٣٣) .
(٢) النون: الحوت .
(٣) البخارى فى التفسير: ب(٦): حديث (٤٤٨٠) .
(٤) آية (٩٧) سورة البقرة .

سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت» ، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال: أفرأيتم إن أسلم عبد الله فيكم؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

وفي الصحيحين[1] من حديث عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها[2] الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ألا أخبرك بإدامهم؟ قال إدامهم بالام ونون[3] قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا".

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن أبا الخير أخبره، أن أبا العوام أخبره، أنه سمع كعبا يقول: "إن الله – عز وجل – يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزورا وإني أجزركم اليوم، فأتى بثور وحوت، فيجزر لأهل الجنة» .

* * * * * *

---

(١) البخاري في الرقاق: ب(٤٤): حديث (٦٥٢٠) ، ومسلم في المنافقين: ب(٣): حديث (٣٠) .

(٢) يتكفؤها الجبار: أي يميلها . من كفأت الإناء: إذا قلبته . فتح الباري (١١- ٣٨٠) .

(٣) بالام: ثور بالعبرانية .

الباب الثانى والأربعون
فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبرانى: حدثنا موسى بن حازم الأصبهانى ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن الحسن بن عمرو ، عن مجاهد ؛ عن جنادة بن أبى أمية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ﷺ قال: **«من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام»** [١] ورواه البخارى فى الصحيح [٢] عن قيس بن حفص ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحسن بن عمرو الفقيمى ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة وقال: "يوجد من ميسرة أربعين عاماً" .

وقال الترمذى [٣]: حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معدى بن سليمان ، هو البصرى ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: **«ألا من قتل نفسا معاهدا لـه ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا»** .

قال: وفى الباب عن أبى بكرة وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندى على شرط الصحيح .

قلت: وقد رواه الطبرانى [٤] من حديث عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة يرفعه: "من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام" .

وقال الطبرانى [٥]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق وعن قتادة ، عن الحسن أو غيره ، عن أبى بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»** ، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه .

وقد أخرجا فى الصحيحين [٦] من حديث أنس قال: "لم يشهد عمى مع رسول الله ﷺ بدرا ، قال: فشق عليه ، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، فإن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع ، قال: فهاب أن يقول غيرها ، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال لـه: أين؟ فقال: واها لريح الجنة أجده دون أحد ،

---

(١) (صحيح) الحاكم (٢/ ١٢٦ ، ١٢٧) .
(٢) (٩/ ١٦) .
(٣) (صحيح) الترمذى فى الديات: ب(١١): حديث (١٤٠٣) .
(٤) المصدر عاليه .
(٥) (صحيح) أحمد (٥/ ٤٦) .
(٦) البخارى فى الجهاد: ب(١٢) ، ومسلم فى الإمارة: حديث (١٤٨) .

قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر: فما عرفت أخى إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]. قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه.

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد، وريح بحاسة الشم للأبدان، كما تشم رائحة الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا محمد بن أحمد المؤدب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، أخبرنا الربيع بن بدر، وحدثنا هارون بن رياب عن مجاهد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام»**.

وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف، حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير، حدثنا جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم»**.

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبى ﷺ قال: **«من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاما، وقد أشهد الله - سبحانه - عباده فى هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور وقرة الأعين»**[2].

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله - عز وجل - للجنة: طيبى لأهلك فتزداد طيبا، فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك، كما جعل - سبحانه - نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة»**: قال تعالى فى هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾[3].

وأخبر النبى ﷺ أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم، فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها. والله المستعان.

* * * * * * *

---

(١) آية (٢٣) سورة الأحزاب.

(٢) أحمد (٢/ ١٩٤)، ومسلم فى الحج: حديث (٤٦٧).

(٣) آية (٧٣) سورة الواقعة.

الباب الثالث والأربعون
في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه[١] من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ينادي مناد: أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»** ، وذلك قول الله - عز وجل: ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

قال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ: « ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، **قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبدا، واخلدوا فلا تموتوا أبدا، وانعموا فلا تبأسوا أبدا»** .

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب أن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم من النظر إليه»** .

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا أبو بكر الألهاني ، أخبرني أبو تميم الهجيني ، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله -عز وجل - يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول: يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟فينظرون فيرون الحُلِيّ والحُلَل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون: نعم ، قد أنجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون شيئا مما وعدوا . فيقولون: نعم ، فيقول: قد بقي شيء ، إن الله يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[٤] الا إن الحسنى: ، والزيادة: النظر إلى وجه الله.

---

(١) مسلم في الجنة: ب(٨): حديث (٢٠) .
(٢) آية (٤٣) سورة الأعراف .
(٣) مسلم في الإيمان: ب(٨٠): حديث (٢٩٧) .
(٤) آية (٢٦) سورة يونس .

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله – عز وجل– يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»** ومن تراجم البخاري عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة، وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله.

وفي الصحيحين[2] من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه»** هذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم – تبارك وتعالى – يرسل إليهم ملكا، فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها. وذلك في مقدار يوم الجمعة، كما سيأتي مبينا في باب زيارتهم الرب – عز وجل. والله أعلم.

******

(1) البخاري في الرقاق: ب(51): حديث (6549)، ومسلم في الجنة: ب(2): حديث (9) والترمذي (ج4/ 2555) وأحمد في مسنده (ج3/ 88).

(2) البخاري في الرقاق: ب(50): حديث (6544)، ومسلم في الجنة: (42).

الباب الرابع والأربعون
فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾(٢) وهو جمع فنن، وهو الغصن، وقال: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾(٣). والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع، فلا شوك فيه، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبى الأحوص، وقسامة بن زهير، وجماعة.

واحتج هؤلاء بحجتين: (إحداهما): أن الخضد فى اللغة القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته؛ وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود، ومنها الخضد على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه.

(الحجة الثانية) قال ابن أبى داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنى حبيب بن عبيد بن عبد السلمى قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابى فقال له: يا رسول الله، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعنى الطلح - فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة (٤) التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر»**(٥). (الملبود) الذى اجتمع شعره بعضه عل بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، وأقبل أعرابى يوما، فقال يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها، قال رسول الله ﷺ: **«وما هى؟ قال: السدر، فإن له شوكا مؤذيا. قال: أليس يقول: فى سدر مخضود؟! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة»**.

وقالت طائفة: المخضود هو: الموقر حملا. وأنكر عليهم هذا القول: وقالوا: لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول، بل هو قول صحيح،

---

(١) آية (٢٧) سورة الواقعة.
(٢) آية (٤٨) سورة الرحمن.
(٣) آية (٦٨) سورة الرحمن.
(٤) خصوة - خصية - البيضة من أعضاء التناسل وهما خُصْيَتان جمع: خُصى (المعجم الوسيط: خُصِىَ).
(٥) (حسن) الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧٨، ٩٧٩).

وأربابه ذهبوا إلى أن الله - سبحانه وتعالى - لما خضد شوكه وأذهبه ، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أَوْقَرَه حَمْلا . والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال: المخضود الذى لا يعقر اليد ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى فيه ، فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفردا من أفراده تارة ، ومثالا من أمثلته فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ، ولا اختلاف بينها .

الطلح من أشجار الجنة

وأما الطلح ، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز ، قال مجاهد: أعجبهم طلح وج[(١)] وحسنه . فقيل لهم: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾[(٢)] وهذا قول على بن أبى طالب ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى .

وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال ، وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب ، قال حاديهم:

بَشَّرَها دَليلُها وقَالاَ ::: غداً تَرَيْنَ الطلحَ والجِبالاَ

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة: هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز ، وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجرى من غير أخدود .

وقال الليث: الطلح: شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكا وأصلبه عودا وأجود صمغا . قال أبو إسحاق: يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان ، لأن له نورا طيب الرائحة جدا ، فوعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا ، فإنه ليس ما فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسامى .

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز ، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح فى اللغة: هو الشجر العظام من البوادى ، والله أعلم .

وفى الصحيحين[(٣)] من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال

---

(١) وج: موضع بناحية الطائف . وقيل : موضع بالبادية مشهور بكثرة الثمار .
قال الشاعر :

فإن تُسْقَ مِنْ أعنابِ وَجٍّ فإنّنا ::: لنا العينُ تَجْري مِن كسيسٍ ومِنْ خَمْرِ

والكسيس : نبيذ التمر (اللسان : وجّ)

(٢) آية (٢٩) سورة الواقعة .

(٣) البخارى فى التفسير: ب(١): حديث (٤٨٨١) ، ومسلم فى الجنة: ب(١): حديث (٧) .

رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، فاقرؤوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ . وفي الصحيحين أيضا[١] من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» قال أبو حازم: فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها» .

وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة عن أبي الضحاك ، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة، هي شجرة جنة الخلد» . وقال وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد ، مولى بني مخزوم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه : «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام» . اقرءوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ ، فبلغ ذلك كعبا فقال: صدق ، والذي أنزل التوارة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد ﷺ ، لو أن رجلا ركب جذعة أو جذعا ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرما ، وإن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سور الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة[٣] .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس: الظل الممدود: شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها بأهل الجنة: أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا[٤] .

وفي جامع الترمذي[٥] من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» قال: هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٦]، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا

(١) سبق تخريجه .
(٢) أحمد (٤/١٤) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٨٨) .
(٤) (حسن) المصدر السابق .
(٥) (صحيح) الترمذي في الجنة: ب(١): حديث (٢٥٢٥) .
(٦) آية (١٧) سورة السجدة .

يقطعهـــا، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[١]» رواه بهـذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجة[٢] . وصدره في الصحيحين[٣] ، وفي صحيح البخاري من حديث انس بـن مـالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرءوا ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾**» .

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سـعيد الخـدري قـال: قـال رجل يا رسول الله ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثـــياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» [٤] ، وقـد رواه عـنه حرملة بزيادة وقال: أخبرني ابن وهب وأخـبرني عمـر ، أن دراجـا حدثـه أن أبـا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري: أن رجلا قال: يا رسول الله . طوبى لمن رآك وآمن بك . فقال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى، ثم طوبى لمـــن آمن بي ولم يرني**» فقـال رجل يا رسول الله ، وما طوبى؟ « **قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[٥] .

قلـت وأول هـذا الحديث في المسند ولفظه: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني، سبع مرات**» .

وقـال ابن المبارك: حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعهـا مـن زمـرد أخضـر وكـربها[٦] ذهـب أحمـر وسـعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحلـلهم ، وثمـرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيه عجم[٧] .

وقـال الإمـام أحمـد حدثـنا[٨] علي بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنا معمر ، عن يحيى ابـن أبي كثير ، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسـأله عـن الحـوض وذكـر الجنة ، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: نعم وفيها شجرة تدعى

---

(١) آية (١٨٥) سورة آل عمران .
(٢) (حسن) الترمذي في التفسير: ب(٥٦): حديث (٣٢٩٢) .
(٣) البخاري في بدء الخلق: ب(٨) ، ومسلم في الإيمان: حديث (٣١٢) .
(٤) (حسن) أحمد (١٧/٣) ، والطبري (١٠١/١٣) .
(٥) الحديث السابق .
(٦) كربها: الكرب الأصل العريض للسعف إذا يبس . المعجم الوسيط/ كرب .
(٧) (حسن) الزهد لابن المبارك ص(٥٢٣) ، وكنز العمال (٣٩٢٧٢) .
(٨) (صحيح) أحمد (١٨٣/٤) .

طوبى ، فذكر شيئا لا أدرى ما هو؟ فقال: أى شجر أرضنا تشبهه؟ قال: ليست تشبه شيئا من شجر أرضك . فقال النبى: «**أتيت الشام؟**»قال: لا ، قال: تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها ، قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل هلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما ، قال: فيها عنب؟ قال: نعم ، قال: فما عظم العنقود؟ قال: "مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر ، قال فما عظم الحبة؟" قال: هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما؟ قال: نعم ، قال: فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، وقال لها : اتخذى لنا منه دلوا؟ قال: نعم ، قال الأعرابى: فإن تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى؟ قال: نعم وعامة عشيرتك".

قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت: "سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى ، فقال: «**يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة، أو قال: يستظل الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال**» ورواه الترمذى[1] وقال: شك يحيى وهو حديث حسن غريب .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عيينة: عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال: "أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائما لم يؤذه ، ومن أكل جالسا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعا لم يؤذه ، وذللت قطوفها تذليلاً".

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: "نزلنا الصفاح ، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله ، قال: فانطلق فأظله ، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال: يا جرير ، تواضع لله ، فإن من تواضع لله رفعه يوم القيامة . يا جرير: هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى . قال: ظلم الناس بينهم ، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين إصبعيه ، فقال: يا جرير ، إذا طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت: يا أبا عبد الله ، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر"[2].

* * * * * *

---

(١) الترمذى فى الجنة: ب(٩): حديث (٢٥٤١) .

(٢) (حسن) الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧٠) .

الباب الخامس والأربعون
فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قـال تعـالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَـا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[١] .

وقولهـم هـذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد أن هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة؟ .

قـيل: فيه قولان: ففى تفسير السدى[٢] عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عـن ابـن مسـعود ، وعـن نـاس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا .

قـال مجـاهد: مـا أشـبهه بـه ، وقـال ابـن زيـد: هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا ، وأتوا به متشـابها يعـرفونه ، وقـال آخـرون: هـذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا فى اللون والطعم ، احتج أصحاب هذا القول بحجج:

إحداهـــا: إن المشـابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو .

الحجـــة الثانـــية: مـا حكاه ابن جرير عنهم . قال: ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كـلما نـزع منها شىء عاد مكانه آخر مثله كما كان . حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدى ، حدثنا سـفيان سمعـت عمـرو بـن مـرة يحـدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجـــة الثالثة: قولـه: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ . وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذى رزقنا من قبل .

الحجة الرابعة: إن المعلـوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهـلها لا يعـرفون ثمـار الدنيا ولا رأوها ، ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر ، واحتجت بوجوه:

---

(١) آية (٢٥) سورة البقرة .
(٢) نقله ابن كثير فى تفسيره (١/ ٦٢ ، ٦٣) .

قال ابن جرير: والذى يحقق صحة القولين: أن معنى هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله - جل ثناؤه - قال: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً ﴾ يقولون: هذا الذى رزقنا من قبل ، ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض ، فإذا كان قد أخبر - جل ذكره - عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة ، فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ، فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه ، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره منها : هذا هو الذى رزقنا من قبل؟ إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب ، الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول: رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب ، دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال ، فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة ، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا .

قلت: أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول ، لدلالة العقل والسياق عليه ، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولابد بأنواع من التخصيصات .

أحدهما: أن كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لها نظير فى الدنيا ، لا يقال فيها ذلك .

الثانى: أن كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة .

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقنا فى الدنيا ، ويستمرون على هذا الكلام دائما ، إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ، ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب .

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره . ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمارها وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا . فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله - سبحان وتعالى - ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه . والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه . والله أعلم .

وأما قوله عزّ وجل: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ قال الحسن: خيار كله لا رذل . ألم تروا إلى ثمر

الدنيا كيف تسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل؟ .

وقال قتادة: خيار لا رذل فيه . فإن ثمر الدنيا ينقى منها ويرذل منها . وكذلك قال ابن جريج وجماعة . وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل . وقالت طائفة أخرى، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: متشابها فى اللون والمرأى، وليس يشبه الطعم الطعم، قال مجاهد: متشابها لونه مختلفا طعمه .

وكذلك قال الربيع بن أنس . وقال يحيى بن أبى كثير: عشب الجنة: الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفا فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . فهو قوله - عز وجل: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

وقالت طائفة: معنى الآية: أن يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب . قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه . كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان، قالوا فى الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم، واختار ابن جرير هذا القول قال: وقد دللنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الجنة، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ . أنه - سبحانه وتعالى - أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾[2] .

وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾[4] أى لا تكون فى وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها وقال: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا

(١) آية (٥٠، ٥١) سورة (ص) .
(٢) آية (٥٥) سورة الدخان .
(٣) آية (٧٣) سورة الزخرف .
(٤) آية (٣٢) سورة الواقعة .

دَانِيَةٌ ﴾[1] والقطوف: جمع قطف وهو ما يقطف، والقطف - بالفتح - الفعل، أى ثمارها دانية قريبة ممن تناولها فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[2].

قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت لـه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قربت إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين، فيكون كقوله: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾.

ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذلل النخل، أى سوَّى عذوقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها وفى نصب ﴿ دَانِيَةً ﴾ وجهان: أحدهما: أنه على الحال عطفا على قولـه متكئين. والثانى: أنه صفة الجنة، وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[3] وفى الجنتين الأخرتين ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[4].

وقال الطبرانى[5]: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا على بن المدينى، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عبادة بن منصور، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن إسماعيل، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»** وقال عبد الله بن الإمام أحمد[6]: حدثنى عقبة بن مكرم العمى، حدثنا ربعى بن إبراهيم بن علية، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهبط الله آدم - عليه السلام - من الجنة، وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تتغير»** وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال. وفى صحيح مسلم[7] من حديث أبى الزبير، عن جابر عن النبى ﷺ قال: **«عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته»** وفى لفظ: **«فتناولت منها**

---

(١) آية (٢٣) سورة الحاقة.
(٢) آية (١٤٣) سورة الإنسان.
(٣) آية (٥٢) سورة الرحمن.
(٤) آية (١٥) سورة محمد.
(٥) (صحيح) الطبرانى (٢/ ١٠٠)، ومجمع الزوائد (١٠/ ٤١٤).
(٦) (صحيح) مجمع الزوائد (٨/ ١٩٧).
(٧) مسلم فى الكسوف: ب(٣): حديث (٩).

قطفا فقصرت عنه يدى» وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: "بينما نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم فى صلاتك شيئا ما كنت تصنعه قال: **«إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه»** [1].

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم"[2]. وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك عن أبى إسحاق البراء بن عازب قال: "إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين على أى حال شاءوا"[3]. وقال البزار فى مسنده[4]: حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى قال: حدثنا كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى دار سليمة، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: قولوا إن شاء الله، قال القوم: إن شاء الله»**.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبى ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقا عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر.

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره: **«مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه»** [5]، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة قال الحسن وأبو العالية: وهو ريحان هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

* * * * * *

---

(١) (صحيح) أحمد (٥/ ١٣٧)، والحاكم (٤/ ٦٠٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) (حسن) الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

الباب السادس والأربعون
فى زرع الجنة

قال تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾[١] . وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يحدث يوما وعنده رجل من أهل البادية: «أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه – عز وجل – فى الزرع فقال له ، أو لست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى ، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع ، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله – عز وجل : دونك يا بن آدم ، فإنه لا يشبعك شىء ، فقال الأعرابى: يا رسول الله ، لا نجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب – تعالى – مع أهل الجنة[٢] . وخرجه فى غيره أيضا . وهذا يدل على أن فى الجنة زرعا وذلك البذر منه ، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع .

فإن قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فأخبره أنه فى غنية عنه؟ قيل: لعله استأذنه فى زرع يباشره ويزرعه بيده ، وقد كان فى غنية عنه ، وقد كفى مؤنته ، ولا أعلم ذكر الزرع فى الجنة إلا فى هذا الحديث . والله أعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينما رجل فى الجنة ، فقال فى نفسه: لو أن الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون: سلام عليكم يقول لك ربك: تمنيت فى نفسك شيئا فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول: ابذروا فيخرج أمثال الجبال ، فيقول له الرب من فوق عرشه: كل يا بن آدم ، فإن ابن آدم لا يشبع والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) آية (٧١) سورة الزخرف .
(٢) البخارى حديث (٧٥١٨) .

الباب السابع والأربعون
فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (١) وفى موضع: ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾ ، وفى موضع: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾ وهذا يدل على أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة .

الثانى: أنها جارية لا واقفة .

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا ، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاءوا ، وكأن الذى حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير أخدود (٢) ، فهى جارية على وجه الأرض حملوا قوله: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ على أنها تجرى بأمرهم ، إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهار الجنة - وإن جرت فى غير أخدود - فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل: من تحت أرضها ، وقد أخبر - سبحانه - عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾ (٣) فهذا على ما هو المعهود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون: ﴿ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٥) .

قال ابن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد قال نضاختان بالماء والفواكه . وحدثنا ابن يمان ، عن أبى إسحاق ، عن أبان ، عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا . وحدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البراء

---

(١) آية (٢٥) سورة البقرة .
(٢) الشق المستطيل في الأرض . (المعجم الوجيز خدّ) .
(٣) آية (٦) سورة الأنعام .
(٤) آية (٥١) سورة الزخرف .
(٥) آية (٦٦) سورة الرحمن .

قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين . وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[1] .

فذكر - سبحانه - هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء: أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن: أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا ، وآفة الخمر: كراهة مذاقها المنافي للذة شربها . وآفة العسل: عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب - تعالى - أن يجري أنهارا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها . كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع ، والغول ، واللغو ، والإنزاف ، وعدم اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ، ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو ، وتنزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كراهية المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس ، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياما له ولمن تلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتخرج من القلب تعظيم المحارم ؛ ومدمنها كعابد وثن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحَتْ بُلُبِّه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير ، وفتحت له بابا من الشر ، وكم أوقعت في بَلِيَّة ، وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة . وجرأت عليه من سفلة .

فهي جماع الإثم ، ومفتاح الشر وسلابة النعم ، وجالبة النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد ، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»**[2] . لكفى .

---

(١) آية (١٥) سورة محمد .

(٢) مسلم في الأشربة: حديث (٧٨) ، وأحمد (٢/ ٢٢) .

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل: فقد وصف - سبحانه - الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن ، فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال . فتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذاتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم . والله أعلم .

فصل

تفجر أنهار الجنة

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، كما روى البخارى فى صحيحه[1] من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»** .

وروى الترمذى[2] نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة: **«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»** .

وفى المعجم للطبرانى[3] من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ **«الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة»** .

وفى صحيح البخارى[4] من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«رفعت إلى سدرة المنتهى فى السماء السابعة، نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات»** .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (صحيح) الطبرانى (٧/ ٢٥٨) .

(٤) البخارى فى بدء الخلق: ب(٦): حديث (٣٢٠٧) .

وفي صحيحه[١] أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذ يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»** .

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي - عز وجل»** .

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة فإذا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت يدى إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر. فقلت: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك الله - عز وجل»**[٣] .

قال الترمذي[٤]: حدثنا هناد، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»** قال: هذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر هو الرازي، حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قال: الخير الكثير . وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة، وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، وهذا معناه والله أعلم، أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه .

وفي جامع الترمذي[٥] من حديث الجريري عن حكم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد»** قال: هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم[٦]: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يسقيه الله - عز وجل - من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن**

---

(١) في الرقاق: ب(٥٣): حديث (٦٥٨١)، (فتح الباري) (ج١٠/ ٣٦٢) كتاب التفسير .
(٢) مسلم في الجنة: ب(١٤): حديث (٥٣) .
(٣) البخاري في الرقاق: ب(٥٣): حديث (٦٥٨١)، وأحمد في مسنده (ج٣/ ١٠٣) .
(٤) رواه الترمذي في التفسير: ب(٩٨): حديث (٣٣٦١) .
(٥) الترمذي في صفة الجنة: ب(٢٧): حديث (٢٥٧١) .
(٦) (صحيح) بنحوه: الحاكم (٤/ ١٤٥) و رواه السيوطي في "الدر المنثور" (ج٤/ ٢٢١) .

يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت تحلية أهل الدنيا جميعا فكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا» .

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: **«إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك»** [١] وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه في مسنده: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد ، حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«هذه الأنهار تشخب[٢] من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهارا»** [٣] .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيدة ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الجريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر ، قلت: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له ؛ ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى و حدثنا مهدي بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون . أخبرنا الجريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ . فذكر هكذا رواه مرفوعا . وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٤] فقال رسول الله ﷺ: **«أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ»** [٥] .

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى: ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾[٦] قال: أنهار تجري في غير أخدود قال: ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[٧] قال: من أصلها إلى فرعها أو كلمة نحوها .

---

(١) سبق .
(٢) تشخب: تسيل .
(٣) أبو عوانة (١/ ١٥٧) ، وابن كثير (٧/ ٢٩٦) .
(٤) آية (١) سورة الكوثر .
(٥) صحيح رواه أحمد (٣/ ١٥٢ ، ٢٤٧)وابن حبان (٦٤٧١)
(٦) آية (٣١) سورة الواقعة .
(٧) آية (١٤٨) سورة الشعراء .

وفى صحيح مسلم[1] من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان[2] وجيحان[3] والفرات والنيل كل من أنهار الجنة**»

وقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حبان عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**أنزل الله من الجنة خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل ﷺ فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾[4]**» .

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذا الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾[5] .

فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة[6] ورواه أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة، هذا مع أحاديث غيره، وقال عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء. قال البخارى: منكر الحديث، وقال النسائى: متروك، وقال أبو حاتم: لا تشتغل به .

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس : قال: إن فى الجنة نهرا يقال له: البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته جَوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه[7] .

---

(١) مسلم فى كتاب الجنة: (ج٥/ ٦٦٧) رقم (٢٤)

(٢) سيحان: نهر بالعواصم قريبا من المصيصة وطرطوس. النهاية (٢/ ٤٣٣).

(٣) جيحان: المصدر السابق.

(٤) آية (١٨) سورة المؤمنون.

(٥) الآية السابقة.

(٦) الخطيب (١/ ٥٧)، والدر المنثور (٥/ ٨)، والمجروحين (٣/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٧) (صحيح) أبو نعيم فى صفة الجنة (٢/ ١٧٣).

فصل: عيون الجنة

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[2] وقال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم . وقد اختلف فى قوله يشرب بها . فقال الكوفيون: الباء بمعنى من ، أى يشرب منها .

وقال آخرون: بل الفعل مضمن معنى يشرب بها أى يروى بها ، فلما ضمنه معناه عداه تعديته ، وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة: الباء للظرفية فيه ، والعين اسم مكان ، كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾[3] ضمن ، معنى به فعدى تعديته وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾[4] فأخبر - سبحانه - عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[5] .

فأخبر - سبحانه - عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين ،

ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولا بالكافور . وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله .

---

(١) آية (٤٥) سورة الحجر .
(٢) آية (٥ ، ٦) سورة الإنسان .
(٣) آية (٢٥) سورة الحج .
(٤) آية (١٧ ، ١٨) سورة الإنسان .
(٥) آية (٢٨) سورة المطففين .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب . أحدهما مزج بكافور . والثانى مزج بزنجبيل، وأيضا فإنه - سبحانه - أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التى نبه على وفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم . ولهذا قال: ﴿وَجَــزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[1]، فإن فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان .

ونظير قوله تعالى فى آخر السورة: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[2] فهذه زينة الظاهر ثم قال: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[3] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص . ونظيره قوله تعالى - لأبيهم آدم- عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾[4] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعرى، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ، ولا حر الظاهر بالضحى .

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعم أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين .

وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظها من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد : الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف: ﴿فَذَلِكُــنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[5] فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ ﴾ . فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير فى القرآن لمتأمله .

* * * * * * *

(١) آية (١٢) سورة الإنسان .
(٢) آية (٢١) سورة الإنسان .
(٣) الآية السابقة .
(٤) آية (١١٨) سورة طه .
(٥) آية (٣٢) سورة يوسف .

الباب الثامن والأربعون
فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾. وقال تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾(٥).

وفى صحيح مسلم(٦) من حديث أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ **«يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»** ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر؛ وفيه قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد.

وفى المسند وسنن النسائى(٧) بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: **«جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم، والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون لـه الحاجة وليس فى الجنة أذى قال: تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه»**.

ورواه الحاكم فى صحيحه(٨) ولفظه: أتى النبى ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم

---

(١) آية (٤١) سورة المرسلات.

(٢) آية (١٩-٢٤) سورة الحاقة.

(٣) آية (٧٢، ٧٣) سورة الزخرف.

(٤) آية (٣٥) سورة الرعد.

(٥) آية (٢٥) سورة المطففين.

(٦) رواه مسلم في كتاب "الجنة" (ج٥/ ٦٩٥). الجشاء: تنفس المعدة من امتلاء الصوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة. الرشح: العرق

(٧) (صحيح) في "مسند" أحمد (ج٤/ ٨٣٦٧)

(٨) (صحيح) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٩).

ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ويقول لأصحابه: إن أقر لى بهذا خصمته – فقال رسول الله ﷺ: **«والذى نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع، فقال له اليهودى: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال له رسول الله ﷺ: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر»** .

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا»** [1] .

وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله بن سلام: فى أول ما يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره ، حديث أبى سعيد الخدرى: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة.

وقال الحاكم[2] أنبأنا الأصم ، حدثنا إبراهيم بن منقذ ، حدثنا إدريس بن يحيى ، حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى»** [3] ، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله ، قال: **«أنعم منها من يأكلها أنت ممن يأكلها يا أبا بكر»** .

قال الحاكم وأنبأنا الأصم ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله ، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال: **«من يأكلها أنعم منها، وإنها أمثال البخاتى وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»** وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[4] ، قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الأخرى.

وقال الدراوردى: حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس ابن مالك يقول فى الكوثر: قال رسول الله ﷺ: **«هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضا من اللبن، وأحلى**

---

(١) (ضعيف) المجمع (١٠/ ٤١٤) .
(٢) أورده فى الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٩) من حديث أنس ، وقال: رواه أحمد بإسناد جيد ، والترمذى وقال: حديث حسن .
(٣) البخاتى: جمع بخت ، بضم الموحدة وسكون الخاء ، وهى الإبل الخراسانية . (المعجم الوسيط : بُخْت)
(٤) آية (٧١) سورة الزخرف .

مـــن العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»، فقال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رســـول الله ﷺ: «آكلها أنعم منها»[1] تابعه إبراهيم بن سعد عن ابن أخي عن ابن شهاب وقال: فقال أبو بكر بدل عمر .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[2] يقول: الخمر لا فيها غول: يقول: ليس فيها صداع ، وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[3] يقول: لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[4] يقول ممتلأة ، وقوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾[5] يقول: الخمر ختم بالمسك: وقال علقمة عن ابن مسعود: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[6] قال: خلطه وليس بخاتم ثم يختم . قلت: يريد - والله أعلم - أن آخره مسك يخالطه ، فهو من الخاتمة وليس من الخاتم . وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فقرأتها ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فقال لي علقمة: ليست خاتمة ولكن اقرأه ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قال علقمة: ختامه خلطه ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب: إن خلطه من مسك لكذا وكذا .

وذكر سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق: الرحيق: الخمر ، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك ، وبهذا الإسناد عن مسروق ، عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾[7] قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا . وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفا ، ويمزج لمن دونهم . وقال مجاهد: ختامه مسك يقول: طينه ، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير . ولفظ الآية أوضح منه . وكأنه والله أعلم ، يريد ما يبقى من أسفل الإناء من الدردي .

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[8] قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

---

(١) (صحيح) الحاكم (٢/ ٥٣٧) .
(٢) آية (١٨) سورة الواقعة .
(٣) آية (٤٧) سورة الصافات .
(٤) آية (٣٤) سورة النبأ .
(٥) آية (٢٥) سورة المطففين .
(٦) آية (٢٦) سورة المطففين .
(٧) آية (٢٧) سورة المطففين .
(٨) آية (٢٦) سورة المطففين .

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: ﴿ التَّسْنِيمِ ﴾: اسم العين التى يمزج بها الخمر .

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[1] قال: هى المتابعة الممتلأة . قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[2] وعلى قوله: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾[3] ، فقالت فرقة: سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل ، وسبيلا: منصوب على المفعول ، أى سل سبيلا إليها وليس هذا بشىء ، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد سعى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة: سلسلة لهم يصرفونها حيث شاءوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر ؛ وقال مجاهد: سلسلة السيل حديدة الجرية ، وقال أبو العالية: والمقاتلان تسيل عليهم فى الطرق ، وفى منازلهم ، وهذا من سلاستها وحدة جريتها وقال أخرون: معناها الطيبة الطعم والمذاق .

وقال أبو إسحاق: سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة ، فسميت العين بذلك . وقال ابن الأنبارى: الصواب فى سلسبيل: إنه صفة للماء ، وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين :

إحداهما: أن سلسبيلا مصروف ، ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالا . قلت: ولا حجة له فى واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآى له كنظائره ، وأما قول ابن عباس ، فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر ، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر .

فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بكُنْ وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة ، ثم يؤتى به إليهم .

---

(١) آية (٣٤) سورة النبأ .

(٢) آية (٥ ، ٦) سورة الإنسان .

(٣) آية (١٧ ، ١٨) سورة الإنسان .

والصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئا. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**»[1] والمجامر: جمع مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه والألوة: العود الطري، فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر – سبحانه – أن في الجنة ظلالا، والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ**﴾[2] وقال: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾. وقال: ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾[3] فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسبابا تتم بها. والله – سبحانه – خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه- أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيؤه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل – سبحانه – أوراق الشجر ظلالها، فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله – سبحانه – على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته – سبحانه وتعالى – مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشؤها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب – سبحانه وتعالى – فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا الرب – سبحانه وتعالى – فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب.

ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والهواء

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) آية (٥٦) سورة يس.
(٣) آية (٥٧) سورة النساء.

المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التى هى غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ، ومن قىء ذباب أعجب من إجرائه أنهارا فى الجنة بأسباب أخر ، ولعل إخراج جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر ، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز ، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء ، أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها فى الجنة فى غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التى دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار ، تجد هذه أدل شىء على تلك و شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ، ورب واحد ، وخالق واحد ، ومالك واحد ، فبعدا لقوم لا يؤمنون .

* * * * * * *

الباب التاسع والأربعون
فى ذكر آنيتهم التى يأكلون فيها وأجناسها وصفاتها

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[١] فالصحاف جمع صحافة، قال الكلبى: بقصاع من ذهب، وقال الليث: الصحفة: قطعة مسلطحة عريضة، فالجمع: صحاف، قال الأعشى:

والمكاكيكُ والصحافُ من الفضة ::: والضامزات تحت الرجالِ [٢]

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء: الكوب المستدير الذى لا أذن له.

وأنشد لعدى: [٣]

متَّكنا تصفقُ أبوابُه ::: يسعى عليه العبدُ بالكوبِ

وقال أبو عبيدة: الأكواب: الأباريق التى لا خراطيم لها. قال أبو إسحاق: واحدها: كوب وهو إناء مستدير لا عروة له، وقال ابن عباس: هى الأباريق التى ليست لها آذان، وقال مقاتل: هى أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى.

وقال البخارى فى صحيحه: الأكواب: الأباريق التى لا خراطيم لها وقال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[٤] الأباريق: هى الأكواب التى لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى. فهى أكواب. وإبريق: إفعيل من البريق، وهو الصفاء فهو الذى يبرق لونه من صفائه ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقا وإن لم يكن صافيا. وأباريق الجنة من الفضة فى صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما فى باطنها. والعرب تسمى السيف إبريقا لبريق لونه. ومنه قول ابن أحمر [٥]:

تعلقت إبريقا وعلقت جفنة ::: ليهلك حيًّا ذا زهاء وجامل

وفى نوادر اللحيانى: امرأة إبريق إذا كانت برّاقة، وقال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم

---

(١) آية (٧١) سورة الزخرف.

(٢) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، توفي سنة٧هـ. والمكاكيك: مفرده مكوك: طاسٌ يشرب به أعلاه ضيق، ووسطه واسع.

(٣) عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر، من دهاة الجاهليين توفي سنه ٣٥ق. هـ.

(٤) آية (١٧) سورة الواقعة.

(٥) عمرو بن أحمر بن العمرّد بن عامر الباهلي. أبو الخطاب. شاعر مخضرم. توفي نحوه ٦٥هـ.

بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قواريرَ من فضة قدّروها تقديرًا﴾[1] فالقوارير: هي الزجاج، فأخبر - سبحانه وتعالى - عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها. وقطع - سبحانه - توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿قواريرَ من فضة﴾.

قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير. قال ابن قتيبة: كل ما في الجنة من الأنهار وسُرُرها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد، كما قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، والأكواب في الدنيا، قد تكون من فضة وتكون من قوارير، فأعلمنا الله أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير، قال: وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة، وهذا كقوله تعالى: ﴿كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ﴾[2] أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة، و«مِنْ» ههنا لبيان الجنس كما تقول: خاتم من فضة، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة، بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير، وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه،

وقوله: ﴿قدّروها تقديرًا﴾ التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ربهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي، هذا قول جماعة من المفسرين.

قال الفراء: قدروا الكأس على قدر ريِّ أحدهم، لا فضل فيه ولا عجز عن ربه، وهو ألذ الشرب.

وقال الزجاج: جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه، وقال أبو عبيد: يكون التقدير: للذين يسقون يقدرونها، ثم يسقون، يعني: أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الريِّ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم.

---

(١) آية (١٥ - ١٦) سورة الإنسان.
(٢) آية (٥٨) سورة الرحمن.

وقالت طائفة: الضمير يعود على الشاربين ، أي قدروا في أنفسهم شيئا فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه ، وقول الجمهور أحسن وأبلغ ، وهو مستلزم لهذا القول . والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق: الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر ، وهو قول عطاء ، والكلبي ، ومقاتل . حتى قال الضحاك: كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر . وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود ، فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه . وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس . فإن النهر اسم للماء ولمحله معا . ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية مرادا به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معا .

وقد أخرجا في الصحيحين[1] من حديث أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما: وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»** وفيهما أيضا[2] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن في أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم – عليه السلام – ستون ذراعا في السماء»** .

وفي الصحيحين[3] من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: **«لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما: فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»** وقال أبويعلى الموصلي[4] في مسنده: حدثنا شيبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه . فإذا أثنى عليه معروفا كان أعجب لرؤياه إليه . فأتته امرأة فقالت: يا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) البخاري في الأطعمة: ب(٢٧): حديث (٥٤٥٢) ، ومسلم في اللباس: ب(٢): حديث (٤) .

(٤) (صحيح) أبو يعلى (٦/ ٤٤) .

رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت ، فإذا فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثنى عشر رجلا . كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم ، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح . فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر ، فأكلوا من بسره ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرية فقال: أصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا . فدعا رسول الله ﷺ المرأة . فقال: « **قُصّي رؤياك** » فقصتها وجعلت تقول : جيء بفلان وفلان كما قال . رواه الإمام أحمد في مسنده[1] بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

* * * * * * *

(١) (صحيح) أحمد (٣/ ٢٥٧) .

الباب الخمسون
فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾[2] .

قال جماعة من المفسرين: السندس: ما رق من الديباج ، والإستبرق: ما غلظ منه .

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق .

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به ، وقال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3] .

وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها ، وهى أنه - سبحانه وتعالى - أخبر أن لباس أهل الجنة حرير ، وصح عن النبى ﷺ أنه قال: **«من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة»** متفق على صحته[4] ، من حديث عمر بن الخطاب ، وأنس بن مالك . وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث ، فقالت طائفة من السلف والخلف: إنه لا يلبس الحرير فى الجنة ، ويلبس غيره من الملابس ، قالوا: وأما قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ فمن العام المخصوص ، وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد ، التى تدل على أن الفعل مقتض لها الحكم . وقد يتخلف عنه لمانع .

وقد دلّ النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين ، وشفاعة من يأذن الله له فى الشفاعة ، وشفاعة أرحم الراحمين نفسه ، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: **«من شرب الخمر فى الدنيا لم**

---

(١) آية (٥١ ، ٥٢) سورة الدخان .
(٢) آية (٣١) سورة الكهف .
(٣) آية (٢٣) سورة الحج .
(٤) رواه البخارى فى اللباس: ب(٢٥): حديث (٥٨٣٢) ، ومسلم فى ب(٢): حديث (٢١) .

يشربها فى الآخرة» . وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(١) وقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾(٢)

وتأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَالِيَهُمْ ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا يجمل ظواهرهم ، ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال . وقد اختلف القراء السبعة فى نصب ﴿عَالِيَهُمْ ﴾ ورفعه على قراءتين .

واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين .

واختلف المفسرون: هل ذلك للولدان الذين يطوف عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق ، أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب؟ وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع . فالصواب فيه أنه منصوب على الظرف فإن عاليا لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه .

قال أبوعلى: وهذا الوجه أبين وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفا كما كان قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾(٣) كذلك وكما قالوا: هو ناحية من الدار . وأما من رفع ﴿عَالِيَهُمْ ﴾ فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ، ولا يمنع من هذا إفراد عال ، وجمع الثياب . لأن فاعلان قد يراد به الكثيرة كما قال:

ألا إنّ جيرانى العشية رائح ::: دعتهم دواعٍ من هوى ومناوح

قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾(٤) ومن رفع خضرا أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما فى الجمع .

الثانى: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾(٥) .

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع ، ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس ، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر ، والدرهم البيض . وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضا ، وهو: أن العرب تجيء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد ، فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ

---

(١) آية (١٢) سورة الإنسان .
(٢) آية (٢١) سورة الإنسان .
(٣) آية (٤٣) سورة الأنفال .
(٤) آية (٦٧) سورة المؤمنون .
(٥) آية (٣١) سورة الكهف .

لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾[1] وكقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[2] فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد، وإن كان في معنى الجمع أولى.

وفي إستبرق قراءتان: الرفع عطفا على ثياب، والجر عطفا على سندس.

وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبا؟. فجمل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[3].

واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على موضع قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾،

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول، أي: ويحلون لؤلؤا ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ... ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا: الذهب المرصع باللؤلؤ. والله أعلم بما أراد.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق الله، حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: إن لله - عز وجل - ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن حليا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس، فلا تسألوا بعد هذا عن حُلِيِّ أهل الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن أشعث عن الحسن قال: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء. حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجم»[4].

---

(١) آية (٨٠) سورة يس.
(٢) آية (٢٠) سورة القمر.
(٣) آية (٢٣) سورة الحج.
(٤) (صحيح) أحمد (١/ ١٦٩و١٧١)، والاتحاف (١٠/ ٥٣٦)، والدر المنثور (١/ ٣٧) و(٤/ ٢٢١).

وقال ابن وهب: حدثنى ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبى هريرة قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حُلِيَّ أهل الجنة فقال: «**مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب مرد مكحلون**» .

وقد أخرجا فى الصحيحين[١] - والسياق لمسلم - عن أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه ، فقلت: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ههنا . لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء . سمعت خليلى ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ من الوضوء**» .

وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة ، وعن أحمد روايتان: والحديث لا يدل على الإطالة . فإن الحلية إنما تكون زينة فى الساعد والمعصم لا فى العضد والكتف .

وأما قوله: «**فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**» فهذه الزيادة مدرجة فى الحديث من كلام أبى هريرة ، لا من النبى ﷺ ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ ، وفى مسند الإمام أحمد[٢] فى هذا الحديث قال نعيم: فلا أدرى قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل من كلام النبى ﷺ أو شىء قاله أبو هريرة من عنده وكان شيخنا يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام النبى ﷺ ، فإن الغرة لا تكون فى اليد ، لا تكون إلا فى الوجه ، وإطالتها غير ممكنة إذ تدخل فى الرأس فلا يسمى تلك غرة .

وفى صحيح مسلم[٣] عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» . وقوله: «**لا تبلى ثيابه**»: الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل أن يراد به الجنس ، بل لا تزال عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه ، بل كل مأكول يخلفه آخر ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبى الوضاح حدثنا العلاء

---

(١) البخارى فى الوضوء: ب(٣) ك حديث (١٣٦) ، ومسلم فى الطهارة: ب(١٣): حديث (٤٠) .
(٢) أحمد (٢/ ٢٣٢) .
(٣) مسلم فى الجنة: ب(٨): حديث (٢١) .
(٤) (صحيح) أحمد (٢/ ٢٢٥) .

بن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابى جرىء فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة: إليك أينما كنت ، أم لقوم خاصة ، أم إلى أرض معلومة ، أم إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله ﷺ يسيرا ثم قال: **«أين السائل؟» فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: «الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر»** ، فقام آخر فقال: يا رسول الله ، أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا؟ قال: فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله ﷺ **«تضحكون من جاهل يسأل عالما!! فسكت النبى ﷺ ساعة ثم قال: أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال : ها هو ذا يا رسول الله، قال: لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»** ثلاث مرات .

وقال الطبرانى فى معجمه[1]: حدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى والحسن بن على الفسوى قالا: حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: **«أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء»** وهذا الإسناد على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد[2]: حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرج بن عثمان السعدى حدثنا أبوأيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال: قلت: يا أبا هريرة وما النصيف؟ قال: الخمار»** .

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليتكئ فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وأن عليها التيجان، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب»**[3] .

---

(١) (صحيح) الطبرانى (١٠/ ١٩٨) .
(٢) (حسن) أحمد (٢/ ٤٨٣) .
(٣) (حسن) أحمد (٣/ ٧٥) ، والمجمع (١٠/ ٤١٩) .

وروى الترمذي ذكر التيجان: وإن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشيد بن سعد عن عمرو به .

وقال ابن أبي الدنيا[١]: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء وإن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن**» .

قال ابن أبي الدنيا[٢]: وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: قلت لابن عباس: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجر فيه ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليها غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق وترجع كما كانت" .

وقال[٣] وحدثنا عبد الله حدثنا أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال له: يا رسول الله "طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» .

قال: وحدثني يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال: قال أبو هريرة: "دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان" .

قال وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: "لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم" .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشير بن كعب أو غيره قال: "ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من

---

(١) الاتحاف (١٠/ ٥٣٥) ، والترغيب (٤/ ٢٦١) ، والدر المنثور (٤/ ٩٥) .
(٢) (حسن) الترغيب والترهيب (٤/ ٦٦٢) .
(٣) سبق تخريجه .

شقيقكم هذا، يُرى مُخُّ ساقها من وراء اللحمْ.

وفي الصحيحين[١] عن أنس بن مالك قال: أهدى أكيدر دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذاْ.

وفي الصحيحين أيضا[٢] من حديث البراء قال: أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»**.

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته، ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله، التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك.

فصل
(ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم)

ذكر البيهقي[٣] من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب حدثنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري وزيد بن أسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنار، ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا. فقال: يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا. إلا فلانا كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالي ويحرم حرامي يقول: يا رب فأعطه. فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة. ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغب في أفضل من هذا فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له: هل رضيت؟ فيقول: نعم رب»**.

وذكر الإمام أحمد في المسند[٤] من حديث أبي بريدة عن أبيه يرفعه: **«تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة**

---

(١) البخاري في بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٤٨)، ومسلم في فضائل الصحابة: ب(٢٤): حديث (١٢٧).
(٢) البخاري في بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٤٩)، ومسلم في فضائل الصحابة: ب(٢٤): حديث (١٢٦).
(٣) الاتحافات (٢٧٨)، والكنز (٢٤٢٠).
(٤) (صحيح) أحمد (٥/٣٥٢)، والمجمع (٧/١٥٩).

وآل عمـــران فإنهما الزهراوان، وإنهما ليظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أوغيايتان أو فـــرقان مـــن طـــير صـــواف» . والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشـاحب ، فيقول لـه: هل تعرفنى؟ فيقول لـه: ما أعرفك ، فيقول لـه القرآن: أنا الذى أظمأتك فـى الهواجـر وأسـهرت لـيلك ، وإن كل تاجر من ورائه تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فـيعطى الملـك بيميـنه والخلـد بشـماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقـوم لهمـا فـى الدنـيا فـيقولان: بم كسـينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال لـه: اقرأ واصــعد فــى درج الجـنة وغـرفها فهــو فــى صــعود مــا دام يقــرأ هــذا كــان أو ترتــيلاً . **(البطلة)**: السحرة و**(الغياية)** ما أظل الإنسان فوقه .

وقـال عـبد الله بن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سـعيد الخـدرى أن النبى ﷺ تلا قولـه عز وجل: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ** ﴾[1] فقال: **«إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضئ ما بين المشرق والمغرب»**[2] .

فصل : فرش الجنة

وأمـا الفـرش فقـد قـال تعـالى: ﴿ **مُتَّكِـئِينَ عَلَـى فُـرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾[3] وقـال تعالى: ﴿ **وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ** ﴾[4] فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق ، وهذا يدل على أمرين:

أحدهمــا: أن ظهائـرها أعـلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزيـنة والمباشـرة . قـال سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى هبيرة بن مريم عن عبد الله فى قولـه: ﴿ **بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾ ، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها ، فيكف بالظهائر؟

الـثانى: يـدل عـلى أنهـا فرش ، عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد روى فى سمكهـا وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذى[5] من حديث أبى سـعيد الخـدرى عـن الـنبى ﷺ **«فى قولـــــه: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومســـيرة مـــا بينهما خمسمائة عام»** قـال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشيد بن سعد .

---

(١) آية (٣٣) سورةفاطر .
(٢) (صحيح) الحاكم (٢/ ٤٢٧) .
(٣) آية (٥٤) سورة الرحمن .
(٤) آية (٣٤) سورة الواقعة .
(٥) الترمذى فى صفة الجنة: ب(٨): حديث (٢٥٤٠) .

قيل: ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها . قلت: رشيد بن سعد عنده مناكير ، قال الدارقطني: ليس بالقوى ، وقال أحمد: لا يبالى عمن روى ، وليس به بأس فى الرقاق ، وقال: أرجو أنه صالح الحديث ، وقال يحيى بن معين: ليس بشىء ، وقال أبو زرعة: ضعيف ، وقال الجوزجاني: عنده مناكير ، ولا ريب أنه كان سيء الحفظ ، فلا يعتمد على ما ينفرد به .

وقد قال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**فى قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض**»[1] وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ ، فالله أعلم .

وقال الطبرانى: حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب فى قوله عز وجل ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: مسيرة أربعين سنة .

قال الطبرانى[2]: حدثنا إبراهيم بن نائلة ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى ، حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «**لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة عام**» . وفى رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبى الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبى أمامة فى قوله - عز وجل: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً .

فصل: بسط الجنة

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[4] وذكر هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة و(العبقرى) عتاق الزرابى .

وذكر إسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال: هى البسط ، قال: وأهل المدينة يقولون: هى البسط ، وأما النمارق ، فقال الواحدى: هى الوسائد ، فى قول الجميع واحدها: نمرقة ، بضم النون ، وحكى

---

(١) الاتحاف (١٠/ ٥٣٨) ، والمغنى عن حمل الأسفار (٤/ ٥٢٣) .
(٢) (ضعيف) الطبرانى (٨/ ٢٨٩) ، ومجمع الزوائد (٧/ ١٢٠) .
(٣) آية (٧٦) سورة الرحمن .
(٤) آية (١٣ - ١٦) سورة الغاشية .

الفراء[١] نمرقة بكسرها ، وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساطُ اللهو مُدَّ وقُرِّبت ::: للذاتِه أنماطُه ونمارقُه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض . وقال قاتل: هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بمعنى البسط والطنافس واحدها زربية: في قول جميع أهل اللغة والتفسير ، و ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة منشورة .

فصل: (الرفرف)

وأما الرفرف ، فقال الليث: ضرب من الثياب خضر تبسط . الواحد: رفرفة . وقال أبو عبيدة: الرفارف: البسط ، وأنشد لابن مقبل:

وإنَّا لنزَّالون تَغْشَى نِعَالُنا ::: سواقطَ مِنْ أصنافِ رَيْطٍ ورفرفِ

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف ههنا: رياض الجنة ، وقالوا: الرفرف الوسائد ، وقالوا: الرفرف المحابس للفرش ، وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره ، قال الواحدي: وكان الأقرب هذا ، لأن العرب تسمي كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي ﷺ : «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة » [٢] ، قال ابن الأعرابي: الرفرف ههنا طرف البساط ، فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفاً .

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف في الحائط ، ومن الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرفة ، ومنه رفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه ؛ والرفرف: ثياب خضر تتخذ منها المحابس . والواحدة رفرفة ، وكل ما فضل من شيء فثني وعطف فهو رفرف ، وفي حديث ابن مسعود في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [٣] قال: رأى رفرفاً أخضر سدَّ الأفق وهو في الصحيحين [٤] .

فصل: (العبقري)

وأما العبقري ، فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري . قال: ويرون أنها أرض تُوَشَّى فيها ، وقال الليث: عبقر: موضع بالبادية كثير الجن ، يقال: كأنهم جِنُّ عَبْقَر ، قال أبو عبيدة في

---

(١) الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي . كان إمام ثقة له شأن عظيم في اللغة . قال أبو العباس: لولا الفراء لما كانت اللغة . مات سنة (٢٠٧هـ) له ترجمة في: وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٨) ، ومعجم الأدباء (٩/ ٢٠) .

(٢) بنحوه: البخاري في الأذان: ب (٤٦): حديث (٦٨٠) .

(٣) آية (١٨) سورة النجم .

(٤) البخاري في تفسير سورة (٥٣) .

حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر: **«فلم أر عبقرياً يفرى فريّه»**(1)، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر، وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوباً إلى شيء رفيع، وأنشد لزهير:

تخالُ عليها جِنّة عبقرية ::: جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدى: وهذا القول هو الصحيح في العبقرى، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم، ومنه قول لبيد:

*** جنُّ الندا رَواسياً أقدامُها ***

وقال آخر يصف امرأة:

جِنّيةُ ولها جِنٌّ يُعَلِّمُها ::: رَمْى القلوبِ بقوسٍ مَا لَها وَتَرُ

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب فلما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا إلى كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب، كقوله في صفة عمر عبقرياً.

وروى سلمة عن الفراء قال: (العبقرى) السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى، لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبية الصنعة لما ذكرنا، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن عباس: وعبقرى يريد البسط والطنافس. وقال الكلبى: هى الطنافس المخملة. وقال قتادة: هى عتاق الزرابى. وقال مجاهد: الديباج الغليظ، وعبقرى جمع، واحده عبقرى. ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله - سبحانه وتعالى - الفرش بأنها مرفوعة، والزرابى بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة؟، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابى دالُّ على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند، يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت. والله أعلم.

* * * * * *

---

(1) البخارى في التعبير: ب(٢٩): حديث (٧٠١٩)، ومسلم في فضائل الصحابة: ب(٢): حديث (٢٣٩٢).

الباب الحادى والخمسون
فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[(١)] وفى الصحيحين[(٢)] من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ: «**إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**» .

وفى لفظ لهما[(٣)]: «**فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن**» .

وفى لفظ آخر لهما أيضاً[(٤)]: «**الخيمة دُرّة طولها فى السماء ستون ميلا، فى كل زاوية منها أهل المؤمن لا يراهم الآخرون**» .

وللبخارى وحده لفظ: «**طولها ثلاثون ميلا**» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان قال: «**ينشأ خلق الحور إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام**» .
وقال بعضهم: لما كُنَّ أبكاراً، وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله - تعالى - الحور، وقصرهن فى خدور الخيام، حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «**لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون**»[(٥)] .

حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[(٦)] قال: «در

---

(١) آية (٧٢) سورة الرحمن .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) البخارى فى التفسير: تفسير سورة (٥٥): ب (٢): حديث (٤٨٧٩)، ومسلم فى ب (٩): حديث (٢٤) .
(٤) البخارى فى بدء الخلق: ب (٨): حديث (٣٢٤٣)، ومسلم فى الجنة: ب (٩): حديث (٢٥) .
(٥) الاتحاف (١٠/ ٥٣٨)، والدر المنثور (٦/ ١٥٠) .
(٦) آية (٧٢) سورة الرحمن .

مجوف» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة» .

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: الخيمة دُرَّة مجوفة فرسخ في فرسخ ، لها أربعة ألف مصراع من ذهب .

وقال ابن أبي الدنيا فضيل بن عبد الوهاب: حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال: في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة ، حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس: «حور مقصورات في الخيام» قال: الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً ، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله - عز وجل - وذلك قوله: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[1] والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ فأخبر - تعالى- عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض ، وأخبر أنها موضونة ، والوضن في لغتهم: النضد والنسيج المضاعف ، يقال: وضن فلان الحجر ، والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون .

وقال الليث: الوضن: نسج السرير وأشباهه ويقال: درع موضونة مقاربة النسج ، وقال رجل من العرب لامرأته: ضني متاع البيت ، أي قاربي بعضه من بعض . قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ، ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض ، وأنشدوا للأعشى:

وَمِنْ نسج داودَ موضونةً ::: تُساقُ مَعَ الحَيِّ عيراً فعيرا

قالوا: موضونة ، منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد ، قال هشيم: أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: مرمولة بالذهب وقال مجاهد: موصولة بالذهب .

---

(١) آية (٢٣) سورة الرعد .
(٢) آية (٢٠) سورة الطور .
(٣) آية (١٣ - ١٦) سورة الواقعة .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس موضونة: مصفوفة . فأخبر سبحانه أنها مرفوعة .

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة . وقال الكلبى: طول السرير فى السماء مائة عام ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع مكانه .

فصل : (الأرائك)

وأما (الأرائك) فهى جمع أريكة . قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ ، قال: لا تكن أريكة حتى يكون السرير فى الحجلة ، فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون أريكة إلا والسرير فى الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة . وقال مجاهد: هى الأسرة فى الحجال . قال الليث: الأريكة سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك .

وقال أبو إسحاق: الأرائك: الفرش فى الحجال . قلت: ههنا ثلاثة أشياء:

أحدها: السرير ، **الثانية**: الحجلة وهى البشخانة التى تعلق فوقه . **والثالث**: الفراش الذى على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله .

وفى الصحاح[1] : الأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة والجمع الأرائك .

وفى الحديث: «**إن خاتم النبىﷺ كان مثل زر الحجلة**»[2] وهو الزر الذى يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها ، والله أعلم .

* * * * * * *

---

(١) الصحاح : صحاح الجوهرى .

(٢) البخارى فى المناقب: ب (٢٢) ، ومسلم فى الفضائل: ب (١١١) ، والترمذى فى المناقب: ب (١١) .

الباب الثانى والخمسون
فى ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[2] قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون: لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط[3]: إنه لمخلد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد .

وقال آخرون: مخلدون: مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الأساور . وهذا اختيار ابن الأعرابى ، قال: مخلدون: مقرطون الخلدة ، وجمعها خلد وهى: القرطة .

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته ، إذا حلاها بالخلد وهى القرطة ، وخلد إذا أسن ولم يشب ، وكذلك قال سعيد بن جبير: مقرطون ، واحتج هؤلاء بحجتين: إحداهما: أن الخلود عام لكل من فى دخل الجنة ، فلابد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة .

(الحجة الثانية): قول الشاعر:

ومُخَلَّداتٌ[4] باللجينِ كأنما ::: أعجازُهُنَ رواكدُ الكثبانِ

وقال الأولون: الخلد هو البقاء ، قال ابن عباس: غلمان لا يموتون ، وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف - وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل - قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبَرّ والهرم وفى آذانهم القراطة ، فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ، أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم - سبحانه - باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفى كونه منثورا فائدتان:

إحداهما: الدالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم . والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثورا ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا فى مكان واحد .

وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاء؟ على قولين: فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة ، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

---

(١) آية (١٧ ، ١٨) سورة الواقعة .
(٢) آية (١٩) سورة الإنسان .
(٣) شمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده . المختار: شمط .
(٤) مخلدات باللجين: أى خلاهُنّ بالفضة . والمعنى: متزينات بها .

قال الحاكم: ثنا عبد الرحمن بن الحسن، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم، ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله: ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ قال: لم يكن لهم حسنات فيجزون بها ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، فجعلهم الله خدما لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم، قال المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى ﷺ قال: **«سألت ربى للاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة»**[1] يعنى الأطفال.

قال الدارقطنى: ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن النبى ﷺ . انتهى، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس . وهذه الطرق ضعيفة، فيزيد واه، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشىء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت، وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة إنشاء.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمر بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة، لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار»** رواه الترمذى[2].

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلمانا كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾[3] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله - تعالى - لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم.

وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى ﷺ: **«أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا فيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»**[4] والمكنون: المستور المصون الذى لم تتبذله الأيادى، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾[5] وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد المذكور آنفا، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله - تعالى - فى الجنة خدما لأهلها . والله أعلم.

---

(١) (حسن) مجمع الزوائد (٧/ ٢١٩).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) آية (٢٤) سورة المطففين.
(٤) الشفا (١/ ٣٩٨)، دلائل النبوة (٥/ ٤٨٤)، والمشكاة (٥٧٦٥).
(٥) آية (٢٤) سورة الطور.

الباب الثالث والخمسون
فى ذكر نسائهم وسراريهم وأصنافهن وحسنهن وصفائهن وجمالهن الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليه بهذه البشارة وقدر ما بشَّرَك به وضَمِنه لك على أسهل شىء عليك وأيسره، وجمع سبحانه فى هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها، وهذا هو الأفصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾(٢) ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر، لا يكادون يقولونه، وأما المطهرة، فإن جرت صفة على الواحدة فتجرى صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة، كقوله تعالى: ﴿ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾(٣) ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾(٤) ونظائره.

والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا.

فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

قال عبد الله بن المبارك: ثنا شعبة عن قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ: «لهم فيها أزواج مطهرة»، قال: "من الحيض والغائط والنجاسة والبصاق". وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس: "مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن". وقال ابن عباس أيضا:

---

(١) آية (٢٥) سورة البقرة.
(٢) آية (٣٥) سورة البقرة.
(٣) آية (١٢) سورة الصف.
(٤) آية (١٨) سورة سبأ.

مطهرة من القذر والأذى . وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ، ولا يلدن . وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله - سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم . قال عبد الرحمن بن يزيد: المطهرة التى لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ، قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله: إنى خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة . وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1] فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس ، وكمال العشرة بمقابلة بعضهم بعضا ، تمام اللذة بالحور العين ، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك أعلمهم أنهم لا يذوقون فيها هناك موتا .

والحور: جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد الأعين . وقال زيد بن أسلم: الحوراء التى يحار فيها الطرف ، وعين حسان الأعين . وقال مجاهد: الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون . وقال الحسن: الحوراء: شديدة بياض العين شديدة سواد العين ، واختلف فى اشتقاق هذه اللفظة ، قال ابن عباس: الحور فى كلام العرب: البيض ، وكذلك قال قتادة: الحور: البيض ، وقال مقاتل: الحور: البيض الوجوه . وقال مجاهد: الحور العين التى يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد ، وصفاء اللون . وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة . وأصل الحور: البياض . والتحوير: التبييض .

والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحور ، فى العين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفى الصحاح: الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها . امرأة حوراء: بينة الحور . وقال أبو عمرو: الحور ، أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر ، وليس فى بنى آدم حور ، وإنما قيل: للنساء حور العين ، لأنهن شبهن بالظباء والبقر .

وقال الأصمعي: ما أدرى ما الحور فى العين؟ قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة فى

---

(١) آية (٥١ - ٥٦) سورة الدخان .

اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد ، والناس وغيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض فى سواد ، والحور فى العين: معنى يلتئم من حسن البيض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ،

عين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى تكون مع حور عينها بياض لون الجسد .

والعين: جمع عيناء وهى العظيمة العين من النساء ، رجل أعين إذا كان ضخم العين . وامرأة عيناء . والجمع عين ،

والصحيح: أن العِين اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة ، قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب .

وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع: فمها ، وخرق أذنها ، وأنفها ، وما هنالك[1] .

ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع: وجهها ، وصدرها ، وكاهلها . وهو : ما بين كتفيها ، وجبهتها ،

ويستحب السواد منها فى أربعة مواضع: عينها ، وحاجبها ، وهدبها ، وشعرها ،

ويستحب البياض منها فى أربعة مواضع: لونها ، وفرقها ، وثغرها ، وبياض عينها .

ويستحب الطول منها فى أربعة مواضع: قوامها ، وعنقها ، وشعرها ، وثيابها .

ويستحب القصر منها فى أربعة مواضع: وهى معنوية: لسانها ، ويدها ، ورجلها ، وعينها ، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام ، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج ، وعن بذله ،

وتستحب الدقة منها فى أربعة: خصرها ، وفرقها ، وحاجبها ، وأنفها .

فصل

وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[2] قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين ، قال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج ، قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها . قال ابن نصر: هذا والتنزيل يدل على ما

(١) هنالك : كناية عن قُبُلِ المرأة .
(٢) آية (٥٤) سورة الدخان .

قاله يونس وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[١] ، ولو كان على تزوجت به لقال: زوجناك بها .

وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها ، وحكاه الكسائى أيضا .

وقال الأزهرى: تقول العرب: زَوّجْته امرأة وتزوجت امرأة ويدل من كلامهم: تزوجت بامرأة ، وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أى قرناهم .

وقال الفراء: هى لغة فى أزد شنوءة قال الواحدى: وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن ، لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشىء زوجا ، لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فردا فزوجته بآخر ، كما يقال شفعته بآخر ، إنما تمنع الباء عند من يمنعها ، إذا كان بمعنى عقد التزويج .

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمرين معا ، فلفظ التزويج يدل على النكاح ، كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء يدل على الاقتران والضم ، وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم . وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[٢] وصفهن – سبحانه – بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع: أحدها: هذا .

والثانى: قوله تعالى فى الصافات: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾[٣]

والثالث: قوله تعالى فى ص: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾[٤] والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ،

وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن ، أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ:

فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن . أى ليس بطامح متعد .

قال آدم: حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله: ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ قال: يقول: قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن ،

---

(١) آية (٣٧) سورة الدخان .
(٢) آية: (٥٦ – ٥٨) سورة الرحمن .
(٣) آية (٤٨) سورة الصافات .
(٤) آية (٥٢) سورة (ص) .

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات ، وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم ، وفي تفسير سعيد عن قتادة قال: وقصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان . قال أبو عبيدة وأبو إسحاق أقران: أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد: أتراب: أمثال . وقال أبو إسحاق: هن في غاية الشباب والحسن ، وسمي سن الأسنان وقرنه تربه ، لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ، ولا ولائد ولا يطقن الوطء بخلاف الذكور ، فإن فيهن الولدان وهم الخدم ،

وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله: فيهن فقالت طائفة: مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام . وقالت طائفة: مفسره الفرش المذكورة في قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ، وفي بمعنى على ، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾

قال أبو عبيدة: لم يمسهن ، يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه ، وقال يونس: تقول العرب : هذا جمل ما طمثه حبل قط أي ما مسه ،

وقال الفراء: الطمث: الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ، والطمث: هو الدم ، وفيه لغتان: طمث يطمَث ويطمُث ،

قال الليث: طمثت الجارية إذا افترعتها ، والطامث في لغتهم هي الحائض ، قال أبو الهيثم: يقال للمرأة: طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض ، وطمِثَت على فَعِلت تَطْمُث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث ، وقال في قول الفرزدق[1] :

وقعن إلي لم يُطمثْنَ قَبْلي ::: وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النعامِ

أي لم يُمْسَسْن قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم ، وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول: هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها وبعضهم يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن .

(١) همام بن غلاب بن صعصعة التميمي الدرامي ، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق . شاعر من النبلاء توفي سنة ١١٠هـ .

قال الشعبي: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقا .

وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللائي متن أبكارا .

وقال الكلبي: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان . قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ، ونساء الجن قد طمثهن الجن . والآية تدل على ذلك .

وقال أبو إسحاق: وفي هذه الآية دليل على أن الجن يغشى ، كما أن الإنس تغشى ، ويدل على أنهن الحور اللائي خلقن في الجنة ، أنه - سبحانه - جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[1] ثم قال: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾ .

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ، لأنهن خلقن للبقاء ، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار ، وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم[2] ، نص عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب: وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال: نعم ، وقرأ هذه الآية ، ثم قال: الإنسيات للإنس والجنيات للجن ، وقال مجاهد في هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير في قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله: متكئين ، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل على ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة تلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

---

(١) آية (٧٢) سورة الرحمن .

(٢) البخاري في: بدء الخلق .

فصل (المقصورات)

وقال تعالى فى وصفهن: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ المقصورات: المحبوسات . قال أبو عبيدة: خدرن فى الخيام ، وكذلك قال مقاتل: محبوسات فى الخيام ، وفيه معنى آخر ، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن ، لا يرون غيرهم وهم فى الخيام ، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء .

قلت: وهذا معنى ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقوله: ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ على هذا القول ، صفة لحور ، أى هن فى الخيام . وليس معمولا للمقصورات ، وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات فى الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين .

أصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله - سبحانه - وصفهن بصفات النساء المخدرات والمصونات ، وذلك أجمل فى الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك وذويهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه ، فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ، وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات ، والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال . فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال .

فصل: (الخيرات)

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾[1] فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خيرة كسيدّة ولينة ، وحسان: جمع حسنة فيهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه .

قال وكيع: حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات[2] .

---

(١) آية (٧٠) سورة الرحمن .
(٢) سبق تخريجه .

فصل: (إنشاءهن)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[1] .

أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر ، لأن الفرش دلت عليهن إذ هن محلهن ، وقيل: الفرش فى قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[2] كناية عن النساء ، كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر[3] وغيرها ، ولكن قوله: (مرفوعة) يأبى هذا ، إلا أن يقال: المراد رفعة القدر .

وقد تقدم تفسير النبى ﷺ للفرش وارتفاعها ، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء ؛ لأنها محلهن غالبا ،

قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقا جديدا ، وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات ،

وقال الكلبى ومقاتل: يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط ، يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول فى الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: "هن عجائزكم العمش الرمص" رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه[4] ويؤيده ما رواه يحيى الحمانى حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله ﷺ "دخل عليها وعندها عجوز ، فقال: من هذه؟ فقالت: إحدى خالاتى ، أما إنه لا يدخل الجنة عجوز فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبى ﷺ: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن ، ثم قرأ النبى ﷺ ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾[5] .

قال آدم بن أبى إياس: حدثنا شيبان عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قوله: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ قال: **«يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا»** . قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ **«لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز، فقال رسول الله ﷺ: أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز، إنها يومئذ شابة، إن الله – عز وجل – يقول: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾[6]»** .

---

(١) آية (٣٧ ، ٣٨) سورة الواقعة .
(٢) آية (٣٤) سورة الواقعة .
(٣) الأزُر : جمع إزار . وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من الجسم . القوارير : جمع قارورة وهي الزجاجة .
(٤) الترمذى فى: التفسير: سورة (٥٦) .
(٥) الاتحاف (٧/ ٤٩٩) ، وأخلاق النبى (٨٦) .
(٦) شرح السنة (١٣/ ١٨٣) ، وابن كثير (٨/ ٩) ، والبغوى (٧/ ١٩) ، والدر المنثور (٦/ ١٨٥) .

وقال ابن أبى شيبة[(١)] حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبى عروة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة: أن النبى ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة ، فقال النبى ﷺ «إن الجنة لا يدخلها عجوز» ، فذهب النبى ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال ﷺ: «إن ذلك كذلك إن الله - تعالى - إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا» ، وذكر مقاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج: أنهن الحور العين التى ذكرهن ، قيل: أنشأهن الله - عز وجل - لأوليائه لم يقع عليهن ولادة . الظاهر أن المراد أنشأهن الله - تعالى - فى الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه:

أحدها: انه قد قال فى حق السابقين: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ فذكر سررهم ، وآنيتهم ، وشرابهم ، وفاكهتهم ، وطعامهم ، وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة ، وطعامهم ، وشرابهم ، وفرشهم ، ونساءهم ، والظاهر: أنهن مثل نساء من قبلهن خلقن فى الجنة .

الثانى: أنه - سبحانه - قال: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ، لأنه - سبحانه - حيث يريد الإنشاء الثانى يقيده بذلك ، كقوله: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ .

الثالث: أن الخطاب بقوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ إلى آخره للذكور والإناث ، والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين ، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء ، وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهن للحور العين فى هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات ، بل هن أحق به منهن ، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم .

وقوله: ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن . قال ابن الأعرابى: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه ، وقال أبو عبيدة: العروب: الحسنة التبعل .

قلت: يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع ، وقال المبرد: هى العاشقة لزوجها وأنشد للبيد[(٢)]:

وفى الحدوج عَرُوبٌ غير فاحشة ::: ريّا الروادف يَعْشَى دونها البصرُ

(١) (حسن) مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٩) ، ومختصر الشمائل (٢٠٥) .

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري . أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية . توفي سنة ٤١هـ . معجم الأعلام : ٦٣٤ .

وذكر المفسرون فى تفسير ٱلعُرُبْ أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم .

وقال البخارى فى صحيحه: عربا مثقلة واحدها عروب . مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق: الشكلة ْوالعُرُبْ المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره فى كتاب ْبدء الخلق ْ.

وقال فى كتاب (التفسير) فى سورة الواقعة: عُرُبا مثقلة واحدها عَرُوب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة : العربة ، وأهل المدينة : الغنجة ، وأهل العراق: الشكلة .

قلت: فجمع - سبحانه - بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذه غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن .

وفى قوله: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾ إعلام بكمال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هى أيضا .

فصل : ما للمتقين

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[1] فالكواعب: جمع كاعب وهى الناهد . قال قتادة ومجاهد والمفسرون: قال الكلبى: هن المفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت . وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين: نواهد وكواعب .

فصل: (صفات نساء الجنة)

روى البخارى فى صحيحه[2] عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى: سوطه من الجنة خير من الدنيا ومـا فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»** .

وفى الصحيحين[3] من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمـر ليلة البدر، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء، ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ**

---

(١) آية (٣١) سورة النبأ .

(٢) البخارى فى الجهاد: ب(٦): حديث (٢٧٩٦) .

(٣) فتح البارى (ج٦/ ٣٢٤٦) . وصحيح مسلم كتاب الجنة (٥/ ٣١) .

سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة أعزب» .

وقال الإمام أحمد[١] حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»** .

وقال الطبرانى[٢] حدثنا بكر بن سهل الدمياطى: حدثنا عمرو ابن هاشم البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله - عز وجل - ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ .

قال: « ﴿حُورٌ﴾: **بيض،** ﴿عِينٌ﴾: **ضخام العيون شقر، الحوراء بمنزلة جناح النسر»** ، قلت: أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ قال: **«صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى»** ، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله - عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: **«خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»** ، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله - عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ قال: **«رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقئ»** ، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله - عز وجل: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: **«هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عربا: متعشقات متحببات. أترابا: على ميلاد واحد»** ، قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: **«بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة»** ، قلت: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: **«بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله - تعالى - ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب، يقلن: ونحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، وطوبى لمن كنا له وكان لنا»** ، قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: **«يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهن خلقا فتقول: أى رب، إن هذا كان أحسنهن معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»** تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى: عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاما، ثم ساق هذا الحديث من طريقه، وقال: لا يعرف إلا بهذا السند .

---

(١) مسند أحمد (ج٢/ ٣٤٥)

(٢) (ضعيف) المجمع (٧/ ١١٩) .

وقال أبو يعلى الموصلي[1] حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه، فذكر حديث الصور وفيه: فأقول: **«يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة»** فكان رسول الله ﷺ يقول: **«والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعون زوجة مما ينشئ الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله – عز وجل – في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذَكَرُه ولا يشتكي قُبُلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تُمل، إلا أنه لا مَني ولا مَنيَّة، إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاءت واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك»** .

هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد، ويحيى، وجماعة . وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث . وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر . وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمدا، يعني البخاري، يقول: هو ثقة مقارب الحديث . وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث، ساقه إسماعيل وغيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث . والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهيب حدثنا عمرو أن دراجا حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء»** رواه الترمذي[2] . ولكن دراج أبو السمح بالطريق . قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف . وقال النسائي أيضا: ليس بالقوي، وساق له ابن عدي أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها . وقال

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .

الدارقطني: ضعيف، وقال: مرة متروك. وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني: هو ثقة.

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال: **«ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»**[1].

وقال الفريابي: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن زيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: **«ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج اثنتين وسبعون زوجة: اثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قُبُل شَهِي ولـه ذَكَر لا ينثني»**[2].

قلت: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين، وقال أحمد: ليس بشيء. وقال النسائي: غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف. وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم[3]: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن حمويه، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة»** قلنا: يا رسول الله أو له قوة على ذلك؟ **«قال: إنه ليعطى قوة مائة رجل»**.

قلت: أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير، والحجاج هو ابن أرطأة

وقال الطبراني[4]: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا أبو همام الوليد بن الشجاع، وأنبأنا محمد ابن أحمد بن هشام بن حسان السجزي ببغداد، حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان قالا: حدثنا حسين ابن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: **«إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»** قال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي. قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: ورجال

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (صحيح) الجمع (١٠/٤١٧).

هذا الحديث عندي على شرط الصحيح .

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري - وهو زيد العمي - عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: **«والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة في مائة عذراء»**[1] . وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح ، وقال مرة: لا شيء ، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال أبو حاتم ، وقال الدارقطني: صالح ، وضعفه النسائي ، وقال السعدي: متماسك ، قلت: وحسبه رواية شعبة عنه .

فصل: (زوجات المؤمن في الجنة)

والأحاديث الصحيحة إنما فيها: أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك ، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة ، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة .

وقد روى الترمذي في جامعه[2] من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة»** هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء . رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات ، والله أعلم .

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين ، لما في الصحيحين[3] من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا»** .

* * * * * *

---

(١) الكنز (٣٩٣٥٧) ، والجمع (٥٥٥٤) .

(٢) الترمذي في صفة الجنة: ب(٦): حديث (٢٥٣٦) .

(٣) رواه مسلم في "صحيحه" في كتاب "الجنة" (ج٥/ ٦٩٦) رقم (٢١) .

الباب الرابع والخمسون
فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار
وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التى خلق منها الحور العين ، فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة . حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**»[1] قال البيهقى: وهذا منكر بهذا الإسناد ، ولا يصح عن ابن علية .

قلت: ولكنه حديث فيه شعبة ، وقال الطبرانى[2]: حدثنا أحمد بن رشدين ، حدثنا على بن الحسن بن هارون الأنصارى ، حدثنى الليث بن ابنة الليث عن أبى سليم قال: حدثتنى عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «**خلق الحور العين من الزعفران**» قال الطبَرانى: لا يروى إلا بهذا الإسناد . تفرد به على بن الحسن بن هارون .

قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجى ليث بن أبى سليم يحدث عن مجاهد ، فذكره مرفوعا إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله . ولا يصح رفع الحديث ، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس ، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: "أن لولى الله في الجنة عروسا لم يلدها آدم ولا حواء ، ولكن خلقت من زعفران" وهذا مروى عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس . وعن تابعيين وهما أبو سلمة ، ومجاهد ، وبكل حال فهى من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات . والله أعلم .

وقد رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن زحر عن على بن زيد عن الهيثم عن أمامة عن النبى ﷺ ، وهذا الإسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم ، حدثنا على بن محمد الطوسى ، حدثنا على بن سعيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسانى حدثنا منصور بن المهاجر ، حدثنا أبو النضر الأبار عن أنس يرفعه: لو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر

---

(١) الخطيب (٧/ ٩٩٩ ، والدر المنثور (٦/ ٣٣) .

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير (٣٩٣٤) . وعزاه إلى الطبرانى ورمز له "بالحسن" (٨/ ٢٣٧) .

لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران[1] وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التى هى من أحسن الصور وأجملها، مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذى هناك!!! فالله المستعان.

وقد روى أبو نعيم[2] من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع، حدثنا حلبس بن محمد الكلابى، حدثنا سفيان الثورى، حدثنا مغيرة، حدثنا إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«سطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء، ضحكت فى وجه زوجها»**.

وروى بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: إن المزيد من أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا. قال: يقول كثير: لئن أشهدنى الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزينات.

وقد روى فى مادة خلقهن صفة أخرى. قال ابن أبى الدنيا حدثنا خالد بن خداش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد الزهرى أن ابن عباس قال: إن فى الجنة نهرا يقال له: البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوارى ناشئات يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه[3].

وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: **«يا جبريل قف بى على الحور العين فأوقفه عليهن. فقال: من أنتن؟ فقلن: نحن جوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا»**.

وقال ابن المبارك[4] أنبأنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر. عن خالد بن عمران عن أبى عياش قال: كنا جلوسا مع كعب يوما فقال: لو أن يدا من الحور دليت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت:

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٣٣).
(٢) الحلية (٦/ ٣٧٤).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) ص (٧٢ - ٧٣): حديث (٢٥٦).

يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!

وفي مسند الإمام أحمد[1] من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»** .

وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: **«إن الحور العين لأكثر عددا منكن يدعون لأزواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين»** [2] . ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه. وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: إن في الجنة حوراء يقال لها: اللعبة، كل حور الجنات يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي.

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوقنا، يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله - تعالى - كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك أربعين عاماً.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيما، فقال: أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا، قال: فاشتق إليهن، فإن نور وجههن من نور الله - عز وجل -، فغشي عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً.

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلى الحور العين؟ وقال لي ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي، قال: نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه على فراشه إلى الصباح فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها، وقد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان مشتاقاً.

وقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ينشأ خلق الحور العين إنشاء،

---

(١) (صحيح) أحمد (٥/ ٢٤٢) وابن ماجه في سننه (ج١/ ٦٤٨)، والطبراني في الكبير (ج٢٠/ ١١٣).
(٢) الترغيب (٤/ ٥٣٥).

فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام".

وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن يزيد الرقاشى قال: "بلغنى أن نورا سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قال: حوراء ضحكت فى وجه زوجها، قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات".

وقال ابن أبى الدنيا، حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: "لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض".

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى الحسين بن يحيى وكثير العنبرى، حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثورى قال: "سطع نور فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها".

ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخى، قال: حدثنى عيسى بن يوسف الطباع، حدثنى حلبس بن محمد، حدثنا سفيان الثورى عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: **«سطع نور فى الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها»**.

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: "إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة فى الجنة إلا وردت".

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: "إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طال ما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت، وتقول: أنت حبى وأنا حبك، ليس دونك مقصر، ولا وراءك معدل".

* * * * * * *

الباب الخامس والخمسون
فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف، وأنه لا يوجب غسلا

وقد تقدم حديث أبى هريرة: قيل: يا رسول الله، أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟ فقال: «**إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء**»[١] وأن إسناده صحيح. وتقدم حديث أبى موسى المتفق على صحته[٢]: إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم.

وحديث أنس: يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع[٣] وصححه الترمذى وروى الطبرانى[٤] وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال: يا رسول الله على ما نطلع من الجنة؟ قال: «**على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة**» قلت: يا رسول الله أو لنا أزواج مصلحات؟ «**قال: الصالحات للصالحين، تلذذوا بهن مثل لذاتكم فى الدنيا وتلذذكم، غير أن لا توالد**».

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا رسول الله أنطأ فى الجنة؟ «**قال: نعم والذى نفسى بيده دحما دحما**[٥]، **فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا**».

وقال الطبرانى[٦]: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقى الواسطى، حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطى، حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا**».

قال الطبرانى: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى، قال الطبرانى: وحدثنا عبدان ابن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقى، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبى يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ وسئل:

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) دحما: دفعا شديدا (المعجم الوسيط: دحم).
(٦) الطبرانى فى الصغير (١/ ٩١)، والعلل المتناهية (٢/ ٤٤٨).

هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحما ، دحما[1] . قال الطبراني[2]: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: **«دحما دحما، ولكن لا مني ولا منية»** وهاشم وخالد ، وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما ، وقوله: لا مني ولا منية أي: لا إنزال ولا موت ، وقال أبو نعيم: حدثنا أبو على محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الرحمن بن زياد ، حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: **«نعم، والذى بعثنى بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع»**[3] .

وقال الحسن بن سفيان في مسنده: حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقى بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن على بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: هل ينكح أهل الجنة؟ قال: **«إى والذى بعثنى بالحق، دحما دحما، وأشار بيده، ولكن لا منى ولا منية»**[4] .

وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾**[5] قال : فى افتضاض الأبكار[6] .

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد ، قالا: حدثنا يعقوب بن عبد الله ، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطيه عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله: **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾** قال: شغلهم افتضاض العذارى .

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم ، أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي ، في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾** قال: شغلهم افتضاض الأبكار .

قال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم ، وقال أبو الأحوص: شغلوا بافتضاض الأبكار على السرر في الحجال ، وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز ، قلت لابن عباس عن قوله تعالى: **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾** ما شغلهم؟ قال: افتضاض الأبكار .

---

(١) (حسن) الطبراني (٨/ ١٨٨) ، ومجمع الزوائد (١٠/ ٤١٦ ، ٤١٧) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الاتحاف ١٠/ ٥٤٥ .
(٤) سبق .
(٥) آية (٥٥) سورة يس .
(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره نقلا عن تفسير الطبري (٢٣/ ١٣) .

وقال ابن أبى الدنيا ، حدثنا فضيل بن عبد الواحد ، حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى عن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ قال: فى افتضاض العذارى . حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير إن شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاما يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة ، فيحتاجون إلى التطهير ، ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه .

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه فى هذه الدار عن الحرام ، فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة فى الدنيا لم يأكل فيها من الآخرة ، كما قال النبى ﷺ: **«إنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة»**[1] .

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك و كما نعى - سبحانه - على من أذهب طيباته فى الدنيا ، واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد[2] عن جابر بن عبد الله: أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: ما هذا؟!! قال: لحم اشتريته لأهلى بدرهم ، فقال: أوكلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه!!! أما سمعت الله - تعالى - يقول: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾[3] .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا جرير بن حازم ، قال: حدثنا الحسن قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز يلت ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقناها القدائد اليابسة ، قد دقت ثم أغلى بماء ، وربما وافقناها اللحم الغريض[4] وهو قليل ، فقال ذات يوم: إنى والله قد أرى تقديركم وكراهيتكم لطعامى ، إنى والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، وأرقكم عيشا ، ولكن سمعت[5] الله عَيَّر قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ ، فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاها هنا حُرِمها هناك أو نقص كمالها ، فلا يجعل الله لذة من أوضع فى معاصيه ومحارمها كلذة من ترك شهوته لله أبداً . والله أعلم .

* * * * * *

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) فى "الزهد" ص(١٥٣) .
(٣) آية (٢٠) سورة الأحقاف .
(٤) اللحم الغريض: اللحم الطرىّ الذي لم ينضج بعد (المعجم الوسيط : غرض) .
(٥) كذا هنا "سمعت رسول الله ﷺ . . . . إلخ" . وفى "الزهد" لابن المبارك ص(٢٠٤ ، ٢٠٥): "سمعت الله عير قوما . . . إلخ" .

الباب السادس والخمسون
في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا؟

قال الترمذى فى جامعه[1]: حدثنا بندار ، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثنى أبى عن عامر الأحول ، عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«والمؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى»** . قال: هذا حديث حسن غريب .

وقد اختلف أهل العلم فى هذا . فقال بعضهم: فى الجنة جماع . ولا يكون ولد ، هكذا روى عن طاوس ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعى .

وقال محمد – يعنى البخارى – قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبى ﷺ: **«إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن لا يشتهى»** . قال محمد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد»** وأبو الصديق الناجى اسمه بكر بن عمرو ، ويقال: بكر بن قيس . انتهى كلام الترمذى .

قلت: إسناد حديث أبى سعيد على شرط الصحيح ، فرجاله محتج بهم فيه ، ولكنه غريب جدا ، وتأويل أبى إسحاق فيه نظر ، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن الولد ، فـ(إذا) للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله فى ساعة ، فإن ما لا يكون أحق بأداة (لو) كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة (إذا) ، وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبدان ابن أحمد ، حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قيل: يا رسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ ، فقال: **«والذى نفسى بيده وما هو كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه»** .

حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن أحمد الرازى بمكة ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، حدثنا سليمان بن داود القزاز ، حدثنا يحيى بن حفص الأسدى قال: سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى، فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة»**[2] . وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار: عامر الأحول ، وقال عمرو ابن على: عاصم الأحول .

---

(١) (صحيح) الترمذى فى صفة الجنة: ب(٢٣): حديث (٢٥٦٣) وابن ماجه (٤٣٣٨) .
(٢) الاتحاف (١٠/ ٥٤٩٩ ، وتاريخ أصفهان (٢/ ٢٩٦) .

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى يرفعه: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة[١].

قال البيهقى: وهذا إسناد ضعيف بمرة، وأما حديث أبى رزين الذى أشار إليه البخارى فهو حديثه الطويل، ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته.

قال عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه[٢]: كتب إلى إبراهيم بن محمد بن حمزة عن مصعب بن الزبير كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث به عنى، حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى، حدثنى عبد الرحمن بن عياش السمعى القبائى من بنى عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر. قال دلهم: وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطا خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق. قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة، فقام فى الناس خطيبا فقال: «**ألا أيها الناس إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟** » فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إنى مسئول، ألا بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا، قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى أبتغى سقطه، فقال: « **ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، وأشار بيده** » قلت: وما هى؟ قال: « **علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما فى غد ما أنت طاعم غدًا ولا تعلمونه، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب** ». قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا، وعلم يوم الساعة، قلت: يا رسول الله، علمنا مما تعلم الناس وما تعلم، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد، من مذحج التى تربو علينا، وخثعم التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها، قال: « **تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما**

(١) المسند (ج٤/١٣).
(٢) سبق تخريجه.

لبثتم، ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئا إلا مات، والملائكة الذين مع ربك – عز وجل – فأصبح ربك يطوف فى الأرضين » وخلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تجعله من عند رأسه ، فيستوى جالسا فيقول ربك: مهيم [١] ، لما كان فيه . يقول: يا رب أمتنى اليوم ولعهده بالحياة عشية يحبسه حديثا بأهله .

فقلت: يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟

« فقال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: الأرض، أشرفت عليها وهى مدرة [٢] بالية . فقلت: لا تحيا أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فيخرجون من الأصواء[٣] ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم » .

قال: قلت: يا رسول الله ، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟

قال: أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ، ويريانكم ساعة واحدة ، لا تضارون فى رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما ، قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك – عز وجل – بيده غرفة من الماء ، فينضح قلبكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء ، وأما الكافر فتحطم وجهه بمثل الحميم الأسود ، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ ، وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس ، فيقول ربك: أو إنه ، فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على إظماء – والله – ناهلة قط ما رأيتها فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا قال: قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: **« بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال»** .

قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال:**« الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو »** ، قال: قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار؟ قال:**« لعمر إلهك إن**

---

(١) مهيم : كلمة استفهام . أي : ما حالك؟ ، وما شأنك؟ ، أو : ما وراءك ؟ (المعجم الوسيط : مهيم) .

(٢) مدرة : الطين

(٣) الأصواء: الصوى والأصواء: القبور . (اللسان: صوى) .

للـنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما» .

قال: قلت: يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة؟

قال: «**على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه. وأزواج مطهرة**» ، قلت: يا رسول الله ، ولنا فيها أزواج!! أو منهن صالحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين، تلذون بهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذذن بكم غير أن لا توالد**» .

قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه ، فلم يجبه النبى ﷺ ، فقلت: يا رسول الله علام أبايعك؟ فبسط النبى ﷺ يده ، وقال: «**على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن لا تشرك بالله إلها غيره**» . قال: قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبى ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطينيه .

قال: قلت: نَحِلُّ منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه فبسط يده ، وقال: ذلك لك تحلُّ حيث شئتَ ولا يجنى عليك إلا نفسك .

قال: فانصرفنا وقال: إن هذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهما من اتقى الناس فى الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخو بنى بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: «**بنو المنتفق أهل ذلك**» . قال فانصرفنا وأقبلت عليه .

فقلت: يا رسول الله ، هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم؟ قال: قال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفى النار ، قال: فكأنه قد وقع حر من جلدى ووجهى ولحمى مما قال لأبى على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل .

فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: وأهلى لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل أرسلنى إليك محمد ﷺ ، فأبشر بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار .

قال: قلت: يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: «**ذلك بأن الله – عز وجل – بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين**» .

هـذا حديـث كـبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبى القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة ابـن عـبد الرحمن المدنى ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيرى المدنى عنه ، وهما من كبار علماء أهـل المديـنة يحـتج بهمـا فـى الصـحيح ، احتج بهما الإمام محمد ابن إسماعيل البخارى وروى عـنهما فى مواضع من كتابه . ورواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمـام أحمـد ، وأبـو بكـر أحمـد بـن عمـرو بـن أبى العاصم وأبو القاسم الطبرانى ، وأبو الشيخ الحـافظ وأبـو عـبد الله بـن مـنده والحـافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصبهانى وغيرهم على سبيل القبول والتسليم .

قـال الحـافظ أبـو عبد الله بن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصغانى وعبد الله ابـن أحمـد بـن حنبل وغيرهما وقرؤوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكـلم فـى إسـناده . وكذلـك أبـو زرعـة وأبـو حـاتم على سبيل القبول . وقال أبو الخير بن حمدان: هذا حديث كبير ثابت حسن مشهور .

وسـألت شـيخنا أبـا الحجـاج المـزى عـنه قال: عليه جلالة النبوة ، وقال نفاة الإيلاد: فهذا حديث صحيح فى انتفاء الولادة

وقولـه: "إذا اشـتهى" معلـق بالشـرط ، ولا يلـزم من التعليق وقوع المعلق لا المعلق به ، "وإذا" وإن كانـت ظاهـرة فى المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره ، قالوا: وفى هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه:

أحدها: حديث أبى رزين هذا .

والثانى: قولـه تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾ وهن اللاتى طهرن من الحيض والنفاس والأذى . قال سفيان: أنبأنا ابن أبى نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصـاق والمـنى والولـد ، وقال أبو معاوية: حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال: من الولد والحيض والغائط والبول .

الثالث: قولـه: (غير أنه لا منى ولا منية) وقد تقدم . والولد إنما يخلق من ماء الرجل ، فإذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا نفخ فى الفرج لم يكن هناك إيلاد .

الـرابع: أنـه قـد ثبـت فى الصحيح عن النبىﷺ أنه قال: **«يبقى فى الجنة فضل فينشئ الله لها خلقا يسكنهم إياها، ولو كان فى الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم»**[1] .

---

(١) رواه البخارى فى التوحيد: ب(٧): حديث (٧٣٨٤) ، ومسلم فى الجنة: ب(١٣): حديث (٣٨) .

الخــامس: أن الله – سبحانه وتعالى – جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى ، فلو كانت النساء يحبلن فى الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .

الســادس: أن الله – سبحانه وتعالى – قدر التناسل فى الدنيا ، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرنا بعد قرن ، وجعل لهم أمدا ينتهون إليه ، فلولا التناسل لبطل النوع الإنسانى ؛ ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنهم لا يموتون كما يموت الإنس والجن ، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله – سبحانه – الناس كلهم من الأرض ، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنسانى إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

الســابع: أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾[1] فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم فى الدنيا ، ولو كان ينشئ لهم فى الجنة ذرية أخرى ، لذكرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا فى الدنيا ، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم ، كما هى بذرياتهم من أهل الدنيا .

الـثامن: أنه إما إن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم ينقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى ، واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ، ولا يمكن أن يقال: بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك .

التاســع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل وهؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلا . ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه .

الوجه العاشر: أن الله – سبحانه وتعالى – ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ، ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبدا ، والله أعلم فهذا ما فى المسألة .

فأما قول بعضهم: إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين: إن الجنة دار المكلفين التى يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة ، وهى فى كتب الناس . وبالله التوفيق .

---

(١) آية (٢١) سورة الطور .

قال الحاكم: قال الأستاذ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة . وقد روى فيه غير إسناد ، وسئل النبى ﷺ عن ذلك فقال: "يكون ذلك" على نحو مما روينا الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾[1] ، وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهوته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة ثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .

فإن قيل: ففى الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟ .

قلت: الحيض سبب الولادة الممتد أمده بالحمل على الكره والوضع عليه ، كما أن جميع ملاذ الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب ، وما يعقبه كل منها مما يحذر منه ويخاف من عواقبه ، وهذه خمرة الدنيا المحرمة المسئولة عن كل بلية قد أعدها الله - تعالى- لأهل الجنة منزوعة البلية موفورة اللذة فلم يجوز أن يكون على مثله الولد؟! انتهى كلامه .

قلت: النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبى رزين "غير أنه لا توالد"[2] وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد . وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف فى ذلك قولين: وحكينا قول أبى إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة في حديثه: "غير أن لا منى ولا منية"[3] . والجنة ليست دار تناسل ، بل دار بقاء وخلد لا يموت فيها من فيها فيقوم نسله مقامه" .

وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده إسناد الترمذى ، وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبى الصديق الناجى ، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه: "إذا اشتهى الولد" ، وتارة: "إنه ليشتهى الولد" ، وتارة "إن الرجل من أهل الجنة ليولد له" ، فالله أعلم ،

فإن كان رسول الله ﷺ قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه ، وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض . وحديث أبى رزين: "غير أن لا توالد" إذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا ، ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه فى سنة واحدة ، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر فى هذه المسألة ، وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده فى غير هذا الكتاب . والله أعلم بالصواب .

* * * * * *

---

(١) آية (٧١) سورة الزخرف .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .

الباب السابع والخمسون
فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[1]، قال محمد بن جرير: حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال: حدثنا عامر ابن يساف قال: سألت يحيى بن أبى كثير عن قوله عز وجل: ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال الحبرة: اللذة والسماع، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير فى قوله: ﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ قال: السماع في الجنة ولايخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون، وقال مجاهد وقتادة: ينعمون، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذى[2]: حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»** وفى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيد وأنس وحديث على حديث غريب.

قلت: وفى الباب عن ابن أبى أوفى وأبى أمامة، وعبد الله بن عمر أيضا، فأما حديث أبى هريرة: فقال جعفر الفريابى: حدثنا سعيد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: إن فى الجنة نهرا طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما يرون فى الجنة لذة مثلها، فقلنا: يا أبا هريرة، وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب - عز وجل -. هكذا رواه موقوفا[3].

وروى أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث مسلمة بن على عن زيد بن واقد عن رجل عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه»**[4].

---

(١) آية (١٤، ١٥) سورة الروم.
(٢) الترمذى فى صفة الجنة: ب(٢٤): حديث (٢٥٦٤)، والترغيب والترهيب (٤/٢٦٦).
(٣) الاتحاف (١٠/٥٤٨)، والترغيب والترهيب (٤/٢٦٧).
(٤) الترغيب والترهيب (٤/٥٢٣).

(وأما حديث أنس) فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحور العين يغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كرام**» .

ورواه ابن أبي الدنيا[١] . حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمرو ، حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره . وأما حديث ابن أبي وافى ، فقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «**يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان، لم تسمع الخلائق بمثلهن، نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له**» [٢] .

(وأما حديث أبي أمامة) فقال جعفر الفريابي: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد ابن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزامير الشيطان**[٣]» .

وأما حديث ابن عمر فقال الطبراني[٤]: حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى الفرات المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعين، وإن ما يغنين به نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات لا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه**» قال الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد له ابن أبي مريم . وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب ، وقال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع فإنه حبب إلى السماع ؟ ، فقال: إي والذي

---

(١) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/٤١٩) ، والترغيب (٤/٢٦٦) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) (ضعيف) مجمع الزوائد (١/٤١٨ ، ٤١٩) .
(٤) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/٤١٩) .

نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد، وتحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن: نحن الناعمات لا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجوارى، فلا يدرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر؟".

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، فى صدر إحداهن مكتوب: أنت حبى وأنا حبك انتهت نفسى عندك، لم تر عيناى مثلك".

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير: "إن الحور العين يلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت. وتقول: أنت حبى وأنا حبك، ليس دونك مقصر ولا رواءك معدل[1].

فصل
(ولهم سماع أعلى من هذا)

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى دهثم بن الفضل القرشى، حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعى[2] قال: "بلغنى أنه ليس من خلق الله أعذب صوتا من إسرافيل، فيأمره الله - تبارك وتعالى - فيأخذ فى السماع: فما يبقى ملك فى السماوات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله - عز وجل: وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ما عبدوا غيرى".

وحدثنى داود بن عمرو الضبى حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك. ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتحميدى".

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن الحسن، حدثنى عبد الله بن أبى بكر، حدثنا جعفر بن

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) الأوزاعى هو: عبد الرحمن بن عمرو أبو عمر.. إمام أهل الشام فى وقته، نزيل بيروت. قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا، صدوقا فاضلا، خيرا كثير الحديث. مات سنة (١٥٧). له ترجمة فى: العبر (١/ ٢٢٧)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٨).

سليمان عن مالك بن دينار(١) فى قوله - عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾(٢) قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة ، ثم نودى يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: إن الله - جل ثناؤه - يقول للملائكة: إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فأسمعوا عبادى ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قطْ . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب الزهدْ لأبيه: حدثنى على بن مسلم الطوسى ، حدثنى سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار: فى قوله - عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال: يقيم الله - سبحانه وتعالى - داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم ، فيقول: إلهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا؟ قال: يقول الله - عز وجل : فإنى أرده عليك ، قال: فيرده عليه فيزداد صوته ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنةْ .

وقال ابن أبى داود: حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى حدثنا مسكين بن بكير الأوزاعى عن عبيدة بن أبى لبابة قال: إن فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبعث الله ريحا فتصفق فيسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها(٣) .

حدثنا أبو بكر بن يزيد ، وإبراهيم بن سعيد قالا: حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة ، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا(٤) .

حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا على بن عاصم حدثنا سعيد بن أبى سعيد الحارثى قال: حدثت: إن فى الجنة آجاما(٥) من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونهْ .

---

(١) مالك بن دينار البصري: أبو يحيى . عالم . زاهد . قنوع . كثير الورع . من رواة الحديث . لا يأكل إلا من كسبه . يكتب المصاحف بالأجرة . له مناقب عديدة . توفى سنة ١٣١هـ بالبصرة . معجم الأعلام/ ٦٤٢ .

(٢) آية (٤٠) سورة (ص) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) آجام: جمع أجمة وهي الشجر الكثيف الملتف .

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب - جل جلاله - وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه ، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيمر بك - أيها السنى - من الأحاديث الصحاح والحسان فى ذلك ما هو من أحب سماع لك فى الدنيا وألذه لأذنك وأقره لعينك ، إذ ليس فى الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب- تعالى - وسماع كلامه منه ، ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك .

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار - جل جلاله - فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم ، إلى مثلها من الغد[1] .

* * * * * *

(١) الدر المنثور ٦/ ١١٣٩ ، والكنز (٣٩٣٢٥) .

الباب الثامن والخمسون
فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذى[١] حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن على حدثنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هل فى الجنة من خيل؟ قال: «**إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت**»، قال: وسأله رجل: فقال: يا رسول الله، هل فى الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه، قال: «**إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**».

حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ نحوه بمعناه، وهذا أصح من حديث المسعودى[٢]. حدثنا محمد ابن إسماعيل بن سمرة الأحمسى، حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب قال: أتى النبى ﷺ أعرابى فقال: يا رسول الله، إنى أحب الخيل، أفى الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن أدخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت**».

قال الترمذى[٣]: هذا حديث إسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبى أيوب إلا من هذا الوجه، وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث، ضعفه ابن معين جدا، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير عن أبى أيوب لا يتابع عليها.

قلت: أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة، فمرة يقول: عن سليمان بن بريدة عن أبيه، ومرة يقول: عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل فقلت: هل فى الجنة خيل يا رسول الله؟ ومرة يقول: قال رجل من الأنصار يقال له: عمير بن ساعدة: يا رسول الله، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ، والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لأن سفيان أحفظ منه، وأثبت. وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا؛ فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة: إن أعرابيا قال: يا رسول الله أفى الجنة

---

(١) (صحيح) الترمذى فى صفة الجنة: ب(١١): حديث (٢٥٤٣).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر عاليه: حيث (٢٥٤٤).

إبل؟ قال: «يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك»[1] ورواه أيضا من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكر الجنة فقال: «**والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا منها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة**»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إلى الخيل، فهل في الجنة خيل؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده وإن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة، يتزاورون عليها حيث شاءوا**» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني حبب إلى الإبل. وذكر الحديث.

وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائي، وقد أخرج أبو داود[2] حديث: "ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجناداً"، وأخرج له ابن ماجة[3] عن أبي أيوب: "رأيت النبي ﷺ توضأ فخلل لحيته"، وحديثا آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ وأخرج له الترمذي حديث: "خيل الجنة" فقط. ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: "إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض، كأنها الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل".

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية عن الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر له أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجدا فيقول لهم الجبار- تعالى-: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيبا، فيمرون بكثبان المسك، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر**».

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا: همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: "في الجنة عتاق الخيل، وكرائم النجائب"[4].

* * * * * *

(١) سبق تخريجه.
(٢) أبو داود رقم (٢٥٢٥).
(٣) ابن ماجة في الطهارة: ب(٥٠).
(٤) الدر المنثور (٦/ ٢٩٢).

الباب التاسع والخمسون
فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا ، وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[1] .

فأخبر - سبحانه وتعالى - أن أهل الجنة ، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسألون بعضهم بعضا ، عن أحوال كانت فى الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه: ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ ، بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى ، وكنا ترابا وعظاما ، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران:

أحدهما: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضا: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس ،

والثانى: إنه من قول الله - عز وجل - لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟ والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه ، قال كعب: "بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى".

وقوله: اطلع ، أى أشرف . قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: هل أنتم مُطَّلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا ، فاطلع أنت ، فأشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير ، فعندها قال: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ . أى كدت لتهلكنى ، ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك فى العذاب وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ

---

(١) آية (٥٠ - ٥٧) سورة الصافات .

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(١) .

وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «**يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى، إلا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتبقين الحشايا**»(٢) .

وقال الدورقى: حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة ، وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه: أن أهل الجنة يتزاورون على النجائب وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضا ، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم . ولهذا قال حارثة للنبى ﷺ وقد سأله: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**» قال: أصبحت مؤمنا حقا ، قال: «**إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال: «**عبد نور الله قلبه**»(٣) .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، قال: فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟** فيقول صاحبه: يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا(٤)

قال: وحدثنا حمزة بن العباس: أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى

---

(١) آية (٢٥ - ٢٨) سورة الروم .
(٢) الطبرانى (٨/ ٢٩٢) .
(٣) بن ابى شيبة (١١/ ٤٣) ، والاتحاف (٩/ ٣٢٧) ، والكنز (٣٦٩٩٠) .
(٤) عيب والترهيب (٤/ ٢٦٩) .

بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حيث شاء الله - عز وجل- فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم**» . ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من المسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفى رؤوسهم ، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام ، وفى الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله - تعالى - فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد الله ، أما لك فينا حاجة؟ يقول: ما أنت؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك ، فيقول: ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة: أو ما علمت أن الله قال: ﴿**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1] ؟ . فيقول: بلى ، وربى ، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ، لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة[2] .

حدثنى حمزة أنبأنى عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثنى ابن أنعم أن أبا هريرة قال: إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس[3] الجون عليها رحال الميس[4] ، تثير مناسمها[5] غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ**﴾[6] قال: هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه ، فأتاهم الملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمتها الدر الأبيض ، برحال الذهب أعنتها السندس

---

(١) آية (١٧) سورة السجدة .

(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٣) العيس: هى الإبل البيض مع شقرة يسيرة ، واحدها: أعيس وعيساء (اللسان: عاس) .

(٤) الميس: شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها . (اللسان: ماس) .

(٥) مناسمها: أخفافها ، وقد يطلق على مفاصل الإنسان اتساعا . (اللسان: منسم) .

(٦) آية (٦٨) سورة الزمر .

والإستبرق، وثمارقها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال، يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف قضى الله بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه[١].

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا الفضل بن جعفر حدثنا جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن ابن علي عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟** قال: فيقال لهم: كانوا يصلون في الليل وكنتم نائمون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون[٢].

فصل: (خصوصية)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل، وذلك حين يزورون ربهم - تبارك وتعالى- فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه، ويحل عليهم رضوانه.

وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب، إن شاء الله.

* * * * * * *

---

(١) (ضعيف) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٤).

(٢) الموضوعات (٣/ ٢٥٥)، واللآلئ (٢/ ٢٤١).

الباب الستون
فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيها لأهلها

قال مسلم فى صحيحه[١] حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«إن فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا، فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا»** ورواه الإمام أحمد فى مسنده[٢] عن عفان عن حماد بن سلمة وقال: فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح.

وقال ابن أبى عاصم فى كتاب السنة[٣]: حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرنى رسول الله ﷺ : أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله - تبارك وتعالى - فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور، وما يرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا - عز وجل؟ قال: نعم، قال: هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم، ولا يبقى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا! فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: بلى . أفلم تغفر لى؟ فيقول: بلى، فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك، إذ

---

(١) مسلم فى الجنة: ب(٥): حديث (١٣) .
(٢) أحمد فى مسنده (ج٣/ ٣٩٥)
(٣) (ضعيف) السنة لابن أبى عاصم (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩) .

غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط، ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار - تبارك وتعالى - وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

ورواه الترمذى فى صفة الجنة[1] عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار، ورواه ابن ماجه[2] عن هشام بن عمار وليس فى هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى، فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره.

وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى: هو ثقة، وأما دحيم والنسائى: فضعفاه، ولا يعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى. والترمذى قال: فى هذا الحديث غريب. لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا معلى بن زياد عن الأوزاعى قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره.

وقال الترمذى[3]: حدثنا أحمد بن منيع وهناد قالا: حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها»** قال: هذا حديث غريب.

---

(١) الترمذى باب (١٥): حديث (٢٥٤٩).
(٢) ابن ماجه فى الزهد: ب(٣٩): حديث (٤٣٣٦).
(٣) الترمذى فى صفة الجنة: ب(١٥): حديث (٢٥٥٠).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبانا سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: "يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق، فينطلقون إلى كثبان المسك، فإذا رجعوا إلى أزواجهم، قالوا: إنا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن إذ خرجنا من عندكن، قال: فيقلن: لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا"[١].

قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: "إن في الجنة لسوقا على كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله تعالى ريحا فتدخلهم بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم بعدنا حسنا، ويقولون لأهلهم قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا"[٢].

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين: حدثنا أحمد بن محمد بن طريف البجلي حدثنا أبي محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي ابن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون، فقال: يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقا ما يباع فيها، ولا يشترى إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها". والله أعلم[٣].

* * * * * *

(١) الزهد ص(٧٠).
(٢) الزهد ص(٥٢٤، ٥٢٥).
(٣) سبق تخريجه.

الباب الحادى والستون
فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعى - رضى الله عنه - فى مسنده[١] حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال: حدثنى الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت[٢] إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: ما هذا؟ قال: الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ساعة ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، وقال النبى ﷺ: **«يا جبريل وما يوم المزيد؟»** قال: إن ربك اتخذ من الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله - تبارك وتعالى - ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من وراءهم على تلك الكثب فيقول الله - تعالى : أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم ، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك ، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير .

وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم - عليه السلام - وفيه تقوم الساعة . ولهذا الحديث طرق سنشير إليها فى باب المزيد إن شاء الله - تعالى-

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن جبير بن فرقد عن الحسن عن أبى برزة الأسلمى عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليغدون فى حلة ويروحون فى أخرى كغدو أحدكم ورواحه، إلى ملك من ملوك الدنيا كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل، وكذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التى يأتون فيها ربهم عز وجل»** .

قال: وروى جعفر بن جسر عن فرقد عن أبيه مثله وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبى إسحاق عن الحارث عن على قال: إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله - تبارك وتعالى - يأمركم أن تزوروه ، فيجتمعون ، فيأمر الله - تبارك وتعالى - داود - عليه السلام - فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم توضع مائدة الخلد .

---

(١) (صحيح) مسند الشافعى ١/ ١٤٨ .

(٢) وكت : وقعت فيه نقطة (المعجم الوسيط : وكت) .

قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا - عز وجل - فيتجلى لهم فيخرون سجدا، فيقال لهم: لستم فى دار عمل، إنما انتم فى دار جزاء[1].

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروى حدثنا القاسم بن يزيد الموصلى، قال: حدثنى أبو إلياس قال: حدثنى محمد بن على بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ. وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى بن عمران وكان من خيار الناس قال: حدثنا إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن على قال إدريس: ثم لقيت محمد بن على بن الحسين بن فاطمة فحدثنى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لو سُخِّر الجواد الراكب أن يسير فى ظلها لسار فيها مائة عام، ورقها برود خضر، وزهرها رياض صفر، وأقناؤها سندس وإستبرق، وثمارها حلل، وصمغها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر؛ ترابها مسك وحشيشها زعفران، منبع الألنجوج يؤججان من غير وقود ينفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم. فبينما هم يوما يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبا جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا، وبرها خز أحمر ومرعزى [2] أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها، عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت، مفصصة باللؤلؤ والمرجان، وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقرى والأرجوان، فأناخوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إن ربكم - تبارك وتعالى - يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه، وينظر إليكم، وتحيونه ويحييكم، يكلمكم وتكلمونه، ويزيدكم من سعته وفضله. إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم.**

فيتحول كل رجل منهم على راحلته، ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا لا يفوت منه شىء شيئا ولا يفوت أذن ناقة أذن صاحبتها ولا بركت ناقة بركت صاحبتها، ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرها، وزحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما رفعوا إلى الجبار - تبارك وتعالى - أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة، فقالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام.

فقال لهم ربهم - تبارك وتعالى -: إنى السلام ومنى السلام ولى حق الجلال والإكرام، مرحبا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المرعزي: والمرعزاء صفة الصوف اللين. (اللسان).

بعبادى الذين حفظوا وصيتى، وراعوا عهدى، وخافونى بالغيب وكانوا منى على حال مشفقين.

قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا كل حقك فائذن لنا بالسجود لك.

فقال لهم ربهم - تبارك وتعالى : إنى قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم، أبدانكم، فلطالما ما أتعبتم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجوه، فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى وكرامتى ، فسلونى ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيكم فإنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى. فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب، حتى أن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله - عز وجل - إلى يوم أفناها، فقال لهم ربهم - عز وجل : لقد قصرتم فى أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم، وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم»[1] ولا يصح عنه رفعه إلى النبى ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن على ، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء ، فجعله من كلام النبى ﷺ .

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ، ضعفه ابن عدى . وقال الدارقطنى: متروك ، وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدرى من هو . أما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضا ومثل هذا لا يصح رفعه . والله أعلم .

وقال الضحاك فى قوله - عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[2] . قال: على النجائب عليها الرحال .

* * * * * *

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٠ - ٢٧٢) .

(٢) آية (٨٥) سورة مريم .

الباب الثانى والستون
فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة

قد تقدم فى حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط ، وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة ، فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا[1] . وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى أزهر ابن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليمانى ، قال سأل عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: إنهم يفدون إلى الله - سبحانه وتعالى - كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه ، فإذا قعدوا عليه وأخذوا القوم مجالسهم قال الله - تعالى : أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى . فيطعموا ثم يقول: أسقوهم . قال: فيأتون بآنية من ألوان شتى مجتمعة فيشربون منها . ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكهوهم ، فتجىء ثمرات شجر مدلاة فيأكلون منها ما شاءوا ، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا أكسوهم ، فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر ، وكل لون لم تنبت إلا الحلل ، فتنشر عليهم حللا وقمصا ، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا ، طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر . ثم يقول: عبادى وجيرانىْ وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين حتى ينظروا إلى ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم ، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها!! فيقولون: ذلك أن الله - جل ثناؤه - تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا[2] . نقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل ملجمة مسرجة لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل**

---

(١) الزهد لابن المبارك ص(٧٠) .

(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٠ ، ٢٧١) .

السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقها وفى رؤوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام. وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلا ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك . فيقول: ما كنت علمت بمكانك ،فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله تعالى قال: ﴿ **فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] فيقول: بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم[2] .

فصل: (رحمة الله)

وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - السحاب وما يمطره سببا للرحمة والحياة فى هذه الدار ويجعله سببا لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحا متداركا من تحت العرش ، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش[3] عليهم ، وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا ، ويثير لهم سحابا فى الجنة يمطرهم ، ما شاءوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابا يمطر عليهم عذابا إلى عذابهم ، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب ، سحابا أمطر عليهم عذابا أهلكهم فهو - سبحانه - ينشئه للرحمة والعذاب .

* * * * * *

---

(١) آية (١٧) سورة السجدة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) تطشُّ السماء: تمطر مطراً ضعيفا (المختار: طَشّ) .

الباب الثالث والستون
فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[١] قال ابن أبى نجيح عن مجاهد "ملكا كبيراً قال: عظيما ، وقال: استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن .

وقال كعب فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال: يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة وقال بعضهم: الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن .

وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر له مراكب أهل الجنة ثم تلا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾

وقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول في قوله- عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال: الملك الكبير ، أن رسول الله[٢] يأتيه بالتحفة واللطف ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب: استأذن على وَلِى الله فإنى لست أصل إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب ، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن ، وهو يدخل على ربه بلا إذن .

وقال ابن أبى الدنيا[٣]: حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المرى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه: إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم" حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، أنبأنا زيد بن الحباب عن أبى هلال الراسبى ، أخبرنا الحجاج ابن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى ، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه".

وحدثنى محمد بن عباد ، حدثنا زيد بن الحباب عن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال قال: "ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه[٤] .

---

(١) آية (٢٠) سورة الإنسان .
(٢) رسول الله : الملك الذي يرسله الله تعالى إليه .
(٣) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠١) ، والترغيب (٤/٥٠٨) ، وابن المبارك (٥٣٦) .
(٤) سبق تخريجه .

وحدثني هارون بن سفيان، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ.

وحدثني هارون بن سفيان، حدثنا محمد بن عمر، أخبرنا محمد بن هلال عن أبي هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيها دني لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه[1].

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثني عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: إنه لَيُصَفُّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مرّ مشوا وراءه.

وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء**[2].

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا بقية بن الوليد، حدثني أرطاه بن المنذر قال: سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له: أبو الحجاج قال: جلست إلى أبي أمامة فقال: إن المؤمن يكون متكئا على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب، فيقبل الملك من ملائكة الله - عز وجل - ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه: ملك يستأذن، ويقول للذي يليه: ملك يستأذن، حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له، ويقول الذي: يليه ائذنوا له كذلك، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسن، حدثنا قبيصة، حدثنا سليمان العنبري عن الضحاك بن مزاحم قال: بينا وَلِيُّ الله في منزله إذ أتاه رسول من الله - عز وجل - فقال للآذن: استأذن لرسول الله على وَلِيّ الله، فيدخل الآذن فيقول له: يا وَلِيّ الله، هذا رسول يستأذن عليك، قال: ائذن له فيدخل على وَلِيّ الله، فيضع ما بين يديه تحفة، فيقول: يا وَلِيَّ الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه، قال: فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول: إنما أكلت هذا الآن، فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

في الجنة قال: فذلك قولـه تعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

وفـي صـحيح مسـلم(١) من حدث المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى ربه ما أدنى أهـل الجـنة منـزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال لـه: ادخل الجنة، فيقول: أى رب. كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال لـه: أترضى أن يكـون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول**: رضيت رب، **فيقول لـه: لك ذلك ومثله ومثله ومـثله ومـثله، فقـال في الخامسة**: رضيت ربى **فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول** رضيت ربى» وذكر الحديث .

وقد تقدم ذكره بتمامه .

وقـال الـبزار فـى مسـنده: حدثـنا محمـد المثنى ، حدثنا المغيرة بن سلمة ، حدثنا وهيب عن الجريـرى عـن أبـى نضـرة عـن أبـى سـعيد قال: "خلق الله الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرسـها بـيده ، وقـال لها: تكلمى فقالت: قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها الملائكة ، فقالت: طوبى لك منزل الملوك"(٢) هكذا رواه وهيب عن الجريرى موقوفا ، ورواه عدى بن الفضل عن الجريرى فـرفعه وقـال الـبزار: ولا نعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد ، وعدى بن الفضل ليس بالحافظ ، وهو شيخ بصرى .

قلـت: عـدى بـن الفضـل هـذا تفـرد بـه ابن ماجه ، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم . والحديـث: صـحيح موقـوف . والله أعـلم . وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم ، وإنما يلبسها الملوك .

* * * * * *

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

الباب الرابع والستون
فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال
وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس؟ ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة؟ .

وفى الصحيحين[٢] من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله – عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾»** .

وفى لفظ آخر فيهما: **«يقول الله – عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخرا لـه، ما أطلعتكم عليه ثم قرأ: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ الآية»** .

وفى بعض طرق البخارى قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

وفى صحيح مسلم[٣] من حديث سهل بن سعد الساعدى قال: شهدت مع النبى ﷺ مجلسا ، وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال فى آخر حديثه: **« فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** ، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وفى الصحيحين[٤] من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»** . وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ: **«ألا مشمر للجنة، فإن للجنة خطرا لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة**

---

(١) آية (١٦ ، ١٧) سورة السجدة .

(٢) البخارى فى بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٤٤) ، ومسلم فى الجنة: فى المقدمة: حديث (٢) .

(٣) البخاري (ج٨/ ٤٧٨٠) ، ومسلم فى الجنة: فى المقدمة: حديث (ج٥/ ٤) .

(٤) البخارى فى الجهاد: ب(٥): حديث (٢٧٩٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، وفي كتاب الجنة ، وأحمد (٢/ ٤٨٢) .

وخضرة وحبرة ونعمة، فى محلة عالية بهية» .

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها ، لكفاها شرفا وفضلا . كما فى سنن أبى داود[١] من حديث سليمان بن معاذ عن ابن المنكدر عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا يسأل بوجه الله غير الجنة»** .

وفى معجم الطبرانى[٢] من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : **«لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى. فقالت: قد أفلح المؤمنون»** .

وفى صحيح البخارى[٣] من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«موضع سوط فى الجنة خيرمن الدنيا وما فيها»** .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض»**[٤] وهذا الإسناد على شرط الصحيحين .

وقال الترمذى[٥]: حدثنا سويد بن نصر ، حدثنا ابن المبارك ، أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: **«لو أن أقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت لـه ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب»** .

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبى حبيب وقال عمر بن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ . قلت: وقد رواه ابن وهب ، أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه ، أن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، قال سليمان: لا أعلم إلا أنه حدثنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لو أن ما أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت لـه ما بين السماء والأرض»** .

وفى الباب عن أنس بن مالك ، وأبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو بن العاص .

---

(١) أبو داود رقم (١٦٧١) .
(٢) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧) ، وذكره المنذرى فى "الترغيب والترهيب" (ج٣/ ٦١٥) .
(٣) البخارى فى بدء الخلق: ب(٨): حديث (٣٢٥٠) .
(٤) (صحيح) أحمد (٢/ ١٣٠) ، والصحيحة (١٩٧٨) .
(٥) الترمذى فى الجنة: ب(٧): حديث (٢٥٣٨) .

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص؟

فإن سألت عن أرضها وتربتها: فهى المسك والزعفران،

وإن سألت عن سقفها: فهو عرش الرحمن،

وإن سألت عن ملاطها: فهو المسك الأذفر،

وإن سألت عن حصبائها: فهو اللؤلؤ والجوهر،

وإن سألت عن بنائها: فلبنة من فضة ولبنة من ذهب،

وإن سألت عن أشجارها: فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب،

وإن سألت عن ثمرها: فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها: فأحسن ما يكون من رقائق الحلل،

وإن سألت عن أنهارها: فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى،

وإن سألت عن طعامها: ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون،

وإن سألت عن شرابهم: فالتسنيم والزنجبيل والكافور،

وإن سألت عن آنيتهم: فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير،

وإن سألت عن سعة أبوابها: فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام،

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها: فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها،

وإن سألت عن ظلها: ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها،

وإن سألت عن سعتها: فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام،

وإن سألت عن خيامها وقبابها: فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستن ميلا من جملة الخيام،

وإن سألت عن علاليها وجواسقها: فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ،

وإن سألت عن ارتفاعها: فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار ،

وإن سألت عن لباس أهلها: فهو الحرير والذهب ،

وإن سألت عن فراشها: فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى المراتب ،

وإن سألت عن أرائكها: فهى الأسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب ، فما لها من فروج ولا خلال ،

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم: فعلى صورة القمر ،

وإن سألت عن أسنانهم: فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم – عليه السلام – أبى البشر ،

وإن سألت عن سماعهم: فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما سماع خطاب رب العالمين ،

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها: فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان ،

وإن سألت عن حليهم وشارتهم: فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان ،

وإن سألت عن غلمانهم: فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون ،

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم: فهن الكواعب الأتراب ، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللدقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجرى الشمس فى محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، ويرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحا ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولا غمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن على ظهرها بالله الحى القيوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا

محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه وقصرت طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو معها فى غاية الأمانى هذا لم يطمثها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنثورا ، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا ،

وإن سألت عن السن: فأتراب في أعدل سن الشباب ،

وإن سألت عن الحسن: فهل رأيت الشمس والقمر؟ ،

وإن سألت عن الحدق: فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور ،

وإن سألت عن القدود: فهل رأيت أحسن الأغصان؟ ،

وإن سألت عن النهود: فهن الكواعب ، ونهودهن كألطف الرمان ،

وإن سألت عن اللون: فكأنه الياقوت والمرجان ،

وإن سألت عن حسن الخلق: فهن الخيرات الحسان ، اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفس وقرة النواظر ،

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك: فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالزوج أى امتزاج . فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وَحَدِيثُهَا السِّحرُ الحلالُ لَوْ أنَّه ::: لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرز
إنْ طَالَ لم يملَلْ وإن هى حَدَّثَتْ ::: وَدَّ المحدثُ أنَّها لم تُوجِزِ

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع ، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع ، وإن قبلت فلا شىء أشهى إليه من التقبيل ، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه . وذلك موجود فى الصحاح ، والسنن ، والمسانيد من رواية جرير ، وصهيب ، وأنس ، وأبى هريرة ، وأبى موسى ، وأبىسعيد ، فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة ، إن ربكم – تبارك وتعالى –

يستزيركم فحى على زيارته ، فيقولون: سمعا وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدا ، وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدا ، أمر الرب - تبارك وتعالى - بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة . وجلس أدناهم وحاشاهم من الدنيا أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه .

فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار - جل جلاله - وتقدست أسماؤه . وقد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال: يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ،

فيتجلى لهم الرب - تبارك وتعالى - ويضحك إليهم ، ويقول: يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه - تعالى : أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ، ولم يرونى فهذا يوم المزيد؟ ، فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا .

فيقول: يا أهل الجنة ، إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى . هذا يوم المزيد فسلونى . فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب - جل جلاله - الحجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله - سبحانه وتعالى - قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه - تعالى - محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه . . فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة !! . . ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة !! . . ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾[1] .

فَحَيَّ عَلَى جنات عدن فإنها ::: منازلُكَ الأولى وفيها المخيمُ
ولكنّنا سَبْيُ العدُوِّ فهلْ تُرَى ::: نعودُ إلى أوطاننا ونسلمُ؟

* * * * * *

(١) آية (٢٢ - ٢٥) سورة القيامة .

الباب الخامس والستون
فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة، كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطرا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية[1] المنهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون. وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون. أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه.

وقد أخبر الله - سبحانه - عن أعلم الخلق به فى زمانه، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض، أنه سأل ربه - تعالى - النظر إليه فقال له ربه - تبارك وتعالى: **﴿ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾**[2].

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيالله العجب! كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله - تعالى - من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه؟ .

الوجه الثانى: أن الله - سبحانه - لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكر عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه - تبارك وتعالى - أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر

---

(١) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، وافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. انظر الملل والنحل للشهرستانى (١/ ٨٦، ٨٧).

(٢) آية (١٤٣) سورة الأعراف.

عليه وسؤاله وقال: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] .

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: لن ترانى ولم يقل لا ترانى ، ولا أنى لست بمرئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرَى ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه .

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف؟ .

الوجه الخامس: أن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ، وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندهم سواء .

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته - تبارك وتعالى - ، فإنه إذا أجاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه؟!! فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار ، فالبشر أضعف .

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم أن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين ، فأنكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره استحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ فإنما يدل على النفى فى المستقبل ، ولا يدل على دوام

---

(١) آية (٤٦ ، ٤٧) سورة هود .

النفي، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت؟ قال: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[١] مع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[٢].

دليل رؤية الله في الآخرة

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ ﴾[٦] وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾[٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة، بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى.

وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أن لا يراه إلا المؤمنون.

والثانى: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها، وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾. إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به.

---

(١) آية (٩٥) سورة البقرة.
(٢) آية (٧٧) سورة الزخرف.
(٣) آية (٢٢٣) سورة البقرة.
(٤) آية (٤٤) سورة الأحزاب.
(٥) آية (١١٠) سورة الكهف.
(٦) آية (٢٤٩) سورة البقرة.
(٧) آية (٧٧) سورة التوبة.

دليل رؤية الله

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن، فالصحابة من بعده كما روى مسلم فى صحيحه[٢] من حديث حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهى الزيادة".

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن أنس قال: "سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله".

وقال محمد بن جرير حدثنا ابن حميد، حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن كعب ابن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله، قلت: عطاء هذا هو الخراسانى، وليس عطاء بن أبى رباح.

قال ابن جرير[٣]: وحدثنا ابن عبد الرحيم، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، قال: سمعت زهيرا، وقال يعقوب بن سفيان، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير ابن محمد قال: حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال: "سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل".

وقال أسد السنة[٤]: حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبى تميمة الهجيمى أنه سمع أبا

---

(١) آية (٢٥، ٢٦) سورة يونس.

(٢) مسلم فى الإيمان: ب(٧٩): حديث (٢٩٧)والترمذي في سننه في كتاب "الجنة" (ج٤/ ٢٥٥٢)

(٣) فى تفسيره (١١/ ٧٥)، وابن كثير (٤/ ٩٩)، والدر المنثور (٣/ ٣٠٥).

(٤) أسد السنة : أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي "أسد السنة" من حفاظ الحديث. توفي سنة : ٢١٢هـ. معجم الأعلام : ٩٧.

موسى يحدث أنه سمع النبى ﷺ يقول: "يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنة ، بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى ، والحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل".

وقال وهب بن منبه: أخبرنى شبيب عن أبان عن أبى تميمة الهجيمى ، أنه سمع أبا موسى الأشعرى يحدث عن رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن".

وأما الصحابة: فقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدى ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: النظر إلى وجه الله الكريم . وبهذا الإسناد عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وحدثنا على بن عيسى ، حدثنى شبابة ، حدثنا أبو بكر الهذلى قال: سمعت أبا تميمة الهجيمى يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال: "إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديا ينادى: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد لهم من الكرامة فيقولون: نعم ، فيقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ النظر إلى وجه الرحمن عز وجل".

وقال عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى: أنبأنا أبو تميمة قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب الناس فى جامع البصرة ويقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول: يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحُلِيَّ والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقول: نعم . قد أنجزنا الله ما وعدنا ، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟! ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون: نعم ، فيقول: قد بقى لكم شىء ، إن الله عز وجل يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ألا إن الحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى .

وفى تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾ قال: أما الحسنى: فالجنة ، وأما الزيادة: فالنظر إلى وجه الله ، وأما القتر: فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعامر بن سعد ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الرحمن بن سابط ، وأبو إسحاق السبيعى ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبير: الحسنى: الجنة .

والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾(١) بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دلَّ على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها، ومن فسر الزيادة: بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك تعالى.

دليل رؤية الله

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٢) ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه، كانوا أيضا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكره الطبراني وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ قال: فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل. ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضا، وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد: ليس يراه إلا المؤمنون. قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

دليل رؤية الله

الدليل الخامس: قوله عز وجل: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾(٣) قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره.

---

(١) آية (٢٦) سورة يونس.
(٢) آية (١٤، ١٥) سورة المطففين.
(٣) آية (٣٥) سورة (ق).

دليل رؤية الله

الدليل السادس: قولـه عز وجل: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[(١)]

والاستدلال بهـذا أعجب فإنه من أدلة النفاة . وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه . وقال لى: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله ، إلا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قولـه ، فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح . ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح ، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب ، والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدلـه وعلمه وغناه ، ونفى النسيان وعزوب شىء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا . فإن المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقولـه: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال ،لمشاركة المعدوم لـه فى ذلك . فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قولـه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾[(٢)] أنه يعلم كل شىء . وفى قولـه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[(٣)] أنه كامل القدرة ، وفى قولـه: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[(٤)] أنه كامل العدل وفى قولـه: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾[(٥)] أنه كامل القيومية . فقولـه: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شىء وأنه لعظمته لا يدرك ، بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشىء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ

---

(١) آية (١٠٣) سورة الأنعام .
(٢) آية (٦١) سورة يونس .
(٣) آية (٣٨) سورة (ق) .
(٤) آية (٤٩) سورة الكهف .
(٥) آية (٢٥٥) سورة البقرة .

﴿ كَلاَّ ﴾[1] فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنا لمرئيون . فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياه بقوله كلا وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى ﴾[2] .

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذى فهمته الصحابة والأئمة من الآية .

قال ابن عباس: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ لا تحيط به الأبصار ، وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار ، وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط ، وهكذا يسمع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا : استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ، ولا شبيه ولا مثل ؛ أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها . وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله ، وبعد عن مشابهة أضرابه . فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته . وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3] من أدل شيء على ما بينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط به علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا ، وتأمل حسن المقابلة لفظا ومعنى بين قوله: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[4] .

---

(١) آية (٦١) سورة الشعراء .

(٢) آية (٧٧) سورة طه .

(٣) آية (٤) سورة الحديد .

(٤) آية (١٠٣) سورة الأنعام .

فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به ، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطفه ، اللطيف فى عظمته ، العالى فى قربه ، القريب فى علوه ، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

دليل رؤية الله

الدليل السابع: قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية نداء صريحا ، أن الله سبحانه يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا ، فتأويل نصوص المعاد ، والجنة ، والنار ، والميزان ، والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص . وهذا الذى أفسد الدين والدنيا ، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة ، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته . وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه ، إلى نفس الرب جل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه ، فإن عدى بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[1]

وإن عدى بفى فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] وإن عدى بإلى فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر؟! .

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك عن الحسن قال: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضرت بنوره ، فاسمع الآن أيها السنى تفسير النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية .

قال ابن مردويه فى تفسيره: حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام ، حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: «من البهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال: فى وجه الله عز وجل» . قال أبو صالح عن

---

(١) آية (١٣) سورة الحديد .
(٢) آية (١٨٥) سورة الأعراف .

ابـن عـباس ، ﴿ إِلَـى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل وقال عكرمة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَـئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: من النعيم ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، قال: تنظر إلى ربها نظرا ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

" أحاديث إثبات رؤية الله "

وأمـا الأحاديـث عـن النبى ﷺ وأصـحابه الدالة على الرؤية فمتواترة ، رواها عنه أبو بكر الصـديق ، وأبـو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وجرير بن عبد الله البجلى[1] ، وصهيب بن سنان الـرومى ، وعبد الله بن مسعود الهذلى ، وعلى بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وعدى بن حـاتم الطـائى ، وأنـس بـن مالك الأنصارى ، وبريدة بن الحصيب الأسلمى ، وأبو رزين العقيلى ، وجابـر بـن عبد الله الأنصارى ، وأبو أمامة الباهلى ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وعائشة أم المؤمـنين ، وعـبد الله بـن عمـر ، وعمارة بن رويبة ، وسلمان الفارسى ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بـن عـباس ، وعـبد الله بـن عمـرو بن العاص- وحديثه موقوف- وأبى بن كعب ، وكعب بن عجرة ، وفضالة بن عبيد- وحديثه موقوف- ورجل من أصحاب النبى ﷺ غير مسمى .

فهـاك سـياق أحاديـثهم من الصحاح والمسانيد والسنن ، وتلقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصـدر ، لا بالـتحريف والتـبديل وضيق العطن ، ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين .

فصل

حديث أبي بكر

فأمـا **حديـث أبى بكر الصديق** - رضـى الله عـنه - فقال الإمام أحمد[2]: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى قال: حدثنى النضر بن شميل المازنى ، قال: حدثنى أبو نعامة قال: حدثنى أبو هنـيدة الـبراء بـن نوفـل عن والان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يـوم فصـلى الغـداة فجلـس حـتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ، ثم جلـس مكانـه حـتى صـلى الأولى والعصـر والمغـرب ، كـل ذلـك لا يتكـلم حتى صلى العشاء الآخـرة ، ثـم قـام إلى أهلـه ، فقال الناس لأبى بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شـيئا لم يصـنعه قـط ، قـال فسـأله ، فقـال: **«نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة، فجمـع الأولون والآخرون فى صعيد واحد، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق**

---

(١) جريـر بـن عـبد الله البجلى الكوفى . قدم على النبى ﷺ سنة عشر ، فبشر به ، وبسط لـه رداءه ، وكان صادق الإيمان فى براءة . مات سنة (٥١) . لـه ترجمة فى الرياض ص(٤٦ ، ٤٧) .

(٢) (صحيح) أحمد (١/ ٤ ، ٥) .

يكـــاد يلجمهم، فقالوا يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا عند ربك، قـــال: لقد لقيت مثل الذى لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1] قال: فينطلقون إلى نوح ﷺ، فيقولون: اشفع لـــنا عـــند ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديـــارا، فـــيقول: ليس ذلكم عندى، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلا، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندى، انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليما، فيقول موســـى ﷺ: ليس ذاكم عندى انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، فيقول عيسى: ليس ذاكم عندى. انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل، قال: فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول لـــه الله -عز وجـــل-: ائذن لـــه وبشره بالجنة، فينطلق جبريل به ﷺ فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله -عز وجـــل-: ارفـــع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ســـاجدا قدر جمعة أخرى، فيقول الله -عز وجل-: ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حـــق إنه ليرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعـــوا الأنبـــياء، قال: فيجيء النبى ومعه العصابة والنبى ومعه الخمسة والستة. والنبى وليس معه أحـــد. ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: فيقول الله -عز وجل-: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا، قال: فيدخلون الجنة، قـــال: ثم يقـــول الله -عز وجل-: انظروا فى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ قال: فيجدون فى النار رجلا، فيقولون لـــه: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع، فيقول الله - عز وجل-: اسمحوا لعبدى بسماحته إلى عبيدى. ثم يخرجون من النار رجلا يقول لـــه: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أنى أمرت ولدى إذا مت، فأحرقونى فى النار ثم اطحـــنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فأذرونى فى الريح، فو الله لا يقدر على رب العالمين أبدا. فقال الله - عز وجل- لـــه: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال، فيقول الله - عز وجل-: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال: فيقول: أتسخر بى وأنت الملك ؟، وذلك الذى ضحكت منه من الضحى» .

(١) آية (٣٣) سورة آل عمران .

فصل

حديث أبي هريرة وأبي سعيد

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد ففي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة: أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، ويجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فليتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه عن النار، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها[2]، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول تبارك وتعالى: هل عسيت أن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! فيقول

---

(١) البخاري في الأذان: ب(١٢٩): حديث (٨٠٦)، ومسلم في الإيمان: ب(٨١): حديث (٢٩٩).

(٢) قشبني: افسدني. ذكاؤها: لهب النار.

أى رب فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أى رب أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألنى غير ما أعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أى رب، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمن، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول: تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى، قال الله عز وجل: ذلك لك ومثله معه» . قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه .

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه . قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله: "ذلك لك ومثله معه" . قال أبو سعيد: أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله: "ذلك لك وعشرة أمثاله" قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة" .

وفى الصحيحين[1] عن أبى سعيد الخدرى: أن ناسا فى زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ «نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: ما تضارون فى رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار؛ حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب، فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيز ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون فى النار. ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها.

(١) البخارى (ج٢/ ٨٠٦) ، ومسلم فى الإيمان ب(٨١): حديث (٢٧٨) .

قـــال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا، حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذنه الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس فى نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فو الذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استقصـــاء الحـــق مـــن المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون: ربنا ما بقى فيها أحد مما أمرتنا، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربـــنا لم نـــذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخـــرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا قط، وكان أبو سعيد الخدرى يقول: إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] . فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال لـــه: نهر الحياة فيخرجون كمـــا تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصـــيفر وأخيضـــر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض» فقـالوا: يـا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية « قال:فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذيـــن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهـــو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين » فـيقول: لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون: « يا ربنا وأى شىء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى: رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا».

---

(١) آية (٤٠) سورة النساء .

فصل

حديث جرير

وأمـا حديث جرير بن عبد الله ففـى الصـحيحين[١] من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: «كنا جلوسا مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلـوع الشـمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قولـه: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَـبْلَ الْغُرُوبِ ﴾[٢]» ، رواه عـن إسماعيل بن أبى خالد عبد الله بن إدريس الأودى ويحيى بن سـعد القطـان وعـبد الرحمن بن محمد المحاربى وجرير بن عبد الحميد وعبيدة بن حميد وهشيم بن بشـير وعـلى بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبـيد وأخـوه يعـلى بـن عبـيد ووكـيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوى ويزيد بن هارون وإسماعـيل بن أبى خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حيى وورقاء بن عمرو وعمار ابـن رزيق وأبو الأغر سعيد بن بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخـو أبـى بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السـكرى وحسـين بـن واقد ومعتمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سـفيان ومندل بن على وأخوه حبان بن على وعمرو بن مرثد وعبد الغفار بن القاسم ومحمد بن بشـر الجريرى ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلى بن القاسم الكندى وعبيدة بن الأسود الهمدانـى وعـبد الجـبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة والصباح بن محـارب ومحمـد بن عيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفـى وعـثام بـن عـلى وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمى ومحمد بن يزيد الواسطى وعمـرو بـن هشـام ومحمـد بـن مروان ويعلى بن الحارث المحاربى وشعيب بن راشد والحسن بن ديـنار وسـلام بـن أبى مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن أبى حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام ابـن سـلم وأبـو مقـاتل بـن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن شمـر الجعفـى وعمـرو بـن عبد الغفار الفقهمى وسيف بن هارون البرجمى أخو سنان وعابد بن حبيـب ومـالك ابـن سـعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولى ابن عوانة وخالد بن يزيد العصرى وعـبد الله بـن موسـى وخـالد بن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقى ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم

---

(١) البخارى فى مواقيت الصلاة: ب(١٦): حديث (٥٤٤) ، ومسلم فى المساجد: ب(٣٧): حديث (٢١١) .
(٢) آية (٣٩) سورة (ق) .

ابـن طهمـان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبـى أنيسـة ، وجـوده فقـال: « **فسـتعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر**» وأبو شهاب الحناط وقال: «**وسترون ربكم عيانا**» وجارية بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفـر الـرازى والحسن بن أبى جعفر والوليد بن عمرو وأخه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبرى ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن يحيى وزفر بن الهذيل والقاسم ابـن معـن ، تـابع إسماعـيل بـن أبـى خـالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطـارق بـن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلى وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبـى حـازم عن جرير ، وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبى خالد وشهد إسماعيل بن أبى خـالد عـلى قـيس وشـهد قـيس بن أبى حازم على جرير بن عبد الله وشهد جرير بن أبى حازم عـبد الله عـلى رسـول الله ﷺ فـإنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شىء أقر لأعيـنهم مـنه ، وشـهدت الجهمـية ، والفرعونـية ، والرافضـة ، والقـرامطة ، والباطنـية ، وفروخ الصـابئة ، والمجـوس ، والـيونان: بكفـر من اعتقد لك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم ، وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها ، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون .

فصل

حديث صهيب

وأمـــا حديث صهيب فـرواه مسلم فى صحيحه[1] من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عـبد الـرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عـــز وجل: تريدون شيئا أزيدكم؟**» يقولـون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من الـنار؟ قـال: فيكشـف الحجـاب ، فمـا أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآيـة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ وهذا حديث رواه الأئمة الأربعة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

فصل

حديث عبد الله بن مسعود

وأما حديث عبد الله بن مسعود ، فقال الطبرانى[2]: حدثنا محمد بن النضر الأزدى وعبد الله بـن أحمـد بـن حنـبل والحضرمى قالوا: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبى كريمة الحرانى حدثنا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (صحيح) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٤) ، والترغيب والترهيب (٤/ ٣٩١) ، والاتحاف(١٠/ ٤٨٣) .

محمد بن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: « **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله عز وجل فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى، ثم ينادى مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون فى الدنيا، أليس ذلك عدلا من ربكم؟** » قالوا: بلى ، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا ، قال: فينطلقون ، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون ، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون ، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير ، ويبقى محمد ﷺ وأمته ، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: « **ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس** » ، قال ، فيقولون: إن لنا إلها ما رأيناه بعد ، فيقول: « **هل تعرفونه إن رأيتموه؟** » فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه ، قال فيقول: « **ما هى؟** » فيقولون: يكشف عن ساقه ، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدا ويبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول: « **ارفعوا رؤوسكم** » فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم: من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم: من يعطى نورا أصغر من ذلك ، ومنهم: من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه ، ومنهم: من يعطى نورا أصغر من ذلك ، حتى يكون آخر رجل يعطى نوره على إبهام قدمه يضىء مرة ويطفأ مرة ، فإذا أضاء قدم قدمه ومشى ، وإذا طفأ قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى أثره كحد السيف دحض مذلة قال: ويقول: « **مروا** » فيمرون على قدر نورهم منهم: من يمر كطرف العين ومنهم: من يمر كالبرق ، ومنهم: من يمر كالسحاب ، ومنهم: من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم: من يمر كالريح ، ومنهم: من يمر كشد الفرس ، ومنهم: كشد الرحل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلص وقف عليهم ثم قال: الحمد لله لقد أعطانى الله ما لم يعط أحدا إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها قال: فينطلق إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلنى الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له: « **أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟** » فيقول: يا رب اجعل بينى وبينها حجابا لا أسمع حسيسها . قال: فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك ، كأنما الذى هو فيه حلم ، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل فيقول: « **فلعلك إن أعطيتكه**

تســأل غيره!» فيقول: وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله، فقال: ويرى أو يرفع لــه أمام ذلك منزل آخر ليدخله. فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل: **«فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره»**، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله قال: ويرى أو يرفع لـه أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله: **«فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره»**، قال: لا وعزتك لا أسأل غيره. وأى منزل أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول الله عز وجل: **«مالك لا تسأل؟»** فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل: **«ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟»** فيقول: أتستهزئ بى وأنت رب العزة، **«فيضحك الرب عز وجل من قوله»**، قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت؟ فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب عز وجل، **«لا، ولكنى على ذلك قادر، سل»**، فيقول: ألحقنى بالناس فيقول: الحق بالناس فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع لــه قصر من درة فيخر ساجدا فقال لـه: **«ارفع رأسك مالك؟»** فيقول: رأيت ربى أو تراءى لى ربى، فيقال لـه: إنما هو منزل من منازلك. قال: ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال لـه: مه مالك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول لـه: إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال: فينطلق أمامه حتى يفتح لــه القصر قال: وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها مفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطن بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة فيها سبعون بابا كل يفضى إلى جوهرة خضراء مبطنة حمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت عليه قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فتقول لـه: والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا. فيقال لـه: أشرف قال: فيشرف، فيقال لـه: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب، عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله - عز

وجل - جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد؛ حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واها لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والذي نفسي بيده إن جهنم يوم القيامة زفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: **«رب نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»** .

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد، حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرى قال: حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمير، حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله، ورواه من طريق عبد السلام بن حرب، حدثنا الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة .

فصل

حديث علي

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال: ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1]»** .

---

(١) الكنز (٤٦١٤) .

فصل

حديث أبي موسى

وأمـا حديث أبي موسى ففـى الصحيحين[١] عنه عن النبى ﷺ قال: "جنتان من فضة آنيتهما ومـا فـيهما ، وجنـتان مـن ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن" .

وقـال الإمام أحمد[٢]: حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيـد عـن عمـارة عـن أبى بردة عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ **«يجمع الله الأمم فى صعيد واحـد يـوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع بين خلقه، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فـيقول: مـا تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم إنه لا عدل لـه، فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهوديا أو نصرانيا مكانه»** .

وقـال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: **«يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة»**[٣] .

وذكـر الدارقطنى من حديث أبان بن أبى عياش عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: **«يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم بالحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل**[٤] .

فصل

حديث عدي بن حاتم

وأمـا حديث عدى بن حاتم ففـى صحيح البخارى[٥] قال: بينا أنا عند النبى ﷺ إذ أتى إليه رجـل فشـكا إلـيه الفاقـة ثـم أتـى إلـيه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال: **« يا عدى هل رأيت الحيرة؟»** قلـت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حـتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ، قلت: فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيىء الذين

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) (صحيح) أحمد (٤/٤٠٧) والصحيحة (٧٥٥) .
(٣) (صحيح) أحمد (٤/٤٠٧) .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) البخارى فى المناقب: ب(٢٥): حديث (٣٥٩٥) .

سعروا البلاد؟ ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت: كسرى بن هرمز؟ « قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره إلا جهنم» .

قال عدى بن حاتم: سمعت النبي ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة» ، قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ .

فصل

حديث أنس

أما حديث أنس بن مالك ، ففي الصحيحين[1] من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي لفظ فيلهمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الخلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله عز وجل، قال: فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا ﷺ ، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله ﷺ : فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي،فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي فأشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع: فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة،

---

(١) رواه البخاري في التفسير: حديث (٤٤٧٦) ، ومسلم في الإيمان: ب(٨٤): حديث (٣٢٢) .

قال: فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة. قال: فأقول: يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود» .

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: «يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا، فذكر الحديث إلى أن قال: فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجدا»[1] وذكر الحديث .

وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث ، فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجدا ، وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، فآتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجدا . وساقه ابن خزيمة بسياق طويل ، وقال فيه: فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدا .

ورؤية النبى ﷺ لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفى حديث أبى هريرة: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة، فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا»[2] .

وقال الدارقطنى حدثنا محمد بن إبراهيم النسائى العدل بمصر؛ حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضى ، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد ، أخبرنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: النظر إلى وجه الله عز وجل.

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهانى ومحمد بن جعفر بن أحمد الطبرى ومحمد بن على بن إسماعيل الأيلى قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائنى ، حدثنا سلام بن سليمان ، حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث بن عثمان بن أبى حميد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتانى جبريل وفى كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء فقلت: ما هذه التى فى يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعا لك، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) (صحيح) أحمد (٣/ ١٤٤) .

هــو لــه قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس لــه بقسم إلا ادخر لــه فى آخرته ما هو أعظم منه، فقلت: ما هــذه النكتة التى هى فيها؟ قال: هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربــك اتخــذ فى الجنة واديا أفيح فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرســيه فــيحف الكرســى بكراسى من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف الكراســى بمــنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلــك المنابر ثم ينــزل أهل الغرف من غرفهم، حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم عز وجل يقــول: أنــا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى، فسلونى. فيسألونه حتى تنــتهى رغبــتهم فيفتح لهم فى ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقــدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون، ويرجع أهــل الغــرف إلى غــرفهم وهى لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها فيها وأنهارهــا مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة[1] .

هــذا حديــث كــبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعى مسنده، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال: حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الأزهر عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه وقد تقدم لفظه .

ثـم قـال الشـافعى: أنبأنا إبراهيم قال: حدثنى أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فـيه أشـياء . ورواه محمـد بن إسحاق قال: حدثنى ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن أنـس بـه وقـال فـيه: ثـم يتجـلى لهـم ربهـم عـز وجـل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وذكر باقى الحديـث . ورواه عمرو بن أبى قيس عن أبى ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنـس وجـوده وفيه: فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور ، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب ، قال: ثم يتجلى لهم ربهم تـبارك وتعـالى ، فينظرون إليه فيقول: أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى . وهذا محل كرامـتى سـلونى . فيسألونه الرضا ، قال رضاى أنزلكم دارى ، وأنالكم كرامتى . سلونى فيسألونه الرضا ، قال: فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم وذكر الحديث .

ورواه عـلى بـن حـرب: حدثنا إسحاق بن سليمان ، حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمـير ورواه الحسـن بـن عـرفة حدثـنا عمـار بن محمد بن أخت سفيان الثورى عن ليث بن أبى

---

(١) سبق تخريجه .

سليم عن عثمان ، وقال فيه: ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم.

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال: سمعته يقول: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء ، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة ، يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدا ولأمتك من بعدك ، قال: قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة . وهو سيد أيام الدنيا ، ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد ،

قال: قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن الله اتخذ في الجنة واديا أفيح[1] من مسك أبيض . فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي . وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر . وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب . عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير . حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي . فإذا اطمأنوا فيه جلوسا بعث الله عليهم ريحا يقال لها المثيرة ، فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم ، وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل ، فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة ، فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري . فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود ، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء ، سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم ، فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا ؟ ، ألست أعنتنا على سكرات الموت ، وآنست منا الوحشة في ظلمة القبور ، وآمنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلت عثراتنا ، وسترت علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك . وتجليت لنا بنورك فأي خير لم تفعله بنا؟ .

فيعود الله – عز وجل – فيناديهم بصوته فيقول: أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي . وأتممت عليكم نعمتي فسلوني .

فيقولون: نسألك رضاك فيقول: برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم . وسترت عليكم القبيح من أموركم و أدنيت مني جواركم . وأسمعتكم لذاذة منطقي ، وتجليت لكم بنوري . فهذا محل كرامتي فسلوني . فيسألونه حتى تنتهي مسألتهم ثم يقول – عز وجل –: سلوني . فيسألونه

---

(١) أي: واسع .

حتى تنتهى رغبتهم ، ثم يقول - عز وجل -: سلونى . فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة .

قال أنس: فقلت بأبى وأمى يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟

قال: كقدر الجمعة إلى الجمعة قال: ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شىء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل ليزيدهم من مزيد فضله وكرامته . قال أنس: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه أحدٌ .

ورواه الدارقطنى أيضا عن أبى بكر النيسابورى قال: أخبرنى أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال: أخبرنى محمد بن شعيب قال: أخبرنى عمر مولى عفرة عن أنس . ورواه محمد بن خالد بن خلى ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا صفوان قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ . ورواه أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبى عثمان عن أنس . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب: حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبى حميد عن أنس ، ورواه عن الأسود بن عامر قال: ذكر لى عن شريك عن أبى اليقظان عن أنس . ورواه ابن بطة فى الإبانة من حديث الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة وسيأتى سياقه وقد جمع ابن أبى داود طرقه .

فصل

حديث بريدة

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشى ، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»**[1] .

فصل

حديث أبي رزين

وأما حديث أبى رزين العقيلى فرواه الإمام أحمد[2] من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبى رزين قال: قلنا: يا رسول الله ، أكلنا يرى ربه عز

(١) (حسن) مجمع الزوائد (١٠/٣٤٧) .
(٢) (حسن) أحمد (٤/١١) .

وجل يوم القيامة؟ قال: « **نعم** » ، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: « **أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟** » قلنا: نعم ، قال: « **الله أكبر وأعظم** » . قال عبد الله قال أبي والصواب حدس .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة به . فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما ، وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف ، وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة ، هكذا قال البخاري ، وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل: هما اثنان ، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة . والصحيح الأول . وقال ابن عبد البر: من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر ابن صبرة .

فصل

حديث جابر

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد[1]: حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسأل عن الورود فقال: نجيء يوم القيامة على كذا وكذا ، أي فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: ومن تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا ، فيقول: أنا ربكم ، فيقولون: حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة . فيجعلون بفناء أهل الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها .

رواه مسلم في صحيحه[2] وهذا الذي وقع في الحديث من قوله . على كذا وكذا . قد جاء مفسرا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: نجيء يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق .

وقال عبد الرزاق[3]: أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثني ابن جريج أخبرني زياد بن سعد أن

---

(١) (صحيح) أحمد (٣/ ٣٨٣) .
(٢) مسلم في الإيمان: ب(٨٤): حديث (٣١٦) .
(٣) الكنز (٤٦١٥) .

أبا الزبير أخبره عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون لـه سجدا، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة»** .

وقال الدارقطني[١] أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس، حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال: حدثني ابن جريج عن أبا الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا»** ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد: حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم»**، فذكر الحديث، وفيه: فيقول: أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل لـه، قال: فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، فيخرون لـه سجدا[٢] .

وقال ابن ماجه في سننه[٣] حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره عليهم في ديارهم»** .

وقال حرب في مسائله: حدثنا يحيى بن أبي حزم حدثنا يحيى بن أبي عاصم العباداني فذكره . وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضا من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف. فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا قال: رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحا يقال لها: المثيرة، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم.**

---

(١) (صحيح) الصحيحة (٧٥٥) .
(٢) (صحيح) بنحوه الصحيحة (٧٥٦) .
(٣) (ضعيف) ابن ماجة في المقدمة: حديث (١٨٤) .

فيقول: مرحبا بالصادقين ومرحبا بالطائعين، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا، فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالى: ﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾» . رواه فى كتاب البعث والنشور ، وفى كتاب الرؤية قال: ما الرؤية يؤكد هذا الخبر ،

وقال الدارقطنى[1]: أنبأنا الحسن بن إسماعيل ، أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة» .

فصل

حديث أبي أمامة

وأما حديث أبي أمامة قال ابن وهب: أخبرنى يونس بن زيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى ابن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ يوما فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذره أمته وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول: أنا نبى ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول: أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وليقرأ بفواتح سورة أصحاب الكهف، وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغيث بالله تكن بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوما: يوما كسنة ويوما كشهر ويوما كجمعة ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح لرجل عند باب المدينة فيمسى قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا: فكيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام؟ قال: تقدرون فيها كما تقدرون فى الأيام الطوال»[2] ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرو به مختصرا .

---

(١) الموضوعات (١/ ٣٠٦ ، ٣٠٧) ، والخطيب (١٢/ ١٩) ، وابن عدى (٥/ ١٨٥٨) .
(٢) (صحيح) الحاكم (٤/ ٥٣٦ - ٥٣٧) .

فصل

حديث زيد بن ثابت

وأما حديث زيد بن ثابت ، فقال الإمام أحمد[١]: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثني أبو بكر قال: حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير ، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم ، أو أعتدي أو يعتدى علي ، أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا تغفره ، اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام . فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا ، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأن وعدك حق وأن لقاءك حق ، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور ، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي إنك أنت التواب الرحيم" رواه الحاكم في صحيحه .

فصل

حديث عمار بن ياسر

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال: "صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى ، قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: « **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة**

---

(١) أحمد (٥/ ١٩١) .

(٢) (صحيح) أحمد (٤/ ٢٦٤) .

الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ، وأخرجه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما[١] .

فصل

حديث عائشة

وأمـــا حديث عائشة ففـى صحيح الحاكم[٢] من حديث الزهرى عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «**يا جابر ألا أبشرك؟ قال: بلى بشرك الله بخير، قال: شعرت أن الله أحيا أباك فـــأقعده بين يديه فقال: تمن على عبدى ما شئت أعطكه قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك، فأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه قد سلف منى أنك إليها لا تـــرجع**» وهـو فـى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله . والترمذى[٣] فيه سياق أتم من هـذا عن جابر قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخـبرك مـا قـال الله عـز وجل لأبيك؟» قال: بلى ، قال: «ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكـلم أباك كفاحا . فقال: يا عبدى تمن على أعطك . قال: يا رب تحيني ، فأقتل فيك ثانية ، قال: إنـه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال: يا رب فأبلغ من ورائى . فأنزل الله عز وجل هذه الآيـة: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** ﴾[٤]» قـال الترمذى: هذا حديث حسن غريب قلت: وإسناده صحيح ورواه الحاكم فى صحيحه .

فصل

حديث عبد الله بن عمر

وأما حديث عبد الله بن عمر ، فقال الترمذى[٥]: حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عـن ثويـر بـن أبى فاختة وقال الطبرانى: حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عـن عـبد الملـك بن أبجر عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهـــل الجـــنة منـــزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منـــزلـــة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين**».

قـال الترمـذى: وروى هـذا الحديـث مـن غـير وجـه عـن إسـرائيل عن ثوير عن ابن عمر مـرفوعا ، ورواه عـبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر موقوفا . وروى الأشجعى

---

(١) ابن حبان (٣/ ٢١٣) ، والحاكم (١/ ٥٢٤) .
(٢) (موضوع) الحاكم (٣/ ٢٠٣) .
(٣) الترمذى (٣٠١٠) .
(٤) آية (١٦٩) سورة آل عمران .
(٥) سبق تخريجه .

عبيد الله بن سفيان الثورى عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه ، حدثنا بذلك أبو كريب أنبأنا الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه . قلت: ورواه الحسن بن عرفة بن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا وزاد فيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] .

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى**»[2] . ورواه الدارقطنى عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقى عن إبراهيم بن خرزاذ عنه .

وقال الدارقطنى حدثنا أحمد بن سليمان و أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة ؟** » ، قالوا: بلى يا رسول الله ، « **فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم، فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل، فيقول: يا أهل الجنة هللونى وكبرونى وسبحونى بما كنتم تهللونى وتكبرونى وتسبحونى فى دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل للرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدنى. فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل**»[3] وقال عثمان بن سعد الدارمى فى رده على بشر المريسى ، حدثنا أحمد بن يونس عن أبى شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبى ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن، فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن**» .

فصل

حديث عمارة بن روبية

وأما حديث عمارة بن روبية فقال ابن بطة فى الإبانة: حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصى ، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائى ، حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: نظر النبى ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون فى رؤيته،**

---

(١) آية (٢٣) سورة القيامة .

(٢) الدر المنثور (٦/ ٢٩٢) ، والكنز (٣٩٢١٩) .

(٣) الترغيب (٤/ ٥٠٦) ، والمطالب (٤٦٩٤) .

فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا»[١] .

قال ابن بطة: وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور ، حدثنا المغيرة ، حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «**نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها، فافعلوا**»[٢] .

فصل

حديث سلمان الفارسي

وأما حديث سلمان الفارسي: فقال أبو معاوية: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: يأتون النبي ﷺ، فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك ، قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول: نعم أنا صاحبكم فيخرج يجوس الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد . قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له الحديث[٣] .

فصل

حديث حذيفة

وأما حديث حذيفة بن اليمان: فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون ، حدثنا يزيد بن جمهور ، حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري ، حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان ، وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيدة العصفري قالا: حدثنا يحيى بن كثير ، حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن قال: قال رسول الله ﷺ «**أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء، قال: قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قال: قلت: وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة، قال: قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة. أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرا إلا أعطاهما إياه. وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله**

---

(١) البخاري (١/ ١٤٥) ، ومسلم في المساجد (٢١١) ، وأحمد (٤/ ٣٦٠) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .

تبارك وتعالى إذا صيَّر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة فى الحين الذى يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل، فى كثبان من المسك. قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحا تدعى المثيرة، وتثير عليهم أثابير المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى، قال: ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادى الذين أطاعونى فى الغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا، قال: فيرجع الله تعالى فى قولهم أن يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رضينا عنك فارض عنا، قال فيرجع الله عز وجل في قولهم: أن يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليه. قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم تراد، تراد وأمكن النور وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها. قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها!! قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم قال: فهم فى كل سبعة أيام يتقلبون فى مسك الجنة ونعيمها» . قال: وذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن مهدى: حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد السعدى عن حذيفة فى قوله عز وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] قال: النظر إلى وجه الله - عز وجل -[2] . قال الحاكم: وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع .

(١) آية (٢٦) سورة يونس .
(٢) (صحيح) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

فصل

حديث ابن عباس

وأما حديث ابن عباس: فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب فيقول: من أنت؟ فأقول: أنا محمد فآتي ربي وهو على كرسيه أو على سريره، فيتجلى لي ربي فأخر له ساجدا»** [1] ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال: عن أبي سعيد بدل ابن عباس. وقال أبو بكر ابن أبي داود: حدثنا عمي محمد بن الأشعث: حدثنا ابن جبير قال: حدثني أبي جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يرون ربهم -تبارك وتعالى- في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا»** [2].

فصل

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: فقال الصنعاني: حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال: قرأت على محمد بن إسحاق، حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عن عبد بن عمرو قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا فإن منهم الملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[3].

فصل

حديث أبي بن كعب

وأما حديث أبي بن كعب: فقال الدارقطني: حدثنا عبد الصمد بن علي، حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال: حدثني **قحطبة بن علاقة**، حدثنا أبو خلدة عن أبي العالية عن أبي بن

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) الشريعة للآجري (٢٦٥).
(٣) ابن عساكر (٣/ ١٣٣).

كعب عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[١] وأما حديث كعب بن عجرة، فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: ألزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[٢] .

فصل

حديث فضالة بن عبيد

وأما حديث فضالة بن عبيد: فقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا محمد بن المهاجر عن أبى الدرداء أن فضالة يعنى ابن عبيد كان يقول: **أللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة**[٣] .

فصل

حديث عبادة بن الصامت

وأما حديث عبادة بن الصامت: ففى مسند أحمد[٤] من حديث بقية: حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: «**قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال رجل قصير أفحج[٥] جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء[٦]. فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» . **وأما حديث الرجل:** من أصحاب النبى ﷺ فقال الصنعاني: حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدى بن أرطأه يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بنى أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت وتعالى يا بنى نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلانا - نسى عباد اسمه - ما بينى وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم من ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى، قال: وملائكة سجود منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ،**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (صحيح) ابن أبى عاصم (٤٢٧) .

(٤) (صحيح) أحمد (٥/ ٣٢٤) .

(٥) أفحج: أى بعيد ما بين الفخذين . اللسان: فحج .

(٦) ناتئة: بارزة من موضعها من غير أنْ تنفصل . جحراء: أى غائرة فى نقرتها . المنجد (نتأ ، جحر) .

وصـــفوف لم ينصرفوا عن مصافهم، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك»[1] .

جملة من أقوال صحابة رسول الله

وهناك بعض ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم .

قـول أبـى بكـر الصديق - رضى الله عنه - قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾ فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قـول عـلى بـن أبـى طالب - رضى الله عنه - قال عبد الرحمن بن أبى حاتم: حدثنا ميسرة الهمدانـى ، حدثـنا صالح بن أبى خالد العنبرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق الهمدانى عن عمـارة بـن عبيد قال سمعت عليا يقول: "من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى فى جنته" .

قـول حذيفـة بن اليمان - رضى الله عنه - قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة . قال: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قـول عبد الله بن مسعود: وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عـن عـبد الله بن عكيم قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذا - المسجد مسجد الكوفة - يـبدأ بالـيمين قـبل أن يحدثـنا فقال: "والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كمـا يخلـو أحدكـم بالقمـر لـيلة البدر ، قال: فيقول ما غرك بى يا ابن آدم ؟ ثلاث مرات ، ماذا أجبت المرسلين؟ ثلاثا ، كيف عملت فيما علمت؟"[2] .

وقـال ابـن أبـى داود: حدثـنا أحمـد بـن الأزهـر ، حدثـنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبى عن عكـرمة قـال: قـيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال: نعم ، وقال أسباط بـن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود: "الزيادة" النظر إلى وجه الله عز وجل .

قـول معـاذ بـن جـبل: قـال عبد الرحمن بن أبى حاتم: انبأنا إسحاق بن أحمد الخراز ، حدثنا إسـحاق بـن سـليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم بن ميمون بن أبى حمزة قال: "كنت جالسا عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال لـه أبو عفيف فقال لـه شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف ألا تحدثنا

---

(١) الخطيب (١٢/ ٣٠٧) ، والاتحاف (٩/ ١٢٦) ، وابن كثير (٨/ ٢٩٧) .

(٢) سبق مختصرا .

عن معاذ بن جبل ، قال: بلى ، سمعته يقول: يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى أين المتقون؟ فيقومون فى كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله عنهم ، ولا يستتر ، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة؟ .

وقول أبى هريرة - رضى الله عنه- قال ابن وهب: أخبرنى ابن لهيعة عن أبى النصر أن أبا هريرة كان يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت .

قول عبد الله بن عمر: قال حسين الجعفى عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله فى كل يوم مرتين[1] .

قول فضالة بن عبيد ذكر الدارمى عن محمد بن مهاجر عن أبى حليس عن أبى الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك وقد تقدم .

قول أبى موسى الأشعرى: قال وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة عن أبى موسى قال: الزيادة: النظر إلى وجه الله .

وروى يزيد بن هارون وابن أبى عدى عن التيمى عن أسلم العجلى عن أبى مراية عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم ، فقال: ما صرف أبصاركم عنى؟ قالوا: الهلال ، قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة؟

قول أنس بن مالك: قال ابن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن يمان ، حدثنا شريك عن أبى اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة .

قول جابر بن عبد الله ، قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبى خالد عن الحسن عن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهما بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليهما ، ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا له سجدا فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده[2] .

قال الطبرى: فتحصل فى الباب مما روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم: على ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد ، وجرير ، وأبو موسى ، وصهيب ،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه بنحوه .

وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدى بن حاتم، وأبو رزين العقيلى، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة بن الحصيب، ورجل من أصحاب النبى ﷺ.

وقال الدارقطني: أخبرنا محمد بن عبد الله، حدثنا جعفر بن محمد الأزهر، حدثنا مفضل بن غسان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندى سبعة عشر حديثا فى الرؤية كلها صحاح.

وقال البيهقى: روينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبى موسى وغيرهم، ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم فى ذلك إلينا، كما أنهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرائع والأحكام نقل اختلافهم فى ذلك إلينا، كما أنهم اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله - سبحانه وتعالى - بالأبصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين.

أقوال التابعين

وأما التابعون ونزل الإسلام وعصابة الإيمان، من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله - عز وجل -.

قال سعيد بن المسيب: الزيادة: النظر إلى وجه الله، رواه مالك عن يحيى عنه.

وقال الحسن: الزيادة: النظر إلى وجه الله رواه ابن أبى حاتم عنه.

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: الزيادة، النظر إلى وجه الله تعالى، رواه حماد بن يزيد عن ثابت عنه. وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير بن ليث عنه. وقاله عكرمة ومجاهد، وقتادة والسدى والضحاك وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد: فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

وقال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت

أنفسهم في الدنيا .

وقال الأعمش ، وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية .

وقال كعب: ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك . فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من قوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئا إلا أعطاهم حتى يرجعوا ، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا ، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك .

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة .

وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة .

وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى .

وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله - عز وجل - لهم: إنه قد بقى من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوا من ذلك بشيء ، فالحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله ربهم عز وجل: ﴿ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾[1] بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى ، قال على بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾[2] قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه خالقه: فليعمل عملا صالحا ولا يشرك به أحدا .

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله - عز وجل - أحدا إلا عذبه ثم قرأ: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[3] قال: بالرؤية . ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم .

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبد

---

(١) سبقت .
(٢) آية (١١٠) سورة الكهف .
(٣) آية (١٥ - ١٧) سورة المطففين .

الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وإن أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا؟ .

وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التى فى داره فجلس وسطها كأنه مغضب، فقال: حدثنا سفيان بن سعد، ومنذر الثورى، وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حى، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله - تبارك وتعالى - يُرَى فى الآخرة حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعنى بشر المريسى .

المنقول عن الأئمة

فى المنقول عن الأئمة الأربعة، ونظرائهم، وشيوخهم، وأتباعهم على طريقهم ومنهاجهم:

ذِكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصرى: حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم - عز وجل - يوم القيامة بأعينهم.

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله -عز وجل-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أتنظر إلى الله -عز وجل-؟ قال: نعم، قلت: إن أقواما يقولون: تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرا وقد قال موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ .

وذِكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف .

ذِكر قول ابن الماجشون: قال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى على عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامته التى أكرم الله بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ . فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلح بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم .

ذِكر قول الأوزاعى، ذكر ابن أبى حاتم عنه قال: إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهما

وأصحابه عن أفضل الثواب الذى وعد الله أولياءه حين يقول: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعد أولياءه .

ذِكر قول الليث بن سعد: قال ابن أبى حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث حدثنا الهيثم ابن خارجة قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعى ، وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية . فقالوا: تمر بلا كيف .

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبرى وغيره عنه أنه قال: من لم يقل: إن القرآن كلام الله وإن الله يرى فى الجنة فهو جهمى ، وذكر عنه ابن أبى حاتم أنه قال: لا يصلى خلف الجهمى ، والجهمى الذى يقول: لا يرى ربه يوم القيامة .

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبى حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط فى الزيادة: أنها النظر إلى وجه الله ، فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه .

قال عبد الله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبى حاتم عنه أن رجلا من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن خدارا . بآن جهان جون بيند ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا يعقوب بن إسحاق قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال ابن المبارك: بالرؤية .

قول وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبى حاتم عنه أنه قال: يراه - تبارك وتعالى - المؤمنون فى الجنة ولا يراه إلا المؤمنون .

قول قتيبة بن سعيد: ذكر ابن أبى حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به فى الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ فى الرؤية

قول أبى عبيد القاسم بن سلام ذكر ابن بطة وغيره أنه ذُكرت عنده هذه الأحاديث التى فى الرؤية فقال: هى عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا: فسروها قلنا: لا نفسر منها شيئا ولكن نمضيها كما جاءت .

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد قال المروزى: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها بالطلاق وبالمشى أنها حق .

قول محمد بن إدريس الشافعى قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ لما حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياء الله يرونه فى الرضا ، قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وتقول به؟ قال: نعم وبه أدين الله ،

ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله - عز وجل - لما عبده .

وقال ابن بطة: حدثنا ابن الأنبارى حدثنا أبو القاسم الأنماطى صاحب المزنى قال: قال الشافعي - رحمه الله : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل: قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا - تبارك وتعالى - يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح . قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه: صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف الرأى .

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: تقول بالرؤية؟ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمى ، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عنى رجل أنه قال: إن الله لا يرى فى الآخرة فغضب غضبا شديدا ، ثم قال: من قال: إن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس ، أليس يقول الله -عز وجل-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقال: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ .

وقال أبو داود: سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء فى الرؤية فغضب وقال: من قال: إن الله لا يرى فهو كافر .

وقال أبو داود: وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى العطوف: إن الله لا يرى فى الآخرة ، فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال: أخزى الله هذا .

وقال أبو بكر المروزى: قيل لأبى عبد الله : تعرف عن يزيد بن هارون عن أبى العطوف: عن أبى الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف ترانى ، وإن لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فغضب أبو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين فى وجهه ، وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل ، وقال: أخزى الله هذا . ولا ينبغى أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به . وقال: هذا جهمى كافر خالف ، ما قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقال: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أخزى الله هذا الخبيث .

قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر .

وقال أبو طالب: قال أبو عبد الله: قول الله - عز جل -: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ ﴾[1] ، ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[1] فمن قال: إن الله لا

(١) آية (٢١٠) سورة البقرة .

يرى فقد كفر .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي ، والجهمي: كافر .

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان: قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم ، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا .

قال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل فى أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم . قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمي فقد كفر ، ورد على الله وعلى الرسول ، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله ، قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت .

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: فأما من يقول: إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي ، قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا .

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا - أحاديث الرؤية - وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين .

وقال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه فى الآخرة وقال: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله -سبحانه وتعالى- : أن من شاء ومن أراد ؛ يراه ، والكفار لا يرونه ، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

والأحاديث التى تروى فى النظر إلى الله تعالى حديث جرير بن عبد الله وغيره "وتنظرون إلى ربكم" أحاديث صحاح وقال: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ النظر إلى وجه الله تعالى . قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق: أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة

---

(١) آية (٢٢) سورة الفجر .

لا نشك فيه ولا نرتاب .

قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب . فإن تاب وإلا قتل .

قال حنبل: قلت: لأبى عبد الله فى أحاديث الرؤية فقال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبى ﷺ بإسناد جيد أقررنا به ، قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبى ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1] .

قول إسحاق بن راهويه: ذكر الحاكم ، وشيخ الإسلام غيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التى يروونها فى النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة ، والغسل ، والصلاة ، والأحكام ، وذكر أشياء فإن يكونوا فى هؤلاء عدولا ، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع

فقال: شفاك الله كما شفيتنى أو كما قال .

قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة فى كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

قول المزنى: ذكر الطبرى فى السنة عن إبراهيم عن أبى داود المصرى قال: كنا عند نعيم بن حماد فقال نعيم للمزنى: ما تقول فى القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله . فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق . وتقول: إن الله يُرَى يوم القيامة؟ قال: نعم . فلما افترق الناس قام إليه المزنى فقال: يا أبا عبد الله شهرتنى على رؤوس الناس ، فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك .

قول أهل اللغة

قول جميع أهل اللغة: أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول فى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾[2] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة ، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم ، وبالتواتر عن النبى ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة: فحديث أنس فى قصة حديث بئر معونة: إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا[3] . وحديث عبادة ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وابن مسعود: « من

---

(١) آية (٧) سورة الحشر .

(٢) آية (٧٦ ، ٧٧) سورة الأحزاب .

(٣) البخارى فى الجهاد: ب(١٨٤) ، وأحمد (٣/ ١٠٩) .

أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[1] . وحديث أنس: «إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله»[2] . وحديث أبى ذر: «لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لقيتك بقرابها مغفرة»[3] . وحديث أبى موسى: «من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة»[4] وغير ذلك من أحاديث اللقاء التى طردت كلها بلفظ واحد .

(فى وعيد منكرى الرؤية)

قد تقدم قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[5] وقول عبد الله بن المبارك: ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال بالرؤية .

وروى مسلم فى صحيحه[6] من حديث أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فيها سحابة؟» قالوا: لا ، قال: «هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟» قالوا: لا ، قال: «فوالذى نفس محمد بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: » أى قل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتُرفع؟ فيقول: بلى أى ربى ، فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟! فيقول: لا ، فيقول: اليوم أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقى الثانى فيقول: أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتُرفع؟ فيقول: أى ربى ، فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا ، فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول: يا رب: آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت ، وصمت ، وتصدقت ، ويثنى بخير ما استطاع . فيقول: ههنا إذا ، ثم يقال: الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه فيختم على فيه ، ويقال لفخذه: انطق ، فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق ، وذلك الذى يسخط الله عليه» .

فاجمع بين قوله: فإنكم سترون ربكم: لمن ظن أنه غير ملاقيه فإنى أنساك كما نسيتنى . وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ، يحصل لك العلم بأن منكرى الرؤية أحق بهذا الوعيد .

---

(١) البخارى (٨/ ١٣٣) ، ومسلم فى الذكر والدعاء: حديث (١٤ ، ١٥) ، وأحمد (٢/ ٣١٣) .
(٢) البخارى (٥/ ٤١) ، ومسلم فى الإمارة: حديث (٤٨) ، وأحمد (٣/ ١١١) .
(٣) الترمذى (٣٥٤٠) ، وأحمد (٥٠/ ١٧٢) .
(٤) البخارى (١/ ٤٤) ، ومسلم فى الإيمان (١٥٢) ، وأحمد (٣/ ١٥٧) .
(٥) آية (١٥) سورة المطففين .
(٦) مسلم فى الزهد: فى المقدمة: حديث (١٦) .

ومن تراجم أهل السنة على الحديث: باب فى الوعيد لمنكرى الرؤية ، كما فعل شيخ الإسلام وغيره ، وبالله التوفيق .

فصل

قد دلَّ القرآن ، والسنة المتواترة ، وإجماع الصحابة ، وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان ، وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يُرى القمر ليلة البدر صَحْوًا ، وكما تُرى الشمس فى الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة ، فلايمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم ، ولم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصائبة ، والفلاسفة ، والمجوس ، والفرعونية بطل الشرع ، والقرآن ، فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة ، والذى بلغها هو الذى بلغ الدين .

فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين ، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلايجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمدا رسول الله أبدا .

و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[1] .

والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر .

والثانى: من يزعم أنه لايرى فى الآخرة البتة ، ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين . وبالله التوفيق .

* * * * * *

(١) آية (٤٣) سورة الأعراف .

الباب السادس والستون
فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ﴾[1] وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء لم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا ، إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم ، ونحو ذلك . تعالى الله عما يقولون .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة . وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم ، وتقدم تفسير النبى ﷺ لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول: سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عيانا ، وفى هذا إثبات الرؤية . . والتكليم والعلو ، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة ، وتكفر القائل بها .

وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبى ﷺ: **«ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟»** الحديث .

وتقدم حديث عدى بن حاتم: **«ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة»** ؛ وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه يقول الرب - تبارك وتعالى - للعبد: **« ألم أكرمك وأسودك؟»** الحديث ، وحديث بريدة: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب»** الحديث . وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارا .

وبالجملة: فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم .

قال البخارى فى صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة . وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى ، وتكليمه لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به ، والله المستعان .

* * * * * * *

---

(١) آية (٧٧) سورة آل عمران .

الباب السابع والستون
فى أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1] أى: مقطوع . ولا تنافى بين هذا وبين قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ . واختلف السلف فى هذا الاستثناء . . فقال معمر عن الضحاك: هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، يقول سبحانه: إنهم خالدون فى الجنة ما دامت السماوات والأرض إلا مدة مكثهم فى النار .

قلت: وهذا يحتمل أمرين

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء .

والثانى: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه .

وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف . وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص .

وقالت فرقة أخرى: هو استثناء . استثناء الرب تعالى ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه . بل تجزم بضربه .

وقالت فرقة أخرى: العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله ومع ما هو أكثر منه ، كان معنى إلا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا: سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض . هذا قول الفراء وسيبويه: يجعل ﴿ إِلاَّ ﴾ بمعنى سوى . قالوا: ونظير ذلك أن تقول: لى عليك ألف إلا ألفين اللذين قبلها أى سوى الألفين .

قال ابن جرير: وهذا هو أحب الوجهين إلى ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ . قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك دارى حولا إلا ما شئت: أى سوى ما شئت ، أى: لكن ما شئت من الزيادة عليه .

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدى احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة

---

(١) آية (١٠٨) سورة هود .

إلا بمقدار إقامتهم فى البرزخ .

وقالت فرقة أخرى: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاما لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لنبيه: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ وقوله: ﴿ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ وقوله: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ونظائره . . وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان ولم يشأ لم يكن .

وقالت فرقة أخرى: المراد بمدة دوام السماوات والأرض فى هذا العالم ، فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه . ولعل هذا قول من قال: إن إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم . وقالت فرقة أخرى:: ما بمعنى من كقوله: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ والمعنى: إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على ذلك القول من المدة ، وعلى هذا القول من الأعيان .

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها ، وهما باقيتان أبدا وقوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم فى البرزخ والموقف ، قال الجعفى: سألت عبد الله ابن وهب عن هذا الاستثناء ، فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم فى الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس .

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم فى الدنيا وهذه الأقوال متقاربة .

ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت إلا وقتا يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى موقف القيامة وعلى الصراط ، وكون بعضهم فى النار مدة . وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ محكم ، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] وقوله: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ .

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الأرض بالتأبيد فى عدة مواضع من القرآن ، وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى . وهذا الاستثناء منقطع ، وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت . فهذه موتة تقدمت على حياتهم

الأبدية ، وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها . وبالله التوفيق .

وقد تقدم قول النبى ﷺ **«من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت»** وقوله: **«ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا»** .

وثبت فى الصحيحين[1] من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: **«يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال: يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت ؛ فيذبح بين الجنة والنار. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»** .

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان .

والقول الثانى: أنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبدا .

والقول الثالث: أن الجنة باقية أبدية والنار فانية .

ونحن نذكر هذه الأقوال ، ومن قالها ، وما احتج به أرباب كل قول ، ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله .

فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية ، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ، ولا من التابعين ، ولا أحد من أئمة الإسلام ، ولا قال به أحد من أهل السنة . وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض ، كما ذكره عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾ وهم يقولون: لا يدوم ، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ وهم يقولون ينفد ، ويقول الله -عز وجل-: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ .

قال شيخ الإسلام: وهذا قاله جهم[2] لأصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام ، وحدوث ما لم يخل من الحوادث ، وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم ، فرأى الجهم: أن ما يمتنع من الحوادث لا أول لها فى الماضى يمنع فى المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك

---

(١) البخارى: فى تفسير سورة (١٩) ، ومسلم فى الجنة: حديث(٤٠) .

(٢) جهم بن صفوان السمرقندي . أبو محرز . من موالي بني راسب . رأس الجهمية توفى ١٢٨هـ (معجم الأعلام) ١٧٥ .

وتعالى فى المستقبل ، كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى .

وأبو الهذيل[1] العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل ، لكن قال: إن هذا يقتضى فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئا بعد شيء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا فى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة .

وزعمت فرقة ممن وافقهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل ، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بلك ، وكأن هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعا فى العقل لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع فى العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول وجائزاتها ، فالسمع يجيء بالثانى لا بالأول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته .

والأكثرون الذين وافقوا جهما ، وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضى والمستقبل ، وقالوا: الماضى قد دخل فى الوجود بخلاف المستقبل ، والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى فى الوجود لا تقدير دخوله شيئا بعد شيء .

قالوا: وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيك درهما إلا وأعطيك بعده درهما آخر فهذا ممكن . والأول نظير أن يقول: لا أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما فهذا محال . وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى فى الماضى محال ووجوده فى المستقبل واجب ،

ونازعهم فى ذلك آخرون فقالوا: بل الأمر فى الماضى كهو فى المستقبل ولا فرق بينهما ، بل الماضى والاستقبال أمر نسبى فكل مايكون مستقبلا يصير ماضيا وكل ماض فقد كان مستقبلا فلايعقل إمكان الدوام فى أحد الطرفين وإحالته فى الطرف الآخر .

قالوا: وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل ربا قادرا فعالا فإنه لم يزل حيا عليما قديرا ، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعا عليه لذاته ، ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجديد شيء وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعا عليه . فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده ، ويكفى فى فساده أن الوقت الذى انقلب فيه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح .

---

(١) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي . مولى عبد القيس ، أبو الهذل العلاف . من أئمة المعتزلة . توفي / ٢٣٥هـ . معجم الأعلام / ٨٠٦ .

فإن قلتم: لا يصح كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوى ، وإن قلتم يصح ، قيل: وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية ، فما من زمن محقق أو مقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل ربا حميدا مالكا قادرا لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حيا مريدا عليما . والحياة والإرادة والعلم والقدرة تقضي آثارها ومتعلقاتها ، فكيف يعقل حي قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئا البتة؟

وكيف يجعل هذا أصل من أصول الدين ويجعل معيارا على ما أخبر به الله رسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به؟ وأما قول من فرق بأن الماضي قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه . فإن الذي يحصره الوجود من الحركات هو المتناهي ثم يعدم فيصير ماضيا ، كما كان معدوما لما كان مستقبلا ، فوجوده بين عدمين ، وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى ، فالذي صار ماضيا هو بعينه الذي كان مستقبلا ، فإن دلّ الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئا قبل شيء فهو بعينه دالّ على امتناعه شيئا بعد شيء .

وأما تفريقكم بقولكم: المستقبل نظير قوله: ما أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما ، فهذا ممكن . والماضي نظير قوله ما أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما ، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول: ما أعطيك درهما إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله . فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد إمكانه في المستقبل ولا فرق في العقل الصحيح بينها البتة ، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقا قالوا: بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم في الماضي .

وقال أهل الحديث: بل هما سواء في الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال منعوت بنعوت الجلال . وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر ، وأي كمال في أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه؟ .

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم: إن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه ، فجمعتم بين محالين: الحكم بإحالة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير تجدد سبب ، وزعمتم أن هذا هو الأصل الذي تثبتون به وجود الصانع وحدوث

العالم وقيامة الأبدان فجنيتم على العقل والشرع، والرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته، ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ربا محسنا .

والمقصود: أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين . والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات . وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول . قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢] فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته . وهذا وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك .

وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن سليمان بن عامر قال: سمعت الربيع بن أنس يقول: إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله -عز وجل- كقطرة من هذه البحور كلها . وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ الآية . وقوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ﴾ الآية، يقول سبحانه وتعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله، والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر، وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء، لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي؛ بل هو كما أثنى على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول: ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها .

وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف . والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين، قلت: ههنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدا بل من دخلها خلد فيها أبد الآباد وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها

---

(١) آية (١٠٩) سورة الكهف .

(٢) آية (٢٧) سورة لقمان .

لموافقتها لطبيعتهم ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى[(١)] . قال فى فصوصه: الثناء بصدق الوعد لا يصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[(٢)] لم يقل وعيده بل قال: ﴿ وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على إسماعيل بأن كان صادق الوعد وقد زال الإمكان فى حق الحق لما فيه من طلب المرجح:

فلم يبقَ إلا صادقُ الوعد وَحْدَه ::: وما لوعيد الحق عينٌ تُعاينُ
وإنْ دخلوا دارَ الشقاء فإنهم ::: على لَذَّةٍ فيها نعيمٌ مُباينُ
نعيمُ جنان الخلد والأمرُ واحدٌ ::: وبينهما عند التجلى تباينُ
يُسَمَّى عذابًا مِنْ عذوبة طعمه ::: وذاك له كالقشرِ والقشرُ صاينُ

هذا فى طرف والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب فى طرف ، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلا ، وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلا . والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله -عز وجل- .

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبى ﷺ فأكذبهم فيه وقد أكذبهم - الله تعالى - فى القرآن فيه .

فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[(٣)] . وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[(٤)] .

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به . وقد دلَّ القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده .

---

(١) ابن عربي : الشيخ الأكبر أبو بكر محيى الدين محمد بن على الطائي الأندلسي الملقب عند الصوفية بسلطان العارفين . ولد في مرسية بالأندلس سنة : ٥٦٠هـ . وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ . وله كتاب "فصوص الحكم" .

(٢) آية (٤٧) سورة إبراهيم .

(٣) آية (٨٠ ، ٨١) سورة البقرة .

(٤) آية (٢٣) سورة آل عمران .

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[2] وقال: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[3] . وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ وقال تعالى: ﴿ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ وهذا أبلغ ما يكون فى الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة .

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى نارا على حالها ليس فيها أحد يعذب . حكاه شيخ الإسلام . والقرآن والسنة أيضا يردان على هذا القول كما تقدم .

الخامس: قول من يقول: بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته . وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده فىذلك بين الجنة والنار .

السادس: قول من يقول: تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبى الهذيل العلاف إمام المعتزلة طردا لامتناع حوادث لا نهاية لها . والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم .

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمدا تنتهى إليه وتفنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم . وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور حدثنا سليمان ابن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال عمر: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج ، لكان لهم يوم يخرجون فيه .

وقال: حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿ لاَّبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ ، فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب ، وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة . وحسبك به

---

(١) آية (١٦٧) سورة البقرة .
(٢) آية (٤٨) سورة الحجر .
(٣) آية (٢٢) سورة الحج .
(٤) آية (٣٦) سورة فاطر .

وحماد يرويه عن ثابت، وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن، وحسبك بهذا الإسناد جلالة.

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به. وقال: وقال عمر بن الخطاب، ولوقدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيره أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه.

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبي ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون**» ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ وقوله: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه، لكن إذا انقضى أجلها وفنت كما تفنى الدنيا لم تبق نار ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول.

وفى تفسير على بن أبي طلحة الوالبى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾[1] قال: لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا.

قالوا: وهذا الوعيد فى هذه الآية ليس مختصا بأهل القبلة فإنه سبحانه قال: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[2].

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيها الكفار قطعا فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ**

---

(١) آية (١٢٨) سورة الأنعام.

(٢) آية (١٢٨، ١٢٩) سورة الأنعام.

مُشْـرِكُونَ ﴾ ، وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾[1] ، وقـال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِـيَاء مِـن دُونِـي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾[2] . وقـال تعالى: ﴿ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ ﴾[3] . وقال تعـالى: ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار .

فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله .

قـالوا: وقـول مـن قـال: إن إلاّ بمعـنى سوى أى: ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمـنه لا تخفـى منافرته للمستثنى والمستثنى منه ، وإن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد إلاّ لما قبـلها . قـالوا وقـول مـن قـال: إنـه لإخـراج مـا قـبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ ، والموقف ، ومدة الدنيا أيضا ، لا يساعد على وجه الكلام ، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله .

ولـيس المـراد الاسـتثناء قـبل الدخـول هـذا مـا لا يفهمـه المخاطـب . ألا ترى أنه سبحان يخاطـبهم بهذا فى النار حين يقولون: ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ فيقول لهم حينئذ: ﴿ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ ﴾ .

وفـى قولهـم: ﴿ رَبَّـنَا اسْـتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ نـوع اعتراف واستسـلام وتحسـر: أى اسـتمتع الجـن واسـتمتعنا بهم ، فاشتركنا فى الشرك ودواعيه وأسبابه ، وآثـرنا الاسـتمتاع عـلى طاعـتك وطاعة رسلك ، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا فى ذلك ولم نكتسب فيها رضاك ، وإنما كان غاية أمرنا فى مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض .

فـتأمل مـا فـى هـذا مـن الاعتراف بحقيقة ما هم عليه ، وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك الـيوم ، وعـلموا أن الـذى كـانوا فـيه فى مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يسـتمتعوا بعـبادة ربهـم ومعرفـته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته ؟ . وهذا من نمط قولهم: ﴿ لَوْ كُـنَّا نَسْـمَعُ أَوْ نَعْقِـلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ وقولـه: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ وقولـه:

---

(١) آية (٢٠١) سورة الأعراف .
(٢) آية (٥٠) سورة الكهف .
(٣) آية (٧٦) سورة النساء .
(٤) آية (١٩) سورة المجادلة .

﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ ونظائره . والمقصود أن قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم أو شاملا لهم والعصاة الموحدين ، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا: الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف ، وقد تبين ضعف هذا القول ،

ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار . وقالوا: والمعنى أنكم في النار أبدا إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ وقالوا: والأبد لا يقدر بالأحقاب .

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية: ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ، عن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما . ثم قال: ومعناه عند أهل السنة: إن ثبت أنه لايبقى فيها أحد من أهل الإيمان . قالوا: قد ثبت ذلك عن أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وقد سأل حرب إسحاق بن راهويه عن هذه الآية فقال: سألت إسحاق قلت: قول الله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[١] فقال: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال: قال أبي: حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن كله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ .

قال المعتمر: قال: أتى على كل وعيد في القرآن ، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي عن شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا .

حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة . قال: ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد ، وقرأ قوله: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾[٢] .

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون - يعني به الموحدين-: حدثنا أبو معن حدثنا وهب بن

---

(١) آية (١٠٧) سورة هود .
(٢) آية (١٠٦) سورة هود .

جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمى عن أبى نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه فى قوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ قال هذه الآية تأتى على القرآن كله .

وقد حكى ابن جرير هذا القول فى تفسيره عن جماعة من السلف فقال: وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها ، ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التى نذكرها .

وقال عبد الرزاق: حدثنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى نضرة عن جابرأو أبى سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ قال: هذ الآية تأتى على القرآن كله يقول: حيث كان فى القرآن خالدين فيها تأتى عليه قال: وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه جهنم فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال: وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ قال: لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك . استثنى الله ، قال: أمر الله النار أن تأكلهم . قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تصطفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقابا ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال: جهنم أسرع الدارين عمرانا ، وأسرعهما خرابا .

وحكى ابن جرير فى ذلك قولا آخر فقال: وقال آخرون: أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وأنها لفى الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة وجائز أن تكون فى النقصان .

حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ فقال: أخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار .

وقال ابن مردويه فى تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا خير بن عرفة ، حدثنا يزيد بن مروان الخلال ، حدثنا أبوخليد ، حدثنا سفيان يعنى الثورى عن عمرو بن دينار عن جابر قال: قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله أن يخرج أناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل» ، وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من

النار بعد دخولها خلافا لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار ، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفى انقطاعها ، وفناء عذابها ، وأكلها لمن فيها ، وأنهم يعذبون فيها دائما ما دامت كذلك ، وما هم منها بمخرجين ، فالحديث دل على أمرين:

أحدهما: أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهى نار فعّلَ ، وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله . وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء: إلا ما شاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ، ويكون الأشقياء نوعين: نوعا يخرجون منها ، ونوعا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا ثم يصيرون من الذين سعدوا ، فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين .

قالوا: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يُقَدّرُ الأبدى بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لا يُقَدّرُ به القديم . ولهذا قال عبد الله بن عمرو: فيما رواه شعبة عن أبى بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً .

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع ، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه ، وأن الاختلاف فيه حادث . وهو من أقوال أهل البدع .

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية . فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وأنه لا يفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذابا وأنهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة : ٨] ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر : ٤٨] . وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ، وأنهم ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر : ٣٦] ، و ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان : ٦٥] ، أى مقيما لازما . قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره .

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار . وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار . وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطـــريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين ، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطـــريق الخـــامس: أن عقـائد أهـل السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان ، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع .

الطريق السادس: أن العقـل يقضـى بخلود الكفار فى النار . وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعـاد وثـواب الـنفوس المطـيعة وعقوبـة الـنفس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسـمع؟ فـيه طريقان لنظار المسلمين ، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع ، كمـا دل علـيه القـرآن فـى غـير موضـع ،كإنكاره سـبحانه عـلى من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجـار ، فـى المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا ، وأنهم إليه لا يرجعون ، وأنه يتركهـم سـدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وأن ذلك يقدح فى حكمته وكماله ، وأنه نسبه إلى ما لا يلـيق بـه وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمـت علـيها ، لمـا رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعـت كمـا كانت أولا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

فهـؤلاء قـد ذاقـوا العـذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضي من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا .

وهـذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب الفناء: الكلام على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة .

فأمـا الطريق الأول: فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم ، وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة مـن لم يعـرف الـنزاع ، وقـد عرف النزاع فيها قديما وحديثا ، بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عـن عشـرة مـن الصـحابة فمـا دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبدا ، لم يجد إلى ذلك سبيلا .

ونحـن قـد نقلـنا عـنهم التصـريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل الـتابعون حكـوا عـنهم هـذا وهـذا ، قـالوا: والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ، ونوع ثالث مختلف فيه ، ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة .

النوع الأول: مـا يكون معلوما من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة .

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه .

الثالـث: أن يقـول بعضـهم القول وينشر فى الأمة ولا ينكره أحد ، فأين معكم واحد من هـذه الأنـواع؟ ولـو أن قـائلا ادعـى الإجماع من هذه الطرق واحتج أن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم .

قـالوا: وأما الطريق الثاني: وهـو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين فى القرآن دلـيل واحد يدل على ذلك؟ نعم ، الذى دل عيه القرآن أن الكفار خالدون فى النار أبدا ، وأنهم غـير خـارجين مـنها ، وأنـه لا يفـتر عـنهم من عذابها . وأنهم لا يموتون فيها ، وأن عذابهم فيها مقـيم ، وأنـه غـرام لازم لهـم . وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع فى أمر آخر وهو أنه: هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟

وأمـا كـون الكفـار لا يخـرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يدخلـون الجـنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط: فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهـل السنة ، وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود ، والاتحادية ، وبعض أهل الـبدع ، وهـذه النصـوص وأمـثالها تقتضى خلودهم فى دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون مـنها مـع بقائهـا ألبتة ، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها . فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قـالوا: وأما الطريق الثالث: وهـو مجىء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهـل الشـرك: فهـى حق لا شك فيه وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية . والنصوص دلت على هذا وعلى هذا ،

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة: فلا ريب أنه من المعلـوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية ، هذا معلوم من دينه بالضرورة . وأمـا كونهـا أبديـة لا انـتهاء لهـا ولا تفنى كالجنة ، فأين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك؟

قـالوا: وأمـا الطريق الخامس: وهو أن عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبـدا: فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة . وهذا القول لم يقله أحد

من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين .

وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا لكم من قال به الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار ، فكيف يكون القول بين أقوال أهل البدع ، من أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين ؟ ، فقولكم : إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم .

قالوا: والقول الذى يعد من أقوال أهل البدع مما خالف كتاب الله أو سنة رسوله ، وإجماع الأمة . إما الصحابة أو من بعدهم ، وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوا . فالحق يجب قبوله ممن قاله ، والباطل يجب رده على من قاله ، وكان معاذ بن جبل يقول: الله حكم قسط ، هلك المرتابون إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبى والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول: قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى أبتدع لهم غيره فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم . فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عمن جاء به ، فإن على الحق نورا ، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هى الكلمة تروعكم وتنكرونها ، وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفىء وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة .

والذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دلّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبدا فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ، ولم يبلغه تلك الآثار التى تقدم ذكرها . قالوا: وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها ، فإخبار عن العقل بما ليس عنده ، فإن المسألة من المسائل التى لا تعلم إلا بخبر الصادق .

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم .

والصحيح أن العقل دلّ على المعاد والثواب والعقاب إجمالا . وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده ، وإنما علم بالسمع ، وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة

قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين . وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال ، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب . وبالله التوفيق .

فصل

ونحن نذكر **الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا** ، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لانفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ . وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وأنها مؤصدة عليهم ، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم ، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم . والفرق بين الخبرين ظاهر .

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها .

"الأولى" : قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ .

"الثانية" : قوله: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ .

"الثالثة" : قوله: ﴿ **لاَّبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ ، ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثنائين في الموضعين واحدا ، كيف ؟ ، وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فإنه قال في أهل النار: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به ، وقال في أهل الجنة: ﴿ **عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾[1] فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبدا . فالعذاب مؤقت معلق ، والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق .

الوجه الثالث: أنه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب بها إلا من عصاه .

الوجه الرابع: أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشىء للجنة خلقا آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار ، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله: "وأما النار فينشئ الله لها خلقا آخرين" فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث ، وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه ، "وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا آخرين" ذكر البخاري رحمه الله

---

(١) آية (١٠٨) سورة هود .

مبينا أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا ، والمقصود: أنه لا تقاس النار بالجنة فى التأبيد مع هذه الفروق .

يوضحه الوجه الخامس: أن الجنة من موجب رحمته ورضاه ، والنارمن غضبه وسخطه ، ورحمته تعالى تغلب غضبه وتسبقه ، كما جاء فى الصحيح(١) من حديث أبى هريرة عنه ﷺ أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده موضوع على العرش أن رحمتى تغلب غضبى" وإذا كان رضاه قدسبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعا .

يوضحه الوجه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات ، وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره ، وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه .

يوضحه الوجه السابع: وهو أنه سبحانه قال للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء ، وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء . وعذابه مفعول منفصل ، وهو ناشئ عن غضبه ، ورحمته ههنا هى الجنة وهى رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التى هى صفة الرحمن فههنا أربعة أمور:

رحمة هى وصفه سبحانه ، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته ، وغضب يقوم به سبحانه ، وعقاب منفصل ينشأ عنه . فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان الغضب أولى وأحرى . فلا تقاوم النار التى نشأت عن الغضب الجنة التى نشأت عن الرحمة .

يوضحه الوجه الثامن: أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيرا للخاطئين والمجرمين ، فهى طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة لم تحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾(٢) .

وإن لم تتطهر فى هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها فى النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التى لا يغسلها الماء ، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار ، والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهى فطرة

---

(١) البخارى (٩/١٤٧ ، ١٩٦) ، ومسلم فى التوبة: ب(٤): حديث (١٤) .
(٢) آية (٧٣) سورة الزمر .

الله التى فطر الناس عليها ، فلو خلوا وفطرهم لما نشؤوا إلا علىالتوحيد ، ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها . ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة ، وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله ورسوله ، وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التى فطرهم عليها ، فعرف الموفقون الين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذى أرسل به رسله وفطرته التى فطرهم عليها فمنعتهم الشريعة المنزلة والفطرة المكملة أن تكتسب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولا يفارقها ، بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره ، وكمل لهم الرب تعالى ، ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون ، تمحص عنهم تلك الآثار التى شوشت الفطرة ، فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعدا لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت وليس لله سبحانه غرض فى تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[(١)] .

واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفاسد وتم التغيير ، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة فى هذه الدار ، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية ، وعقوبات فوق التى كانت فى الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التى لا تزول بغير النار ، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقى مقتضى الرحمة لا معارض له .

فإن قيل: هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضا كمعاصى الموحدين ، أما إذا كان لازما كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب . وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾[(٢)] فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضى غير الكفر والشرك ، وأنها غير قابلة للإيمان أصلا . ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[(٣)] .

فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التى أخبرت بها الرسل ، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا

---

(١) آية (١٤٧) سورة النساء .
(٢) آية (٣٨) سورة الأنعام .
(٣) آية (٧٢) سورة الإسراء .

يفارقهم . ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] .

وهذا يدل على أنه ليس فيهم خير يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير ما ضيع عليهم أثره ، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضا قوله: أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير ولو كان عند هؤلاء أدنى مثال ذرة من خير لخرجوا بها مع الخارجين .

قيل: لعمرالله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به فى المسألة ، وإن الأمر لكما قلتم ، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب أنهم فى الآخرة فىعمى وضلال كما كانوا فى الدنيا وبواطنهم خبيثة كماكانت فى الدنيا ، والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك ؛ ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتى لهم زواله مستحيل أم هو عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتى وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب ، كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده .

فإذا كان هذا الحق قد الذى فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ، ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التى هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم ، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم ؟ ، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة . فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق فى التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض ، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له ، وإن تألم به غاية الألم ، كما أن عذابه بالحدود فى الدنيا مصلحة لأربابها .

وقد سمى الله الحد عذابا ، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يجعل لكل داء دواء يناسبه ، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية ، والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كيا بعد كى ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة ، وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل

---

(١) آية (٢٣) سورة الأنفال .

قطعه وأذاقه أشد الألم ، فهذا قضاء الرب وقدره فى إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره فى الدنيا وثوابه وعقابه فى الآخرة ، وجد ذلك فى غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل .

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته ولا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة ؛ بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ، ولا هى عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فإنه أيضا يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه ، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبائه ، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم ، أو لهذا ولهذا .

وعلى التقادير الثلاث: فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات ، والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها ، ونعيم أوليائه ليس متوقف فى أصله ولا فى كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه ، ومصلحة الأشقياء ليست فى الدوام والاستمرار ، وإن كان فى أصل التعذيب مصلحة لهم .

الوجه العاشر: أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له ، فلا منتهى لرضاه ؛ بل كما قال أعلم الخلق به: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعلى وأعظم ، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها . وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا . وأما غضبه وسخطه فليس من صفاته الذاتية التىيستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان والناس لهم فى صفة الغضب قولان:

أحدهما: أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله .

والثانى: أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به . وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التى يستحيل مفارقتها له ؛ والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سعرت النار إلا بغضبه ، وقد جاء في أثر مرفوع: إن الله خلق خلقا من غضبه

وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه". فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة. ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب. فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى يتنزه عن تقدير خلافه؛ ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطى ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو؛ بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد. فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كانت عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة، فتقلبوا فى رحمته فى الدنيا وتقلبوا فيها فى الآخرة، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذى يبضع لحم المريض ويلقى عليه المكاوى ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غيرصحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة.

قيل: هذا حق ولكن لا ينافى كونه رحمة بهم، وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم فى الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة، فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندا له، وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته، وهو ولى الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم، الحق اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التى يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها، وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه.

فالمعطلون نوعان: **أحدهما**: عطل صفاته، **والثانى**: عطل أحكامه وموجباتها، وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيرالطبيعة المقتضية لها فى الجحيم بمرور الأحقاب عليها، وحصلت الحكمة التى أوجبت العقاب عملت الرحمة عملا وطلبت أثرها من غير معارض.

يوضحه الوجه الحادى عشر: وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل. ولهذا ظهرت آثار المحبة فى شرعه وقدره وتظهر كل الظهور لعباده فى ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شىء لا قصور فيها بوجه ما، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق، والعبد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التى بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دواءه بيد الغنى الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له، وأن الحق كله له، وأنه هو المظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله ببعض عدله وأن له غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذى أقامه، فى هذا المقام وأوصله إليه وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه، بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه. فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص، وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح.

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدا منهم فى تلك الحال. وقالوا إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذى نرى، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك؛ فأما إذا أرضاك، هذا منا فرضاك غاية ما نقصده (وما لجرح إذا أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت، لانقلبت النار عليهم بردا وسلاما.

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده[1] من حديث الأسود بن سريع أن النبى ﷺ قال: «**يأتى أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات فى فترة. فأما الأصم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا. وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذى مات فى الفترة فيقول: رب ما أتانى لك من رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذى نفس محمد بيده لو**

---
(١) أحمد (٤/ ٢٤) وابن حبان (٧٣٥٧)

دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما» .

وفى المسند أيضا[١] من حديث قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثله وقال: "فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها" فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضا ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيما .

ومثل هذا ، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثنى رشدين قال: حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: **«إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما، فقال الرب جلّ جلاله: أخرجوهما فإذا أخرجا فقال لهما: لأى شيء اشتد صياحكما؟** قالا: فعلنا ذلك لترحمنا ، قال: **«رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا بأنفسكما حيث كنتما من النار. فقال فينطلقان فيلقى أحدهما بنفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب: ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إنى أرجوك أن لا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعا برحمة الله»** [٢] .

وذكر الأوزاعى عن بلال بن سعد قال: **«يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا وقفا قال الله لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟»** فيقولان: شر مقيل ، وأسوأ مصير صار إليه العباد فيقول لهما: **«ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد»** ، قال: فيأمر بصرفهما إلى النار . فأما أحدهما فيغدو فى أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها ، وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا فى أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: **«ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها؟»** فيقول : إنى خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيا . ويقول للذى تلكأ: **«ما حملك على ما صنعت؟»** فيقول: حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لا تردنى إليها فيرحمهما جميعا ويأمر بهما إلى الجنة" .

الوجه الثانى عشر: أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه . وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته ، لذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته

---

(١) المصدر السابق .

(٢) (ضعيف) الترمذى فى صفة جهنم: ب(١٠): حديث (٢٥٩٩) .

حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، ومثلها فى آخر الأنعام، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوبا له وهو غاية مطلوبة فى نفسها.. وأما الشر الذى هو العذاب فلا يدخل فى أسمائه وصفاته، وإن دخل فى مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير، فإنه سبحانه دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبدا وهو قديم الإحسان أبدى الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسنا على الدوام. وليس من موجب أسمائه وصفاته انه لا يزال معاقبا على الدوام غضبان على الدوام منتقما على الدوام، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب أسماء الله وصفاته، يفتح لك بابا من أبواب معرفته ومحبته.

يوضحه الوجه الثالث عشر: وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه وصفاته "والشر ليس إليك" ولم يقف على المعنى المقصود من قال: الشر لا يتقرب به إليك، بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولافى أفعاله ولا فى أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل، وحكمة، لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى، فكيف يضاف الشر إليه بل الشر فى مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله، وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر.

وإذا كان الشر مخلوقا منفصلا غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله، وإنما نفى إضافته إليه وصفا وفعلا واسما، وإذا عرف هذا الشر ليس إلا الذنوب وموجباتها،

وأما الخير: فهو الإيمان والطاعات وموجباتها، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه، ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته، وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها.

---

(١) آية (٤٩) سورة الحجر.
(٢) آية (٩٨) سورة المائدة.
(٣) آية (١٦٥) سورة الأنعام.

وأما الشرور: فليست مقصودة لذاتها، ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض .

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء . فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضا كما تقدم .

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفا وقوله تعالى لذينك الرجلين: "رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار". وقد جاء في بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه، وقال: اللهم ارحمه: يقول الرب تبارك وتعالى: كيف أرحمه من شيء به أرحمه؟ . فالابتلاء رحمة منه لعباده . وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: « **أهل ذكري أهل مجالستي. وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب** » [1]

فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر فمن تداوى في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة وإلا فلابد له من الدواء بحسب دائه . ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله: من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده ، وتحببه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم، وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قوله .

يوضحه الوجه الخامس عشر: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل ، فلا يفعل شيئا عبثا ولا جورا ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص . وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة ربهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد ، بحيث يكون دائما بدوام الرب تبارك وتعالى ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك ، وإن كانت لمصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل في نعيمهم ، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب . وليس نعيم أوليائه

---

(١) الدر المنثور (١/ ١٥) .

وكماله موقوفا على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العاب السرمد .

فإن قلتم: إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والخلد والمصلحة قلتم ما لا يعقل .

وإن قلتم: إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه إلى وجهين:

أحدهما: أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة ، والقرآن ، والسنة ، وأدلة العقول والفطر ، والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

والثاني: أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له . وغاية الأمرعلى هذا التقدير: أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق . فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام ، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تعلل لم تقتضه أيضا .

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه .

الوجه السادس عشر: أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المعذبين فإنه أنشأهم برحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليهم فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقه ، تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته .

ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هى السابقة إليهم ففى كل حال هم فى رحمته فى حال معافاتهم وابتلائهم .

وإذا كانت الرحمة هى السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضى رحمتهم . وما منهم يقتضى عقوبتهم والذى منه سابق غالب ، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى .

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم مقيم ، وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم أليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا فى موضع واحد .

وقد ثبت فى الصحيح: تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة ، والمعذبون متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم . والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها ، وما أريد به الدنيا ولم يرد به وجه الله فالعذاب على ذلك .

وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهى إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به .

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به ، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية ، فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه ، وما أريد به وجه الله يبقى ببناء المطلوب المراد ، فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات وانقلب عذابا وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم .

الوجه الثامن عشر: أنه ليس فى حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمدا لا نهاية له ولا انقطاع أبدا ، وقد دلت الأدلة السمعية ، والعقلية ، والفطرية على أنه سبحانه حكيم ، وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجب التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرعه ، وقدره ، فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الرديئة عنه بتلك الآلام وما تشهده العقول الصحيحة ، وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله .

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ، ولهذا يحبسون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة .

ومعلوم أن النفس الشريرة الخبيثة المظلمة التى لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه ، ولا يصلح أن تسكن دار السلام فى جوار رب العالمين ، فإذا عذبوا بالنار عذابا تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن ، كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ، ولا ينافى الحكمة خلق النفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار ، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد . فهذا معقول فى الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

وأما خلق نفوس لا يزول شرها أبدا وعذابها لا انتهاء لـه ، فلا يظهر فى الحكمة والرحمة . وفى وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى: ذواتا هى شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلا .

وعلى تقدير دخوله في الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها . فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها ، فالله سبحانه قادر أن ينشأ نشأة أخرى غير تلك النشأة ، ويرحمها فى النشأة الثانية نوعا آخر من الرحمة .

يوضحه الوجه التاسع عشر: وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقا آخر ، يسكنهم إياها ، ولم يعملوا خيرا تكون الجنة جزاء لهم عليه ، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وأنها فى هذه الحال كانت فى تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابها أشد من ذلك لفعل .

وشاء كتب العقوبة طلبا لموافقة رضاه ومحبته ، وعلم أن العذاب أولى بها ، وأن لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت ، وتبدلت بذُل وانكِسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى ، ولم يكن فى حكمته أن يستمر بها فى العذاب بعد ذلك ، قد تبدل شرها بخيرها ، وشِرْكها بتوحيدها وكِبْرها بخضوعها وذُلّها .

ولا ينتقض هذا بقوله - عز وجل-: ﴿ **وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ . فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فإنه سبحانه قال: ﴿ **وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [(١)]

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ، فأما إذا لبثوا فى العذاب أحقابا ، والحقب كما رواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**الحقب: خمسون ألف سنة**» [(٢)] فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة فى العذاب .

---

(١) آية (٢٧) سورة الأنعام .

(٢) الطبرانى (٨/ ٢٩٢) .

الوجـــه العشـــرون: أنـه قـد ثبت فـي الصـحيحين[١] حديث أبـي سـعيد الخـدري فـي حديث الشـفاعة: «فـيقول الله -عـز وجـل-: شـفعت الملائكـة، وشـفع النبيـون، وشـفع المؤمـنون، ولم يـبق إلا أرحـم الـراحمين، فيقـبض قبضـة مـن الـنار فـيخرج مـنها قومـا لم يعملـوا خـيرا قـط قـد عـادوا حمـا فيلقـيهم فـي نهـر في أفـواه الجنة يقـال لـه نهـر الحـياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل.

فـيقول أهـل الجـنة: هـؤلاء عـتقاء الله الذيـن أدخـلهم الجـنة بغـير عمـل عملوه ولا خير قدموه».

فهـؤلاء أحرقـتهم الـنار جميعهم فـلم يبق فـي بـدن أحدهـم موضـع لم تمسـه النار بحيث صـاروا حمـا وهـو الفحـم المحترق بالـنار وظاهـر السـياق أنـه لم يكـن فـي قلوبهم مثقال ذرة مـن خـير فـإن لفـظ الحديـث هكـذا: **«فـيقول: ارجعـوا فمـن وجدتم في قلبه ذرة من خير فأخـرجوه، فـيخرجون خلقـا كـثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا، فيقول: -عز وجل-: شـفعت الملائكـة، وشـفع النبيـون، وشـفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط».**

فهـذا السـياق يـدل عـلى أن هـؤلاء لم يكـن فـي قلوبهـم مـثقال ذرة مـن خير، ومع هذا أخرجـتهم الـرحمة. ومـن هـذا رحمـته سـبحانه للـذي أوصـى أهلـه أن يحـرقوه بالـنار ويـذروه فـي الـبر والـبحر زعمـا مـنه بـأن يفـوت الله سـبحانه، فهـذا قـد شـك فـي المعاد والقدرة ولم يعمـل خـيرا قـط. ومـع هـذا فقـال لـه: مـا حملـك عـلى مـا صـنعت؟ قـال: خشـيتك وأنت أعلم[٢]، فما تلافاه أن رحمه الله، فالله سبحانه في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر.

وقـد ثبـت فـي حديـث أنـس - رضـي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله -عز وجل-: أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام»**[٣] قالوا: ومن ذا الذي في مدة عمره كـلها مـن أولهـا إلى آخـرها لم يذكـر ربـه يومـا واحدا ولا خافه ساعة واحدة ولا ريب أن رحمته سـبحانه إذا أخرجـت مـن النار من ذكره وقتا ما أو خافه في مقام ما، فغير بدع أن تفنى النار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الوجـــه الحـــادي والعشرون: إن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري في الأنبياء: ب(٥٤)، ومسلم في التوبة (٢٥ - ٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٩).

(٣) ابن أبي عاصم (٢/ ٤٠٠).

والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه، ويستعطف ربه تبارك وتعالى عليه، ويستدعى رحمته له. وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك فى قلبه، ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه، وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك.

وفى معجم الطبرانى[1] من حديث يزيد بن سنان الرهاوى عن سلمان بن عامر عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه، ويعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه: عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول: العبد: نعم يا رب، وعزتك وجلالك إن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر. ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله إليه: عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة. فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحى الله إليه: عبدى إن لى عليك بينة، فيلتفت يمينا وشمالا فلا يرى أحدا، فيقول: يا رب أرنى بينتك. فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد فيقول: يا رب عندى وعزتك العظائم، فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة**». ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: «**هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟**».

فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته. فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة، فإذا أراد الله -عز وجل- أن يرحمهم أو من شاء منهم جعل فى قلبه ذلك فتدركه الرحمة، وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك، وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته، وقد أخبر أنه فعال لما يريد.

الوجه الثانى والعشرون: أنه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصى من الكبائر وقيده بالتأبيد ولم ينافِ ذلك انقطاعه وانتهاءه، فمنها قوله: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[2].

ومنها قول النبى ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا**

---

(١) (صحيح) الطبرانى (٨/ ١٨٥)، والمجمع (١٠/ ٤٠٢).
(٢) آية (٩٣) سورة النساء.

مخلدا فيها أبدا» وهو حديث صحيح[١] .

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: **«فيقول الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسي حرمت عليه الجنة»** [٢] وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾[٣] فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد، مع انقطاعه بسبب من العبد وهو التوحيد، فكذلك الوعيد لأهل النار لا يمتنع انقطاعه، بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه . فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته ،كما في صحيح البخاري[٤] عنه ﷺ: **«خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»** وقال في آخره: **«فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار»** .

الوجه الثالث والعشرون: أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحا بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبدى لا انقطاع له، لكان ذلك وعيدا منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده . وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به، فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفى حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟ وقد صرح سبحانه فى كتابه فى غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل فى موضع واحد لا يخلف وعيده .

وقد روى أبو يعلى الموصلى[٥]: ثنا هدبة بن خالد، ثنا سهيل بن أبي حزم، ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار»** .

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا أحمد بن الخليل، حدثنا الأصمعي قال: **جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء[٦] فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا؟ . أيخلف الله وعده عليه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان؟! إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا**

---

(١) البخارى (٧/ ١٨١)، ومسلم فى الإيمان: حديث (١٧٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٤) .
(٢) البخاري في صحيحه (ج٤/ ٢٠٨) ورواه في (ح٢/ ١٣٠)، ومسلم (ج١/ ١٠٧) وأحمد في مسنده (ج٤/ ٣١٢) .
(٣) آية (٢٣) سورة الجن .
(٤) فتح الباري (ج١١/ ٦٦٩) ومسلم في صحيحة (ج٥/ ٥٩٦)
(٥) (حسن) مجمع الزوائد (١٠/ ٢١١) .
(٦) أحد واضعي فقه اللغة، وأحد القراء السبعة . توفى سنة ١٥٤هـ .

تعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا ، ثم لا تفعله ، ترى ذلك كرما وفضلا ، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ، قال: فأوجدنى هذا فى كلام العرب . قال: نعم ، أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ سَطْوتى ::: ولا أختشى من سطوة المتهدد
وإنى وإنْ أوعدتُه أو وعدتُه ::: لَمخلفُ إيعادى ومُنجزُ مَوْعدى

قال أبو الشيخ: وقال يحيى بن معاذ: الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا ، وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم ، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

«نُبئتُ أنّ رسولَ الله أَوْعَدَنِى والعفوُ عندَ رسولِ الله مَأْمُولُ»

فإذا كان هذا فى وعيد مطلق ::: فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب

بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وهذا إخبار منه أن يفعل ما يريد عقيب قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فهو عائد إليه ولابد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده ، بل إما أن يختص بالمستثنى منه أو يعود إليهما ، وغير خاف أن تعلقه بقوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أولى من تعلقه بقوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذى فهمه الصحابة ، فقالوا: أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده ، فإن الاستثناء مذكور فى الأنعام أيضا ، وإنما أرادوا عقب الاستثناء بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وهذا التعقيب نظير قوله فى الأنعام: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ فأخبر أن عذابهم فى جميع الأوقات ورفعه عنهم فى وقت يشاءه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل ، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك .

الوجه الرابع والعشرون: أن جانب الرحمة أغلب فى هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[1] وقال: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾[2]

---

(١) آية (٦١) سورة النحل .
(٢) آية (٤٥) سورة فاطر .

فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم، ومع هذا فالذى أظهره من الرحمة فى هذه الدار، وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب فى هذه الدار، ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعى فى مساخطته، فكيف لا يغلب جانب الرحمة فى دار تكون الرحمة فيها مضاعفة، على ما فى هذه الدار تسعا وتسعين ضعفا؟ وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه، وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب، وأذاب منها خبثا وشرا لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها فى الدنيا، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها، فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة، وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة فى هذه الدار، واضمحل الشر والخبث الذى فيها فأذابته النار وأكلته؟

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر، وأكثر من أسماء الانتقام، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام. وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسها، ووسعت كل شىء، وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، كما تقدم تقرير ذلك. والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرم وجود. والعقوبة مداواة، والرحمة عطاء وبذل.

الوجه الخامس والعشرون: أنه سبحانه لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم فى أعدائه وأنه حكم فيها حكما يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قال تعالى: ﴿ **وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه. قال الحسن: لقد دخلوا النار، وإن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلا. وهذا هو الذى حسن حذف الفاعل من قوله: ﴿ **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾[1] حتى كأن الكون جميعه قائل ذلك لهم إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده.

---

(١) آية (٧٢) سورة الزمر.

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1] .

فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله ، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة .

ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وأن ذلك من كمال حمده الذى هو مقتضى أسمائه وصفاته ، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواه ، بحيث تعترف هى من ذواتها بأنها أهل ذلك ، وأنها أولى به حصلت الحكمة التى لأجلها وجد الشر وموجباته فى هذه الدار وتلك الدار .

وليس فى الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائما لا نهاية لها ولا انقطاع أبدا ، فتكون هى والخيرات فى ذلك على حد سواء ، فهذه نهاية أقدام الفريقين فى هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب .

فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن ، التى هى أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ .

قيل إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ إلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه- فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا فى هذه المسألة بل فى الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه ، وهو المَانُّ به وما كان من خطأ فمنى ، ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه ، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده والله أعلم .

* * * * * *

---

(١) آية (٧٣) سورة الزمر .

الباب الثامن والستون
فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

فى الصحيحين[١] من حديث منصور عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأعلم آخر النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله لـه: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأي فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأي، فيقول الله لـه: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول: أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**» .

وفى صحيح مسلم[٢] من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إنى لأعلم آخرأهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى بـه يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فيعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال لـه: فإن لك مكان كل سيئه حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه**» .

وقال الطبراني[٣]: حدثنا عبد الله بن يحيى الرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي قال: حدثنى أبى عن أبيه قال: حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه: عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت لـه بذنوبي وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها وأدخلك**

(١) البخارى فى الرقاق: ب (٥١): حديث (٦٥٧١) ، ومسلم فى الإيمان ب (٨٣): حديث (٣٠٨) ورواه احمد في مسنده (ج١/ ١٦٦) و (٦/ ٤٣٩١)

(٢) المصدر السابق: حديث (٣١٤)

(٣) ضعيف .

الجنة، فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه عـبدى إن لى علـيك بيـنة فيلتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحد، فيقول: يا رب أرنى بينتك فيسـتنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول: يارب عندى وعزتك العظائم، فيوحى الله إليه: عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فـيدخل الجـنة. ثم ضحك رسول الله ﷺ حتي بدت نواجذه يقول: هذا أدنى أهل الجنة منـزلة فكيف بالذى فوقه؟» .

ورواه ابن أبي شيبه عن هاشم بن القاسم: ثنا أبوعقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به .

(وفـى صـحيح مسـلم) [١] عـن عـبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفـت إلـيها، فقـال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترتفع لـه شجرة فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى: يا بن آدم إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر لـه عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع لـه شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول:يا رب أدننى من هذه الشجرة لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا بن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها أن تسألنى غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر لـه عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها ثم ترفع لـه شجرة عند باب الجنة هى أحسـن من الأوليين، فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يا رب: هذه لا أسألك غيرهـا وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر لـه عليه فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يارب أدخلنيها فيقول: يا بن آدم ما يرضيك منى، أيرضيك أنى أعطيك الدنيا ومثلها معهـا؟ قال: يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود. فقال: ألا تسألونى مما أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: ضحك رسول الله، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا أستهزئ بك ولكنى على ما أشاء قادر» .

---

(١) رواه مسلم في صحيحة (ج١/ ١٧٤).وأحمد في مسنده (ج٥/ ٣٨٩٩)

وفي صحيح البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة، ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم[١] سواء قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أى رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون فى ظلها، فقال الله عز وجل: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره؟، قال: لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى، فقال: أى رب قدمني إلى هذه الشجرةأستظل بظلها وآكل من ثمرها قال: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟، قال: لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء، فيقول: أى رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره؟، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة، فيقول: أى رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف[٢] الجنة وفى رواية تحت نجاف الجنة أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أى رب أدخلني الجنة فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لي فيقول له: تمن، قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته وتدخل عليه زوجتان من الحور العين، فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك. فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت**» .

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «**سأل موسى ربه: من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له ادخل الجنة، فيقول: أى رب كيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت رب، فيقول: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: فأعلاهم منزلة** » قال ذلك الذى أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عي، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه فى كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

* * * * * *

(١) نفس المصدر: السابق .

(٢) النجاف: بناء ناتئ - بارز - فوق الباب مشرف عليه . (اللسان: نجف)

(٣) رواه مسلم في صحيحة (ج١/ ١٧٥) ورواه احمد في مسنده (ج٣/٢٧) .

الباب التاسع والستون
وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من أبواب

فصل
(فى لسان أهل الجنة)

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنى داود بن الجراح العسقلانى، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون»** [١].

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: **«لسان أهل الجنة عربى»**[٢]. وقال عقيل قال الزهرى: **«لسان أهل الجنة عربى»**.

فى الصحيحين[٣] من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى قال: **«احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلنى الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقال الله - عز وجل - لهذه: أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء، ولك واحدة منكما ملؤها»**.

وفى رواية أخرى: **«تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها»**، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها فتقول: قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله - عز وجل - ينشئ لها خلقا»[٤].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا بإسناد ضعيف جدا. مجمع الزوائد (١٠/ ٥٢، ٥٣).
(٣) البخارى فى التوحيد: ب(٢٥): حديث (٧٤٤٩)، ومسلم فى الجنة: ب(١٣): حديث (٣٥).
(٤) البخارى فى التفسير: سورة (ق): حديث (٤٨٥٠)، ومسلم فى الجنة ب(١٣) حديث (٣٦).

فصل
(فى أن الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقا دون النار)

فى الصحيحين[(١)] عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة**» . وفى لفظ مسلم: «**يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقا مما شاء، فيسكنهم فضل الجنة**» .

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: «**وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد؟**» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه ، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده . فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة وكذب رسله قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾[(٢)] ولا يظلم الله أحدا من خلقه .

فصل
(فى امتناع النوم على أهل الجنة)

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون**»[(٣)] . وذكر الطبرانى من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبى الله ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبى ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون**»[(٤)] .

فصل
(فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها)

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب أنى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»[(٥)] .

---

(١) البخارى فى التوحيد: ب(٦): حديث (٧٣٨٤) ، ومسلم فى الجنة: ب(١٣): حديث (٣٨) .
(٢) آية (٨) سورة الملك .
(٣) (صحيح) المجمع (١٠/ ٤١٥) ، والصحيحة (١٠٨٧) .
(٤) المصدر السابق .
(٥) (صحيح) أحمد (٢/ ٥٠٩) .

فصل

(في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا بعمله)

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[1] وروى قيس بن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين»**[2].

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به»**، ثم تلا ابن عباس: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾ إلى آخر الآية[3].

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال: واختلافهم مبني على أن قوله: بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات. قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ: ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم، قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ وقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ وقال: ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾، وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها. قالوا: وأيضا فالإيمان هو القول، والعمل، والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى: أنه سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقرارا لعينه وتكميلا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعا، وإن لم يبلغوا الدرجة بأعمالهن.

---

(١) آية (٢١) سورة الطور.

(٢) (حسن) مجمع الزوائد (٧/ ١١٤) وذكر ابن كثير في تفسير سورة الطور وعزاه إلى الطبري في تفسير (١٥/ ٢٧)

(٣) (ضعيف) مجمع الزوائد (٧/ ١١٣، ١١٤) وذكره ابن كثير في تفسير (سورة الطور)

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار ، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمان الآباء وإن كانوا صغارا فى الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك ، إلا فيما كان من أحكام التابعين . ويكون قوله (بإيمان) على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين ، أى: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا: ويدل على صحة هذا القول أن التابعين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب ، فإنهم مستقلون بأنهم ليسوا تابعين للآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم ، ويكون أولاد التابعين البالغون فى درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة ، فيكون الآخرون فى درجة السابقين .

قالوا: ويدل عليه أيضا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعا فى الدرجة كما جعلهم تبعا معهم فى الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعا بل إيمان استقلال ، قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل فى الجهة بحسب الأعمال فى حق المستقلين وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم تكن لهم أعمالهم كما تقدم ، وأيضا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم .

وقالت فرقة منهم: الواحدى[1]: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب . قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير الواحد والكثير والابن والأب ، كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[2] أى آبائهم . والإيمان يقع على الإيمان التبعى وعلى الاختيارى الكسبى ، فمن وقوعه على التبعى قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[3] فلو أعتق صغيرا أجاز .

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقرّ بهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية ، وقال ابن مسعود فى هذه الآية: الرجل يكون له القدم وتكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك . وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يجب أن يجتمعوا فى الدنيا .

---

(١) الواحدي: على بن أحمد بن محمد الواحدي ، أبو الحسن . صاحب التفاسير المشهورة وعالم بالأدب . توفي سنة: ٤٦٨هـ . معجم الأعلام: ٥٠٧ .

(٢) آية (٤١) سورة (يس) .

(٣) آية (٩٢) سورة النساء .

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة .

وقال الكلبي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء ، وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ ومن قرأ: «وأتبعناهم ذرياتهم» فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله آباءهم في الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين .

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ، ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته ، والله أعلم .

فصل

(في أن الجنة تتكلم)

قد تقدم قوله ﷺ : «احتجت الجنة والنار»[1] وقوله: «قالت الجنة: يارب قد اطردت أنهاري، وطابت ثماري فعجل علي بأهلي» وقال إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد الطائي أخبرت أن الله لما خلق الجنة قال لها: تزيني فتزينت ، ثم قال لها: تكلمي فتكلمت: فقالت: طوبى لمن رضيت عنه' وقال قتادة: 'لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي: فقالت: طوبى للمتقين'.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون»[2] .

فصل

(في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام)

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: «ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها»[3] .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .

فصل
(في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهم)

كما تقدم في حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: « لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا» [١]. وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحور: «**اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك**».

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكانوا إذا نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجدة وشرفة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنت، فقالت: جِدَّ إلى الله في طلبي، فقد والله جَدَدْتُ إليه في طلبك، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب الحوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟.

فصل
(في ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**» متفق عليه[٣].

وفي الصحيحين[٤] أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت**

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) آية (٣٩) سورة مريم.
(٣) البخاري في التفسير: سورة (١٩): حديث (٤٧٣٠)، ومسلم في الجنة: ب (١٣): حديث (٤٠).
(٤) البخاري في الرقاق: ب (٥٠): حديث (٦٥٤٤)، ومسلم في الجنة: ب (١٣): حديث (٤٢).

ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» .

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت، الذى وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت» رواه النسائى والترمذى[2] ، وقال حديث حسن صحيح .

وهذا الكبش والإضجاع ، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً: وقال الموت: عرض والعرض لا يتجسم فضلا عن أن يذبح وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً ، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً .

فالأقسام الأربعة: ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذى لا يوجبه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح . وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه وأن الله سبحانه وتعالى ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها ، كما فى الصحيح[3] عنه ﷺ: «تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث . فهذه هى القراءة التى ينشئها

---

(١) البخارى فى الرقاق: ب (٥١): حديث (٦٥٤٨) ، ومسلم فى الجنة: ب (١٣): حديث (٤٣) .

(٢) الترمذى فى صفة الجنة: ب (٢٠): حديث (٢٥٥٧) .

(٣) مسلم فى صلاة المسافرين: حديث (٢٥٢ ، ٢٥٣) ، وأحمد (٤/ ١٨٣) .

الله سبحانه غمامتين .

وكذلك قوله فى الحديث الآخر: «**إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن**» ذكره أحمد[١] .

وكذلك قوله: «**أنا عملك الصالح وأنا عملك السَّيِّء**»[٢] ، وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة ، وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل .

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبى الله ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق فيقول له: أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء: فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار**» . وقال مجاهد مثل ذلك .

وقال ابن جريج: يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة ، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخل الجنة فذلك قوله: ﴿ **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾ والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه حتى يقذفه فى النار[٣] .

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾[٤] قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾؟ . قيل: لا ، وقالوا: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [الصافات: ٦٠] . وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش ، وأمنوا من الأسقام فهناهم فى جوار الله طول المقام ، ثم يبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .

---

(١) (صحيح) أحمد (٤/ ٢٧١) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) الجوامع (٥٨٤٠) ، والطبرى (١١/ ٦٣) .
(٤) آية (٥٨ ، ٥٩) سورة الصافات .

فصل

(في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة)

روى مسلم في صحيحه[1] - من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحاً كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس**» . وفي رواية: «**التسبيح والتكبير كما تلهمون**» بالتاء المثناة من فوق أي تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل

(في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في الدار الدنيا)

قال الله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ** ﴾[2] .

وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾[3] .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: «**وإذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا**» .

وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة، وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة، وهذه لذة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم .

* * * * * *

---

(١) مسلم في الجنة: ب (٧): حديث (١٩) .

(٢) آية (٥٠ ، ٥١) سورة الصافات .

(٣) آية (٢٥ - ٢٧) سورة الطور .

الباب السبعون
فى ذكره من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[٥]. وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾[٧]. وقال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ

---

(١) آية (٢٥) سورة البقرة .
(٢) آية (٣٢ - ٦٤) سورة يونس .
(٣) آية (١٨) سورة الزمر .
(٤) آية (٢٠ - ٢٢) سورة التوبة .
(٥) آية (٢٢ ، ٢٣) سورة الشورى .
(٦) آية (١١) سورة يس .
(٧) آية (٤٥ - ٤٧) سورة الأحزاب .
(٨) آية (١٧٠ ، ١٧١) سورة آل عمران .

بَبْيعكُمُ الَّذي بَايَعْتُم به وَذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ ﴾[١] . وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَال وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَات وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعونَ * أُولَئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢] . وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَى تُحبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّه وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمنينَ ﴾[٣] .

وقال فى الجنة: ﴿ أُعـدَّتْ للْمُـتَّقينَ ﴾ ، وقال: ﴿ أُعدَّتْ للَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرُسُله ﴾ ، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذيـنَ آمَـنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[٤] ، وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمنُونَ * الَّذينَ هُمْ في صَلاَتهِمْ خَاشعُونَ * وَالَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذيـنَ هُـمْ للزَّكَاة فَاعلُونَ * وَالَّذينَ هُمْ لفُرُوجهِمْ حَافظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلكَ فَأُوْلَئكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذينَ هُمْ لأَمَانَاتهمْ وَعَهْدهـمْ رَاعُونَ * وَالَّذينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتهِمْ يُحَافظُونَ * أُوْلَئكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذينَ يَرِثُونَ الْفرْدَوْسَ هُمْ فيهَا خَالدُونَ ﴾[٥] .

وفى المسند وغيره[٦] أن النبى ﷺ قال: «قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمنُونَ ﴾ حتى ختم العشر آيات» . وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلمينَ وَالْمُسْلمَات وَالْمُؤْمـنينَ وَالْمُؤْمـنَات وَالْقَانـتينَ وَالْقَانـتَات وَالصَّادقينَ وَالصَّادقَات وَالصَّابرِينَ وَالصَّابرَات وَالْخَاشـعينَ وَالْخَاشعَات وَالْمُتَصَدِّقينَ وَالْمُتَصَدِّقَات وَالصَّائمينَ وَالصَّائمَات وَالْحَافظينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافظَـات وَالذَّاكـرِينَ اللَّـهَ كَثيرًا وَالذَّاكرَات أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفرَةً وَأَجْرًا عَظيمًا ﴾ . وقال تعالى: ﴿ التَّائـبُونَ الْعَـابدُونَ الْحَـامدُونَ السَّائحُونَ الرَّاكعُونَ السَّاجدونَ الآمرُونَ بالْمَعْرُوف وَالـنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافظُونَ لحُدُود اللّه وَبَشِّرِ الْمُؤْمنينَ ﴾[٧] . وقال تعالى: ﴿ تلْكَ الْجَنَّةُ الَّـتي نُورثُ منْ عبَادنَا مَن كَانَ تَقيًّا ﴾[٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفرَة مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعدَّتْ للْمُتَّقينَ * الَّذينَ يُنفقُونَ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظمينَ الْغَيْظَ وَالْعَافينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحبُّ الْمُحْسنينَ * وَالَّذينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ

---

(١) آية (١١١) سورة التوبة .

(٢) آية (١٥٤ ، ١٥٥) سورة البقرة .

(٣) آية (١٣) سورة الصف .

(٤) آية (١٠٧) سورة الكهف .

(٥) آية (١ - ١١) سورة المؤمنون .

(٦) أحمد ٤/ ١٥٢ ، والترمذى فى تفسير سورة (٢٣): حديث (٣١٧٣) .

(٧) آية (١١٢) سورة التوبة .

(٨) آية (٦٣) سورة مريم .

فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] . إلى قوله: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ .

وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد: إيمان ، وتقوى ، وعمل خالص لله على موافقة السنة ، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهى تجتمع فى أصلين: إخلاص فى طاعة الله ، وإحسان إلى خلقه . وضدها يجتمع فى الذين يراءون ويمنعون الماعون . ويرجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب - تبارك وتعالى - فى محابه ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

كما قال الشافعي - رحمه الله -: الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه وكأنه أخذ هذا من قول النبى ﷺ: **«اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول»**[٣] .

وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التى أجمعوا عليها ، كما حكاه الأشعرى عنهم ونحن نحكى إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال فى مسائله المشهورة:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع

---

(١) آية (١٣٣ - ١٣٦) سورة آل عمران .

(٢) آية (١٠ - ١٣) سورة الصف .

(٣) (ضعيف) الترمذى فى الدعوات: ب (٨٨): حديث (٣٥٢٠) ، وابن خزيمة (٢٨٤١) .

خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . قال: وهو مذهب أحمد ، وإسحاق بن إبراهيم ، وعبد الله بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدى ، وسعيد بن منصور ، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم: إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً ، إنما هى سنة ماضية عند العلماء فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله ، أو مؤمن أرجو ، ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ ، ومن زعم أن الإيمان: هو القول ، والأعمال شرائع فهو مرجئ .

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ، ومن لم ير الاستثناء فى الإيمان فهو مرجئ . ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ .

ومن زعم أن المعرفة تقع فى القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجئ ، والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده ، وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوز قضاءه ، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه جل ربنا وعز .

والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، وأكل المال الحرام ، والشرك ، والمعاصى كلها بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة ، بل لله الحجة البالغة على خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وعلم الله - عز وجل - ماض فى خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها .

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة ، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأى افتراء على الله أكبر من هذا .

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد؟ هل شاء الله - عز وجل - أن يخلق هذا الولد ؟ ، وهل مضى فى سابق علمه؟ فإن قال: لا ،

فقد زعم أن مع الله خالقاً وهذا الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر ، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذى قضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله .

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل ، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا! بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه فى خلقه وتدبيره فيهم ، وما جرى من سابق علمه فيهم ، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد .

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة . ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون فى ذلك حديث ، كما جاء ولا بنص الشهادة . ولا نشهد لأحد أنه فى الجنة بصالح عمله ، ولا لخير أتاه إلا أن يكون فى ذلك حديث . كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة .

والخلافة فى قريش ما بقى من الناس وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة . والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل . والجمعة ، والعيدان ، والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات ، والخراج والأعشار ، والفىء ، والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا . والانقياد لمن ولاه الله - عز وجل - أمركم لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً . ولا تخرج على السطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة . وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة ، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه . والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك ، والله المعين .

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام ، فاتبع ذلك ولا تجاوزه .

والأعور الدجال خارج لا شك فى ذلك ولا ارتياب ، وهو أكذب الكاذبين .

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر . -سأل الله الثبات-

وحوض محمد ﷺ حق ، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه .

والصراط حق يوضع على سواء جهنم . ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك . والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن توزن . والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء ، والقلم حق كتب الله به المقادير كل شيء وأحصاه في الذكر .

والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قومه فلا يصيرون إلى النار . ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبدا وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله - عز وجل - ، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها خلقهما الله - عز وجل - وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا . فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله - عز وجل -: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ . وبنحو هذا من متشابه القرآن .

قل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله -عزّ وجلّ- خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض . وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن - عزّ وجلّ- فوق الماء ، والله -عزّ وجلّ- على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السماوات وما في الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى ، وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو

أعلم به فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ .

وقولـه تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[1] ، ونحو هذا من متشابه القرآن . فقل: إنما يعنى بذلك العلم أن الله -عزّ وجلّ- على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان .

ولله -عزّ وجلّ- عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس لـه أحد . والله عز وجل سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ولا يسهو ، قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ؛ ويحب ويكره ويبغض ، ويرضى ويغضب ، ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطى ويمنع .

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته ، والسماوات والأرض يوم القيامة فى كفه ، ويضع قدمه فى النار فتنزوى ، ويخرج قوماً من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة ويرونه فيكرمهم ويتجلى لهم ، وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك غيره -عزّ وجلّ- .

والقرآن كلام الله تكلم به وليس بمخلوق . فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ؛ ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا لـه مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمى ، وكلم الله موسى تكليماً منه إليه ، وناوله التوراة من يده إلى يده . ولم يزل الله -عزّ وجلّ- متكلماً ، والرؤيا من الله هى حق ، إذا رأى صاحبها فى منامه ما ليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ، ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً فأى جاهل أجهل ممن يطعن فى الرؤيا ويزعم أنها ليست بشىء؟ وبلغنى أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقد روى عن النبى ﷺ : **«إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده»**[2] وقال: **«إن الرؤيا من الله»**[3] . وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التى شجرت بينهم .

---

(١) آية (٧) سورة المجادلة .

(٢) فتح البارى (١٢/ ٣٥٤) .

(٣) البخارى (٩/ ٣٩) ، ومسلم فى الرؤيا فى المقدمة: حديث (١ ، ٢) ، وأحمد (٥/ ٢٩٦) .

فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا .

بل حُبُّهَمْ سُنَّة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر ، وعثمان بعد عمر ، وعلى بعد عثمان ؛ ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ، ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قُبل منه ، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع .

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية ، وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة .

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف ، بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله -عزّ وجلّ- ورسوله ، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف .

والدين إنما هو كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة ، يصدق بعضها بعضا حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ، ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، إلى أن قال: فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر ، وأصحاب الروايات وحملة العلم ، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه .

قلت: حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق ، وله عنهما مسائل جليلة ، وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي . وهذه الطبقة . وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها . ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً

لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مراراً ، وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً ، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولا وعملاً واعتقاداً . وبالله التوفيق .

فصل

(ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .

قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ . قال: إذا مَرَّ بهم الطير ليشتهونه ، قالوا: سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ ، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال سعيد عن قتادة قوله تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ يقول: ذلك دعاؤهم فيها ، وتحيتهم فيها سلام .

وقال الأشجعي: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم: فيأتيهم ما دعوا به . ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به .

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال: **«سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله؟ فقال: تنزيه الله عن السوء»**[2] .

وسأل ابن الكواء علياً عنها فقال: كلمة رضيها الله – تعالى – لنفسه .

وقال حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: **«سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء»** فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا: سبحان الله . وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين . ومعنى الآية أعمُّ من هذا ، والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة .

---

(١) آية (٩) سورة يونس .

(٢) (ضعيف) المجمع (١٠/ ٩٤، ٩٥) .

وفي الحديث: «**أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين**» فهذا دعاءُ ثناءٍ، وذِكْرٌ يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره. فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس.

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها.

وفي لفظة: ﴿ **اللَّهُمَّ** ﴾ إشارة إلى صريح الدعاء، فإنها متضمنة لمعنى يا الله؛ فهي متضمنة للسؤال والثناء، وهذا هو الذي فهمه من قال: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد.

وقد دلَّ الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص بالدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية، فهو لا يليق بحالهم. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * * * *

يقول أبو أحمد:

الحمد لله أن وفقني لإعادة هذا السفر كما أنشأه مؤلفه الذي يعالج ما نحن فيه من طغيان الدنيا بماديَّاتها وزخرفها. ونسيان الآخرة التي إليها معادنا وما فيها من نعيم أبدي للمتقين. والعذاب الأليم المقيم للاهين الخاسرين.

والله أسأله أن يجعله في ميزان حسنات والدي وإياي وأهلي والحمد لله الهادي سواء السبيل.

أبو أحمد

محمد رضوان مهنا

المنصورة في ١٤/ رمضان ١٤٢٥هـ

٢٨/ أكتوبر ٢٠٠٤م

* * * * *

الفهـرس

الموضـــــع	الصفحة

* * * * * *